

الدراما الثوريّة الاسبانية

• فصيلة على طريق الموت
• الكمامة • النطحة

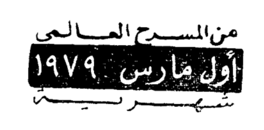
تأليف: الفونسو ساستري
تقديم: د. صلاح فضل
ترجمة: د. احمد يونس
مراجعة: د. احمد هيكل

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

المراسلات باسم:

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص. ب ١٩٣



١١٤

الدراما الثوريّة الاسبانية

- فصيلة على طريق الموت
- الكمامة • النطحة

تأليف: الفونسو ساستري
تقديم: د. صلاح فضل
ترجمة: د. احمد يونس
مراجعة: د. احمد هيكل

تصدر عن: وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم الدكتور صلاح فضل

الفونسو ساستري رجل المسرح :

دخل الفونسو ساسترى الحياة الادبية الاسبانية وهو لايزال يافعا فى التاسعة عشرة من عمره سنة ١٩٤٥ ببضع مسرحيات طليعية رأى فيها النقــاد استجابة مباشرة للمسرح الاوربى عامة والفرنسى خاصة ، وربطوها بأعمــال « سارتر » الوجودية ، وبالرغم من أنه ينكر أية صلة مبكرة بالكاتب الفرنسى الكبير (١) الا أنه عندما يعرض طريقة تبلور أفكاره ومحاورها الاساسية والعوامل الفعالة فى تشكيلها يعترف بأن المناخ الاوربى ومشاكل المقاومة الفرنسية خـلال الحرب العالمية الثانية كان لهما أثر بالغ فى تصوره لقضاياه ، واذا كان لنا أن نسلم لالفونسو ساسترى بهذا الاستقلال فى نشأته الفنية فان علاقة أخرى وثيقة وحميمة قد ربطته بالتيار الوجودى الذى تنفسه جيله وهى العلاقة الفلسفية ، فمؤلفنا لم يكن مجرد « صانع » ما هو لقطع مسرحية متناثرة يلقى بها للجمهـور من حين لآخر وانما كان رجل فكر وعمل وفلسفة ومواقف ، فهو منظر لادبه ودارس جاد للواقع من حوله ومناضل لا يكل من أجل تغييره ، أى أنه يجمع بين الوعى النظرى الفلسفى الحاد والاتجاه العملى لترجمة المبادىء الى مشروعات فنيــة وحركات مسرحية ، ولذلك فان أصدق ما ينطبق عليه هو أنه رجل مسرح بالمعنى الكامل للكلمة .

ومن هنا فلا بد من الاشارة الى جانب عشرات المسرحيات التى كتبها ولا يزال يكتبها حتى الآن — الى نشاطه الثقافى المكثف المعمق فى مجال التأليف النظـرى ابتداء من كتابه الأول « الدراما والمجتمع » الى دراسته المفصلة فى « تشريح الواقعية » وكتابه الثالث الكبير عن « الثورة ونقد الثقافة » ومئات المقــالات الاخرى .

وكل هذا الانتاج النظرى الذى واكب تجاربه المسرحية العملية لم يكــن

---

(١) يقول مثلا فى مقدمة اعماله التى نشرت فى كتاب « Primer acto » عام ١٩٦٤ فى مدريد ان مسرحية « حمولة الاحلام Cargamento de Suenos » التى كتبت عام ١٩٤٦ والتي قيل انه قد تاثر فيها بسارتر لا تدين له بشىء لانه لم يكن قد قرا كتابا واحدا له ، وينبغي ان نتقبل هذه الحجة بحذر لان الاراء الوجودية قد شاعت فى الصحافة والجامعات حينئذ دون الاعتماد على الكتب .

منفصلا عنها وانما كان محركا لاتجاهاتها ، وكان يتبلور أحيانا فى شكل حركات فنية يعلن عنها فى بيانات ثورية وتشكيلات مسرحية وجمعيات نقدية وفنية من أهمها جماعة « مسرح الاثارة الاجتماعية » و « جماعة المسرح الواقعى » .

مراحله الفنيـة :

كانت الحياة الثقافية فى أسبانيا عقب الحرب الاهلية (١٩٣٦ — ١٩٣٩) وخلال الحرب العالمية الثانية تكاد تكون خاوية تماما ، فقد توقفت حركة النشر ولم تنزف أسبانيا دماءها فحسب وانما نزفت مفكريهـا ومثقفيها الذين هاجر معظمهم الى الخارج وحوصر من بقى منهم فى الداخل يلعق أحزانه ، وأوشكت الجامعات أن تخلو ممن يزود الشباب بما يطمحون اليه من علم ومعرفة ، لهذا كان على جيل ساسترى الذى تخرج من احدى كليات الفلسفة والآداب الاقليمية — من جامعة مورثيا — أن يكون عصاميا وأن يخلق قيمه وأساتذته بنفسـه ، سواء فى المجال الأيديولوجى أو فى المجال الفنى . وهى عصامية تتمثل أكثر من ذلك فى أن تعيش المشاكل وأن تفكر فيها بغير عون خارجى ، فأنت لا تجد الاستاذ حتى وأنت تبحث عنه ، يقول ساسترى عن هذه الفترة من حياته : « فأنا مثلا فكرت فى ضرورة المسرح السياسى قبل أن أقرأ كتـاب « بيســكاتور piscator » وبهذا لم يصبح بالنسبة لى أستاذا يهدينى الى شىء أحتاج اليه وانما رجل مسرح وجدت عنده ما يطابق أفكارى ومشاعرى قبل أن أتعرف على مبادئه أو أعلم بوجوده نفسه ، ولم أكن قد قرأت سطرا واحدا لماركس عندما قال لى أحـد الزملاء بأننى أعبر مرحلة « الحصبة الماركسية » ولم أكن أعرف سارتر عنـدما كتبت أولى مسرحياتى وقيل لى انها مفعمة بالروح الوجودى ومتأثرة بأعماله ، وقد مارس هؤلاء الاساتذة تأثيرهم على فيما بعد ، ولهذا فأنا لست عبدا لأى تيار فكرى سبقنى وانما اخترت طريقى الذى توافق مع هذه التيارات ، ولم أخضـع للمناخ الادبى الاوروبى كما يردد بعض النقاد » . (٢)

ويمكننا أن نميز عدة مراحل أساسية فى تطور ساسترى الفكرى والفـنى ، يهمنا أن نرصدها بايجاز فى هذه المقدمة قبل أن نعرض لمبادئه المسرحية :

— المرحلة الاولى طليعية تجريبية أطلق عليها « الفن الجديد » عـام ١٩٤٥ ، وهى تتميز بمعانقة الفكر الوجودى الأوربى كطريقة لرفض كل المحبطات التى كانت تحيط بالشباب فى أسبانيا ابان تلك الفترة ، فهى وسيلة لنقول لا للمنـاخ المسرحى السائد فى اسبانيا وتتمثل انتاجا فى مسرحية « حمولة الاحلام » ، وفى هذه المرحلة كان ساسترى — كما يشهد رفيقه الاول « خوسيه ماريا دى كينتو Jose Maria de Quinto » كثير التأمل عظيم القلق .

— عقب هذه المرحلة ، وبعد كثير من الدراسات والمقالات والمعارك النقـدية

---

(٢) انظر نفس المصدر السابق صفحة ٥٧ .

فى مجلة « الساعة La Hora » الجامعية (١٩٤٨ ــ ١٩٥٠) تبلورت لديه مبادىء مسرح الاثارة الاجتماعية «.T.A.S» الذى لا يستهدف مجرد تجديدالمسرح بالتجارب وانما دفع الثورة الاجتماعية الى قلب الحياة الاسبانية نفسها ، وهنا عثر ساسترى على طريقته فى البحث المعملى التجريبى للمسرح وأدرك وظيفتــه الاجتماعية ومبرراته الاخلاقية وانتهى فى عام ١٩٥٠ الى اعلان بيان بمبادىء مسرح الاثارة الاجتماعية على النحو التالى :

١ ــ نحن نتصور المسرح كفن اجتماعى من ناحيتين :
أ ــ لأن المسرح لا يمكن أن ينحصر فى مجرد التأمل الجمالى من جانب قلة مترفة، بل هو يحمل فى دمه ضرورة البعد الاجتماعى الخطير .
ب ــ ولأن هذا البعد الاجتماعى للمسرح لا يسعه أن يكون الآن ذا طابع فنى بحت.

٢ ــ ومن الناحية الأولى فاننا نعلن عدم اكتفائنا بالمسارح التجريبيةالصغيرة، اذ تخطىء فى رصدها للمشكلة المسرحية ، فالمسرح التجريبى لا يصلح الا لتعــلم الصنعة ، وحركة مسرح الاثارة الاجتماعية لا تبغى انشاء مسرح للهواة .

٣ ــ ومن الناحية الثانية فاننا نرفض الفكرة التقليدية عن « مسرح الشعب » كفن من أجل الشعب وقيم جمالية فى متناول الجميع ، فمسرح الاثارة الاجتماعية مسرح للشعب بمعنى آخر يختلف عن ذلك جد الاختلاف .

٤ ــ لسنا سياسيين بل رجال مسرح ، لكننا كرجال ــ أى بما نحن عليــه أولا ــ نؤمن بالضرورة العاجلة الملحة لاثارة الحياة الاسبانية .

٥ ــ لهذا فاننا فى مجالنا الخاص ــ وهو المسرح ــ نقوم بتنفيذ هذه الحركة وانطلاقا من المسرح نستغل امكاناته ذات الابعاد الاجتماعية محاولين بذلك ان نحمل الاثارة الى جميع مستويات الحياة الاسبانية .

٦ ــ لكننا نسجل أن الشواغل التكنيكية والرغبة فى تجديد الأدوات الفنية للمسرح التى توجه لخدمة الوظيفة الاجتماعية والتى تكرس لها المسرح فى هــذه الآونة لا تخضع بأى شكل لمجرد الحرص على تنمية هذه الوسائل فى حد ذاتها .

٧ ــ فالعنصر الاجتماعى فى عصرنا يحتل مرتبة أعلى من العنصر الفنى .

٨ ــ وموقفنا من ناحية أخرى موقف مسرحى خالص ، فالطريق الذى نشقه هو الوحيد الذى يحمل عامة الناس وجماهير الشعب الى المسرح والدراما .

٩ ــ ولأننا عاصرنا المشهد الأسيف الذى أدى الى عزلة جماهير الشــعب ووجههم الى السينما تاركين المسرح ومؤثرين التسلية اليســيرة على التــوعية العميقة ، والهروب على مواجهة الواقع والنسيان المذنب على العذاب المسئول ، فان المسرح فى الأيدى الجاهلة لم ينجح فى مواجهة تلك الظاهرة .

١٠ ــ ولأن كل محاولات المسرح الاجتماعى التى نشبت بطريقة عفويةومنعزلة

وكل الجهود التى كانت مصطبغة فى كثير من الاحيان بصبغة دعائية مرتبطة بأيديولوجية سياسية معينة ، مثل مسرح بيسكاتور فى برلين ، وتخضع لرغبات فردية تنقصها قوة الدفع اللازمة انتهت الى العقم والفشل ، لهذا فان مسرح الاثارة الاجتماعية يبدو كاكبر تركيز لعناصر المسرح السياسي والاجتماعي تم حتى الآن ، ويحاول ان يوازن بين مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية اذ انه ليس مسرح حزب بحال من الأحوال .

١١ ـ ومن هنا فهو يقترح جملة من الاعمال المسرحية العالمية يركز عليهـــا نشاطه تشمل أعمالا لآرثر ميلر وشتاينبك وسارتر وبريشت وسالاكرو وغيرهم ».

ويبدو أن هذا الإعلان قد رصد فى طياته صراحة سبب اخفاقه الرئيسى ، فهو ـ كما حاول ـ ان ينقد الآخرين ـ ليس سوى مبادرة فردية محكوم عليهـــا بالعقم والفشل اذ لم يتعد مجرد نية الكفاح ، فقوى الضغط والقهر كانت اعتى من أن تسمح بمثل هذا الانفجار الفنى ، ويشهد رفاق ساسترى فى هذه الفترة على انها كانت من أحفل مراحل حياته بالنشاط الدائبمن مقابلات وزياراتوكتابات واعداد مقالات ، قبل ان يجلس عصر كل يوم من أصدقائه فى ميدان « سانت أنا » يعد الوثائق وهو يرمق من بعيد مبنى المسرح القومى العتيد . (٣)

والى هذه المرحلة من كفاح ساسترى النظرى والعملى تنتمى مسرحيتان من المسرحيات الثلاث التى نقدمها للقارىء العربى ، وهما **فصيلة الموت** التى عرضت لأول مرة عام ١٩٥٣ بعد غيبة سبع سنوات منذ قدم أولى تجاربه المسرحيةالطليعية ومسرحية **الكمامة** التى عرضت عام ١٩٥٤ وان كان قد قد بدأ كتابتها قبل ذلك بكثير . وسنرى عند تحليلنا لهاتين المسرحيتين مدى انعكاس أفكار ساسترى النظرية على أبنيته الدرامية والى أى حد يتطابق المبدأ المعلن على المغزى الفنى للعمل المسرحى .

ـ ثم لم يلبث ساسترى أن بدأ مرحلة ثالثة من الكفاح المسرحى على صفحات مجلة « الفصل الاول » تولدت عنها الحركة الثالثة التى أطلق عليها « جماعة المسرح الواقعى » حيث تركز اهتمامه على اعداد الممثل الجيد الملتزم واختيار النصوص الصالحة عالميا وقوميا لتمثيل هذا الاتجاه والعمل الدائب فى البروفات والتجارب . وينص الاعلان عن دعوة الفنانين لتكوين « جماعة المسرح الواقعى » على أن مؤسسيه سيحاولون التدخل فى مسيرة المسرح الاسبانى بشكل نشط فعال شامل مختلف عما درجوا عليه من قبل من خلال الاسهام الفعلى كمؤلفين أو مخرجين او نقاد فى العروض التى لا يقومون بها ، على أن تكون الخطوط العامة لعملهم هى : البحث العملى النظرى فى الواقعية واشكالها عند مختلف الكتاب العالميين ، والبحث المستقصى عن مؤلفين اسبان جديرين بضمان استمرار هذا الخط فى المسرح الاسبانى ، اذ أن الاجهزة المسرحية الحالية لا تولى هـذا

---

(٣) انظر : Quinto, Jose Maria de : Breve Historia de una lucha, Primer acto 1964. p. 48.

الجانب عناية كافية . ومن هنا فان جماعة المسرح الواقعى تمثيل دعوة للمؤلفين الاسبان لتكوين خلايا متجددة أصيلة للحياة المسرحية .

ويترتب على ذلك فى تقدير مؤسس الحركة أنهم لا يستبعدون المؤلفين الذين يقال عنهم انهم بعيدون عن الواقعية اذ أن فهمنا للواقعية أساسا واسع عريض ، ولا تهدف جماعتنا الى احياء المذهب الطبيعي وان كنا لا نرفض تجريبه مما هو هذا الفهم للواقعية فى المسرح وعلى أي اساس نظري يتكىء !

مبادىء المسرح الواقعي :

صاغ ساسترى مبادئه فىالمسرح الواقعى ووظيفته على دفعات متتالية ، وسنحاول فى هذه المقدمة ان نركز أهم الأسس التى اعتمد عليها لنقدم الاطار النظرى الذى أراد مؤلفنا أن يعبر به تجريديا عن مقاصده فى أعماله المسرحية ، مما يتيح لنا الفرصة فى نهاية الأمر أن نعرض تنفيذاته الفنية على محك تصوراته النظرية ونقيس بهذا المعيار مدى نجاحه كمؤلف ملتزم فى أداء وتوصيل مبادئه .

ولعل أول صيغة لهذه المبادىء كانت تتمثل فى المقال الذى نشره بعنوان « الفن كبناء » وهى دراسة نشرت بعد ذلك فى « تشريح الواقعية » (٤) وجاء فيها :

١ ــ الفن تمثيل كاشف عن الواقع ، ونحن نطالب بحقنا فى تنفيذ هذا التمثيل .

٢ ــ ونفهم الواقع على أنه الكشف الذى يقدم به الانسان على مدى تاريخه ، وهناك كثير من وجهات النظر الفلسفية والوسائل التكنيكية لالتقاطه وتمثيله . وكل هذه الوجهات التى يتخذها الانسان لها أهميتها ولا ينبغي رفض أي اسلوب أو تكنيك منها .

٣ ــ ومن بين مظاهر الواقع هناك جانب يتحتم عرضه والتعرض له بسرعة عاجلة : هو المشكلة الاجتماعية بأشكالها المختلفة .

٤ ــ ان الكشف الذى يقوم به الفن للواقع يعد عنصرا اجتماعيا تقدميا ، وفى هذا المضمار يكمن التزامنا بالمجتمع ، وكل التزام ينقص أو يشوه هذهالقدرة الكاشفة لا نقبله .

٥ ــ نرفض جميع اشكال القسر الخارجي البعيدة بالتالي عن ضميرنا الاخلاقي ومفاهيمنا الجمالية . ونحن مسئولون عن أعمالنا الأخلاقية والفنية ، والعمل الفني دائما عمل اخلاقي ، ونرفض أية وصاية خارجية .

٦ ــ ان الفن نتيجة لكشفه عن بنية الواقع يقوم بوظيفة قضائية عادلة ــ

---

(٤) انظر : Sastre, Alfonso : **Anatomia del realismo.** Madrid. 1965. p. 16 :

بالمعنى الواسع لهذه الكلمة الذي يتجاوز معناها المتداول — وهذا يجعلنا نشعر بأننا نفيد الجماعة التي تعيش فى كنفها حتى ولو نفرت منا في بعض الاحيـــان

٧ — ان الانتماء الى أية حركة سياسية لا يعنى بالضرورة فقدان استقلال الفنان الذى ننادى به . على أن هذا الالتزام يصبح مشروعا وخصبا فى حـالة ما اذا شعر الفنان بأن هذه الحركة تعبر تماما عنه . ويصبح التزامه عنـــدئذ من الوجهة العملية تعبيرا عن حريته .

٨ — كما ان عدم انتماء الفنان لحركة سياسية ما لا يعنى أيضا عدميتـه ولا هروبه المذنب ولا خيانته للمسئولية الاجتماعية التي نناشده الالتزام بها في عمله . فالنضال ممكن من خارج الحركات التقدمية ، وهو بالفعل قائم فى سبيل التقدم الاجتماعى ، ومن المشروع للفنان ان يرفض الانضمام للحركات التى يشعر أنها لا تعبر تماما عنه ، سواء كان ذلك على المستوى النظرى أو التنفيذى .

٩ — ان ما هو اجتماعي يحتل مرتبة أعلى مما هو فنى ، ونفضل أن نعيش فى عالم يقوم على العدل فى أنظمته حتى لو خلا من الأعمال الفنية على أن نعيش فى عالم ظالم تزدهر فيه الاعمال الفنية الباهرة .

١٠ — وعلى وجه الدقة فان المهمة الأساسية للفن فى العالم الظالم الذى نعيش فيه تتمثل فى تغييره ، والعمل على تعزيز العوامل التي تؤدى الى هذا التحول فى النطاق الاجتماعى يعتمد الآن على نوع من الفن يمكن ان نطلق عليــه « الفن الاسعافى » . وقد قلنا من قبل ان كل فن حى انما هو قضاء عادل بالمعنى الواسع للكلمة ، والفن الذى نسميه اسعافيا هو مطالبة ملحة عاجلة بالعـدل يمكن أن يكون لها صداها القضائى الفعلى .

١١ — الفن الذى يمتاز بخصائص جمالية بارزة هو وحده القادر علىتحويل العالم . وبهذا نلفت النظر الى أن العمل السىء لا جدوى منه أساسا ، ومثـل هذا العمل قد يقدم لنا أحيانا على شكل فن دعائى رخيص ، لكنه مرفوض مـن الوجهة الفنية لسقوطه جماليا ومن الوجهة الاجتماعية لعدم جدواه (٥) .

ويلاحظ على هذا التحديد المبدئى لتصوره عن صلة الفن بالواقع ووظيفته بالمجتمع انه استمرار تام لافكاره التي عرضنا لها من قبل عند الحديث عن مسرح الاثارة الاجتماعية ، لكنه يتشبث بجملة من التحفظات الليبرالية المكرورة عـــن مفهوم حرية الفنان ووجوب أن يكون التزامه داخليا لا خارجيا دون أن يتجـاوز ذلك الى تحليل عميق لطبيعة العلاقة الجدلية بين هذين الطرفين . واشد ما نأخذه عليه هو اصراره على اقامة لون من التعارض — الزائف فى حقيقة الامر — بين الفن والعدالة الاجتماعية عند تفضيله لهذه الثانية على الازدهار الفـنى ، وهو فرض ضعيف من أصوله ، لان العدالة تقتضى تحرير جميع طاقات الانسان

---

(٥) انظر ايضا : Sastre, Alfonso, "Ar e Como Construccion". Primer Acto. Madrid 1864. P. 110-111.

وقدراته على الابداع ، ولا يمكن لهذا التحرير أن يؤدى الى عجز فنى ، كما ان ازدهار الفن بالمعنى العميق لهذه الكلمة شاهد على أن النظم التى يقوم فى ظلها على المدى الطويل — لاخلال الفترات التاريخية المحدودة — قد أدت الى شحذ القدرات الانسانية وارهاف الوسائل الفنية مما يدل على فعاليتها وتحقيقها للقيم الانسانية . وكان يجب على ساسترى لتعميق مفهومه عن طبيعة الابداع وارتباطه بالنظم الاجتماعية المختلفة ان يستفيد أولا من قانون العصور الطويلة فى الفكر الماركسى الكلاسيكى وأن يدرس الاضافات الاساسية التى قام بها علم اجتماع الادب على هذه التصورات وصياغتها بطريقة مختلفة . (٦) واذا تتبعنا الصياغة الثالثة الجديدة التي تقدم بها مؤلفنا لهذه المبادىء فى احدث دراساته النظرية نجده قد اقترب من المنطقة التي اشرنا اليها الى حد كبير ، وان ظل أسيرا للروح الليبرالى التقليدى ، فالوظيفة الاجتماعية للمسرح عنده فى التصور الاخير تتحدد كما يلى :

١ — لا يمكن للمسرح اليوم أن يكون سابقة تعليمية ، ولا مؤسسة أخلاقية ، ولا مجرد أداة سياسية .

٢ — ليس المسرح مجرد عاكس سلبى للواقع ولا بحثا علميا فيه .

٣ — كما أنه ليس لعبة عابثة مجانية .

٤ — ويمكننا القول بأنه لعبة جادة ، ريادة خطرة — الى درجة المغامرة — فى الواقع ، واقتراح ، كثيرا ما يكون غير مناسب — يضعه الفن أمام السياسة .

٥ — المسرح اذ ليس نفعيا ، بل هو بالأحرى « غير مجد » حاليا ، وان كان نفعه يظهر على المدى القريب فى نمو يأخذ شكل الوعى المتدرج عن طريق اثارة الضمائر .

٦ — هذا الوعى ينبغى أن يكون مزدوجا وجدليا ، فالمشاهد يدرك بضميره وجوده المحدد الفردى (حيث يقف الموت على حافة الأفق كختام له) ووجوده التاريخى (حيث تتراءى الاشتراكية فى نهاية الطريق) . فهو اذن معرفة تؤدى الى العمل بطريقة تختلف عن السياسة ووسائلها ، فالمسرح — مثل بقية الفنون — مجال مستقل نسبيا .

٧ — ان تفكيك هذه الثنائية الجدلية قد ادى بالمسرح الى ان يكون مجرد فن عدمى (عند بيكيت) أو أداة للتفاؤل البيروقراطى (عند ممثلى الواقعية الاشتراكية الذى وقع فيه أحيانا بريخت نفسه ، اذ أن تركيبة الأمل المأساوى لم تعد كافية اليوم ، ولعل طريقة تجاوز هذا الموقف تكمن فيما نطلق عليه « المأساة المركبة » .

---

(٦) انظر فى هذا الصدد كتابنا عن « منهج الواقعية فى الابداع الادبى » القاهرة ١٩٧٨ .

٨ — ليس من المشروع ان نطلب من المسرح عموما نتائج مباشرة ... على ان هناك الوفا من المسرح التسجيلي الوثائقي الذي يقع على حافة المجال الشعري من ناحية والمجال التاريخي من ناحية اخرى (٧) .

المسرح السياسي :

لعل الظاهرة الأساسية فى مسرح « ساسترى » أنه مسرح سياسى فى الدرجة الاولى ، أى أن العمل السياسي المباشر هـــو نقطة الارتكاز المحورية فى تصوراته وحركاته ، فهو لا يقتصر على هذا النوع « الباطن » من السياسة الذى يغلف من الداخل كل موقف فنى على اعتبار أن كل شيء فى الوجود انما هو سياسة فى التحليل الأخير ، وانما يتجاوز ذلك الى الاعلان المباشر . وقد حاول ساسترى فى مراحل مختلفة من حياته أن ينفى عن نفسه هذه الصبغة دون جدوى لانها أكثر التصاقا به وتعبيرا حميما عن خواصه من أن تنفى بكلمة هنا أو هناك . فهو يقول مثلا فى احدى مقالاته المتأخرة : « ماذا يعني بالنسبة لى أن نعمل مسرحا على المستوى السياسي؟ان اقامة المسرح على المستوى السياسي لا يعني بالنسبة للمؤلف أن يتحول عمله الى أداة للمعارضة أو الرفض او التدخل المباشر فى الوسط الذى يحيط به ، وانما يعنى فى الدرجة الاولى ان يعمل على أرقى مستوى شعرى ممكن بأكبر طاقة ثورية من الوجهة الفنية » (٨) .

ولو كان الأمر كذلك لاختلف مصير مسرح ساسترى فى اسبانيا ، ولعله يعبر فى هذه الفترة — بعد تأمل طويل فى تاريخه — عما كان يتمناه لنفسه أكثر من تعبيره عن واقع أمره ، فهو بالفعل فى حركاته المتتالية قد استخدم المسرح أداة للمعارضة ، ولم يستمر عرض مسرحية له أكثر من أسبوع ، هذا ان نجت من تحريم الرقابة ومنعها قبل العرض ، ولم تكن الحرب السياسية بينه وبين الرقابة سرية ولا خافية ، فهو يتخذ منها موقفا صريحا حاسما اذ يعلن فى غير مواربة « ان المثقفين الذين يمكن أن نطلق عليهم » متحررين « يعبرون دائما عن رفضهم النبيل لأي نظام يجعل الثقافة خاضعة لرقابة وضبط السلطات البوليسية ، وانى بدوري اذ اعلن رفضي الاساسي المبدئي لجميع صنوف الرقابة اعبر عن ارادة المثقفين في مقاومة جميع انواع الضغوط البيروقراطية التي تمارس بأشكال مختلفة على الثقافة ، ايا كان موقعها فى الشرق أو الغرب ، لكن على وجه الخصوص أندد بها فى الغرب عامة ، وفى البلد الذى أعيش فيه خاصة » (٩) . وهذا موقف ثورى يحمد لمؤلفنا ولا يمكن ان يؤخذ عليه ، ولكن الحساب يبدأ بعد ذلك ، عندما نتجاوز حاجز الرقابة المباشرة او العلاقة بالسلطة السياسية ونبدأ فى تحليل علاقة أخرى هى التى تربطه بجمهوره ، فهناك

---

(٧) انظر : Sastra, Alfonso : "La Revolucion Yla Critica de la Cul ura". Barcelona 1970. p. 53

(٨) نفس المصدر السابق ص ٦١ .

(٩) نفس المصدر السابق ص ٢١ .

حقيقة أليمة فى مسرح ساسترى هو أنه كان دائما مسرحا للصفوة المثقفة ، وعلى احسن التقدير لشباب الجامعات . ولم ينجح فى معظم الحالات فى جذب أعداد كبيرة من جمهور المسرح الخفير فى اسبانيا .ويكمن السبب فى هذه الظاهرة ــ على ما أعتقد ــ فى نوعية الاداء السياسي فى مسرح ساسترى .

ولكى أوضح ما أقول أورد موازنة عاجلة ــ تقتصر على هذا الجانب ــ بينه وبين مؤلف اسبانى آخر معاصر له لا يقل عنه التزاما سياسيا ولا جدية نضالية وانما يختلف عنه فى طبيعة التصور السياسي للمسرح هو « بويرو باييخو » الذى قدمنا بعض أعماله فى نفس هذه السلسلة (١٠) . والفرق الجوهرى بينهما هو أن ساسترى كما رأينا من استعراض تاريخه كرجل مسرح ينزع الى العمل المباشر الصريح ويعلن عن استنكاره لأوضاع المسرح والسياسة الثقافية وضرورة احداث انقلاب فورى شامل فى اطارها السياسي العام مما يصطدم لا بالسلطة فحسب وانما بالشعور البرجوازى من الحاجة الى الاطمئنان والأمن والبعد عن التقلبات المفاجئة التى تثير الاضطراب ، أما رفيقه الذى حظى بقبول شبه اجماعى من جمهرة المثقفين وعامة المشاهدين فهو أكثر تأنيا وربما أعمق ثورية ، فهو يزرع فى نفس متلقية أسس الرفض وبذور الثورة بطريقة درامية ناضجة تعزف عن الاثارة وتحرك بطريقة فنية داهية وماكرة جميع القوى الفعالة وتشحذها بكثير من التبصر والاناة لتمضى هى بنفسها فى الطريق الثورى الطويل ، ساسترى يندفع ــ خاصة فى بياناته وحركاته ــ أمام جمهوره كقائد مظاهرة يهتف وقد يتلفت حوله فلا يجد من كانوا يتبعونه الا قليلا منهم ويتلقى عصى السلطة وضربات هراواتها ، أما « باييخو » فهو يفضل أن يكون شاعرا تتحرك الجماهير على ايقاعاته دون ان يظهر بينها بل يظل راقدا كظل كامن فى طواياهم او على احسن تقدير كنموذج يستحضرون صورته ويستلهمون روحه ومواقفه وان لم يسمعوا صوته الجهورى الصاخب المثير . لكننا اذا ما انتبهنا الى انتاج مؤلفنا الدرامي خفت حدة حسابنا له ، فهو لا يكاد يشحنها باية نبرة ثورية عالية بل يؤثر أن يقول بالحدث المسرحى والموقف الدرامى والحوار الهادىء الذكى ما يريد أن يصل الى متلقيه من مغزى سياسى ، ونادرة هى المسرحيات التى يخرج فيها عن هذا الطابع ، ولعل من أهمها مسرحية « مقدمة شجية » التى تعرض لصراع سياسى مباشر فى عمل فدائى ضد دكتاتور طاغية » (١١)

لكننا فى حقيقة الامر لا نستطيع أن نمضى دونتحفظ فى تحميل ساسترى كل المسئولية فى انصراف عامة المشاهدين عن مسرحه ، فهم بدورهم سلبيون يؤثرون السلامة ويخشون مغبة اتخاذ المواقف الصريحة ، في الوقت الذي كان لا بد فيه

---

(١٠) انظر ترجمتي وتقديمي لمسرحيته « القصة المزدوجة للدكتور بالمى » عدد رقم ٥٥ وترجمتي وتقديمي لمسرحيته « وصول الآلهة » بالقاهرة .

(١١) قمت بترجمة هذه المسرحية الى اللغة العربية وأعدت دراميا لاذاعة القاهرة لكنها لم تنشر حتى الآن .

للحركة الثوريةفىاسبانيا من ان تتململ وتهتز وتنطلق، فوضع اسبانيافيعشرات السنين الماضية منذ انتهاء الحرب الاهلية حتى موت فرانكو كان موجها وغريبا ، فهى تقع فى أوربا الغربية جغرافيا لا سياسيا ، وبينا يظفر الانسان بأعلى مستويات التقدير والتفتح اللذين تسمح بهما النظم الراسمالية الموجهة فى البلاد المجاورة كان محروما فى اسبانيا من أبسط حقوقه فى تحديد شكل حكومته بحرية كافية فضلا عن أنه قد منع من ممارسة حقه الطبيعي فى اختيار انظمته الاقتصادية والثقافية بالرغم من كفاءته العالية وقدرته الحضارية على أن يقف فى نفس المستوى ، والدليل على ذلك هو أنه بمجرد أن أزيح الكابوس من فوقه احتضرت مع فرانكو كل القوى المتخلفة المتهرئة وانبثقت اضواء الحريات فى السياسة والممارسات الواعية بشكل رائع يعد نموذجا للتحول السلمى من عصر الى آخر فى أقصر فترة تاريخية ممكنة ، وفى تقديرى أن الدرس الذى تعطيه اسبانيا لبلاد العالم الثالث بالغ الاهمية فى هذا المضمار ، ولولا اختمار مبادىء الحرية وكفاح أمثال ساسترى من أجل تعميقها ضد قوى الطغيان لما قدر لها ان تتفجر بهذه التلقائية المذهلة . لولا ان المفكرين والفنانين قد تقدموا للتحمل مسئولياتهم السياسية بشكل أو بآخر فى صياغة وجه المستقبل لما وجد الساسة نموذجا يستلهمونه وقيما يعملون من أجلها ، ومن هنا فان ما أخذ على ساسترى من علو النبرة السياسية أو مباشرتها ـ ربما كان فى حقيقة الأمر ضرورة المرحلة التاريخية التي يصنعها الفكر والعمل معا ، اى المبادىء والتنظيم على أعمق وأشمل المستويات . واذا كان مؤلفنا قد رفض الاطمئنان البرجوازى وآثر القلق والاثارة أولا ثم العلمية الثورية ثانيا فانه طوال ذلك كان يعطى ولا يأخذ ، يضحى ولا يستفيد ، يؤدى رسالة عاش حتى شهد بعض ثمارها وهى تسعف شعبه بما كان تواقا اليه .

بقية خصائص مسرحه :

اتهم بعض النقاد مسرح ساسترى بأنه يخلو من روح الشعر ، وبأنه منحاز للجانب الايديولوجى ، وبأن تشكيلاته الجمالية جافة قاسية (١٢) . وعزوا الى هذه الأسباب مجتمعة ما سبق أن أشرنا اليه من انخفاض شعبيته واقتصار جمهوره على بعض الأوساط الجامعية المثقفة . فاذا ما تأملنا هذه الخواص أدركنا أن طبيعة مادته المسرحية ومواقفه الفكرية وطموحاته الفنية هي المسئولة عنها ، فروح الشعر ـ لا أشكاله وأنظمته الموسيقية ـ لا بد فى المسرح من أن تنبع من المواقف ذاتها لا من القدرة الغنائية لدى الشخصيات ، اذ أنه لا بد من تحديد انطلاقات هذه القدرة حتى لا تضر بروح الدراما فى المسرح ، والمسرح الواقعى معرض للجفاف اكثر من مسرح الهروب اذا كان دراميا مأساويا لا كوميديا لاهيا ، فشعر الدراما يتصل بانساق الوقائع المعروضة وبمذاقها وبتكثيف رؤيتها وكلما بعدت هذه الرؤية عن المجال الرومانسى وانغرست فى لحم الواقع كلما كان من الصعب ان تلتقط بالحدة

---

(١٢) انظر : Perez Mini K.D. "Se trata de Alfonso Sastre, dramaturgo melancolico de la revolucion. Primer acto, 1964. p. 33

الكافية عناصر الشعرية وتجسمها . على ان من الحق ان نشهد أن كثيرا من أعمال ساسترى لا تخلو من هذا الروح ، والمسرحية الثورية « مقدمة شجية » التى أشرنا اليها من قبل على طابعها العملى نموذج طيب لذلك فهى مفعمة بمواقف تستنزف أعمق وأحر لفحات الشعر الساخن الجدير بالمسرح الحقيقي .

اما التحيز الايديولوجي فهو متصل بما سبق أن عرضناه لطابع ساسترى السياسي ، واذا توقفنا عند أعماله الدرامية ــ لا بياناته ومنشوراته الحركية ــ رأينا أنها تهمة ظالمة على اطلاقها ، فمهما كان التزام شخصياته الفكرى ودرجة ثوريتها فهي لا تتسم على الاطلاق بالتصلب والنمطية وفقدان روح الجدل ، بل انه من الممكن القول مع بعض نقاده بأن تاريخ شخصياته يجعلهم ذوى ماض فوضوى يصب فى انساق ثورية بكثير من التردد والعفوية . فهم يدافعون عن الحد الادنى لحرياتهم بحرارة بالغة ، ولم يعلن ساسترى اطلاقا فى أى من أعماله المسرحية موقفا حزبيا مغلقا ، بالرغم من سياسته العميقة ، وكل ما يلاحظ عليه فى هذا الصدد هو اصداره على أن لا يريح الاحساس البرجوازى المـــادى بالتكيف مع الواقع والتوافق فى اطاره بل همه أن يؤرقه ويسلب منه عناصر الراحة .

واغلب الظن أن ساسترى كان واعيا بأن التحقيق الدرامى للمبادىء المعلنة كثيرا ما يثمر شيئا مختلفا جوهريا من هذه المبادىء ، فهو يسوق احدث دراساته رواية خاصة بعلاقة مسرح بريخت بمبادئه نستطيع على ضوئها ان نحدد طبيعة هذه العلاقة عند ساسترى ايضا .

فخلال حوار عمل عقده بريخت قبل موته بعدة شهور مع مساعديه دار الحديث عن النقد السيىء الذى وجه اليهم والتفسيرات الخاطئة التي التصقت بأعمال مسرحهم كأنها من خواصه الفنية فوقف « باليتش Palitzsch » ــ وهو أحد اصدقائه القربين ــ يقول « يبدو لي ان هذا الحوار لا يمضي على النحو الامثل ... فمعظم الذين يشاهدون مسرحنا لا تعنيهم تلك المشاكل (يشير الى نقط الخلاف الجوهرية الخاصة بالتباعد وخواص المسرح الملحمى الاخرى مثل التخلص من النزعة العاطفية كمؤثر مسرحى الخ) ولو سمع أحد حوارنا لتصور أننا نعرض مسرحا غريبا لا يمت لما نقدمه بالفعل بصلة ، فنحن لسنا موضوعيين بهذا القدر ولسنا جافين على المسرح ، بل ان اعمالنا مفعمة بالمناظر المشحونة باللقطات الشجية والهزلية والتطهيرية والتوتر الدرامي والموسيقى والشعر .. والممثلون يؤدون أدوراهم بطريقة أكثر طبيعية من أى مسرح آخر فى حديثهم وحركاتهم ، والجمهور يستمتع معهم حقا كما لو كان يشهد مسرحا حقيقيا (ضحكات) حتى أن عيونهم لتمتلىء بالدموع عندما يرون الأم الشجاعةفىبعض المواقف ، مهما كان لهذه الدموع من معنى سياسى » (١٣).

ولا شك أن ايراد هذا المشهد من مسرح بريخت الذى عنى به مؤلفنا أعظم العناية يوحى بأنه لا يمتنع عن ترك أعماله المسرحية لنموها العضوى الداخلي ولا

---

(١٣) راجع المصدر السابق عن الثورة ونقد الثقافة لساسترى ص ٣٣ .

يصر على شحنها بالمبادىء التى يعلنها ويملأ الدنيا ضجيجا من أجلها ، بل هو فى حقيقة يكاد يبارك هذا الانفصام النسبي ويرى فيه ظاهرة صحية تستحق التنويه والاطراء لما لها من آثار ايجابية فى سبيل تحرير الفن الى حد ما من سطوة المنطق العقلي واكتشاف منطقه الخاص به .

وأيا ما كان الأمر فان مسرح ساسترى على عمومه يتسم بالاضافة الى ما سبق بالعناية بالحدث المحكم الذى يعطى الانطباع بأن الانسان ليس مجموعة من الأفعال وردود الأفعال العابثة اللامجدية ، وبتحقيق أكبر قدر ممكن من الأقساط بين المؤلف ومسرحه ، فحياة صاحبنا تقوم على سلسلة من المواقف المسئولة ذات الأبعاد الدرامية ، ومسرحه ينضج بضرورة التغير الاجتماعى وخلع الاقنعة التقليدية .

أما بالنسبة لأسلوبه وتكنيكه الفنى فهو شديد التلاؤم والاتساق أيضا مع ابنيته الفكرية ، وجزء كبير من مسرحه ملتزم بما اصبح من تقاليد التيار الوجودي الذى يعتمد على « فكر يحاور نفسه ومقال يعادل الصمت وأسباب معقولة ليست فى نهاية الامر الا قناعا للامعقول الاعظم » لكن ألفونسو ساسترى قد أمكنه أن يتمثل هذه المبادىء الادبية والفلسفية وأن يحورها لتتطابق مع رؤيته لواقع الحياة فى اسبانيا المعاصرة وامكانات المسرح فيها . اما حواره فهو دقيق ومكثف وذو صبغة نيابية ، حوار تؤدى فيه الكلمات وظائف درامية عاجلة داخلة فى بنية توظيفية ذات صبغة قضائية دقيقة .

فصيلة على طريق الموت :

عرضت مسرحية **فصيلة الموت** لأول مرة على مسرح « ماريا جيريرو » بمدريد عام ١٩٥٣ فوجد الجمهور الاسبانى نفسه أمام عمل لم يعتد شهود مثله منذ انتهاء الحرب الاهلية الاسبانية عام ١٩٣٩ لم ير موضوعا عسكريا تخضع فيه دلالة السلاح والحرب لمناقشة جادة وتوضع الشخصيات والمواقف فى منظور جديد لا يخلو من المعانى الاجتماعية والدرامية . وقبل أن نمضى فى تحليل هذه المسرحية يهمنا ان نشير الى أول عرض لها بلغة أجنبية اذ ترجمها الى الفرنسية « روبرت ماراست Robert Marrast » وعرضت على مسرح البيت الدولى فى باريس عام ١٩٦٢ » (١٤) .

على أن الموقفالذى يقدمه ساسترى فى هذه المسرحية غريب ، فهى أولا غير محددة محليا ، تقع أحداثها فى بلد أوربى ما يواجه عدوا غير محدد كل ما نعرفه عنه هو أنه ذو طبيعة شرقية ، أى انه ربما كان من المعسكر الشرقي خلال الحرب العالمية الثالثة والجنود كذلك ليسوا محددى الجنسيات ، بعضهم المانى مثلا لأنه يعمل فى برلين ولا يواجه فرنسيين بل يواجه أعداء من الجانب الآخر لأوربا بعد التقسيم الحالى . ونماذجهم البشرية أيضا غير محددة ، فلا نكاد نميز بينهم فى الفصل الاول

---

(١٤) انظر : Primer Acto 1964. p. 130

سوى « خابيير Javier » المثقف الجامعى الذى يكتوى بنار الحرب دون ذنب جناه سوى أنه من جيل قد كتب عليه شقاء الحرب دون ان يعلم ، جيل حكم عليه بالاعدام ـ كما يقول فى نهاية المشهد الخامس من الفصل الاول ـ بينما كان يتفتح على الحياة والعمل والدرس والانتاج . اما « بيدرو Pedro » الجندى القديم الخبير فهو أوضح من يليه من النماذج المحددة . ويفوقهم جميعا فى وضوح شخصيته وعمله « العريف جوبان Cabo Goban » الذى يمثل السلطة العسكرية وتشددها ولا انسانيتها ، فهو يدفع بأحد جنوده الى الحراسة فى نوبته بالرغم من الحمى التى تهز جسده حتى يعثر عليه زميله مغشيا عليه ، وعندما يختلف مع احدهم بوسعه ضربا ولكما ، ويصر على ان يوقظهم جميعا خلال البرد القارس قرابة الفجر لمجرد اطاعة الاوامر مما يولد فى نفوسهم الحنق والغيظ ويدفعهم الى قتله بالسلاح الابيض فى نهاية الفصل الاول . لكن اذا عدنا الى تفحص هذه المجموعة الغريبة وجدنا أن السمة الاولى لها هى أنها فصيلة ـ من مذنبى الجيش الذين أرسلوا الى هذا الموقع المتقدم بجوار الغابة قرب العدو المتوحش لان لكل منهم ذنبا قد ارتكبه وخطيئة يدفع بعمله فى هذا المكان ثمنها ، فبعضهم كان قد سرق خبز زملائه وباعه ، ويمثل فى نظر زميل له ـ وربما فى نظر المؤلف كذلك ـ هؤلاء الذين يتاجرون بأقوات الناس فى السلم ويعتصرون دماءهم فى الحرب من جنس المستغلين ، وبعضهم الاخر قد قتل رئيسه فى الميدان فى عراك تافه ، والثالث قد أخذت عليه معاملته السيئة للأسرى انتقاما لزوجته التى اعتدى عليها الاعداء فى غيبته والتى فقدها بعد ذلك ولا يدرى عنها شيئا . هم اذن مذنبون فى وقائع محددة ، ولكنهم بالرغم من ذلك ، أو بسبب ذلك ـ يمثلون مجتمعا عسكريا صغيرا يسلط عليه المؤلف الأضواء ليحلل ما يسوده من انانية وفردية وتسلط ، فهو اذن هجاء للنظم العسكرية قبل ان يكون نقدا للحروب وكشفا عما يحركها من شذوذ لا انسانى باسم النظام والقوانين . وأهم ما نلاحظه على هذه المجموعة المصغرة هو أنهم جميعا لا يعرفون معنى لما اجبروا على القيام به أكثر من أنهم يمضون عقوبة فى انتظار الموت على الحدود ، وحتى أكثرهم يقينا واقتناعا بعمله ـ وهو العريف قبل مصرعه . لا نتمثل له من غاية فى هذا الموقع سوى تدريب رجاله على أعمال العنف والقسوة والبلوغ بهم أقصى ما يستطيعونه من طاعة آلية وطبيعة لا انسانية حتى يسلمهم للموت ، فالموت قد أصبح غاية فى حد ذاته ، والعدو شيء مبهم لا ملامح له ، والوطنية كلمة ترد فى السياق مرة واحدة ليسخر منها الجميع ، والموقف فى نهاية الامر ليس سوى محصلة للعبث الوجودى الذى لا يستهدف سوى ادانة الروح العسكرى ، لكن : هل ينجح فى هذه الادانة ؟ أولا : نجده باختيار أنماط المذنبين فى هذا الموقع قد أضعف منذ البداية عنصر الاقناع ، لانه ليس بوسعه ان يزعم ان هذا هو المستوى العادى لفصائل الجيوش فى العالم ، ليسوا جميعا مذنبين مدانين ، ومن هنا فان المصير الذى تستحقه هذه الفصيلة الخاصة يظل خاصا معهم ويفقد صلاحيته للتعميم ، فهم أشبه بمجموعة من المجرمين لا من العسكريين العاديين ، وسلوكهم بعد موت العريف برهان على ذلك . ففى الفصل الثانى يتبين ان الهجوم الذى كان منتظر ان يشنه الاعداء لم يقع وأن

فترة بقائهم فى هذا الموقع قد أوشكت على الانتهاء ولا بد أن تأتى الدورية لترى ما حل بهم . هنا ينشب صراع حاد بين « بيدرو Pedro » من ناحية و « ادولفو Adolfo » ـ أشدهم اجراما ـ من ناحية أخرى ، فالأول ـ تمشيا مع طبيعته العسكرية ومسئوليته كرئيس ثان للجماعة ـ يقرر ان يسلم نفسه ويعترف بما حدث ويواجه مصيره طبقا للنظم المعمول بها ، لكن الثاني يهدده ويتوعده لانه اذ يشي بنفسه سوف يجرهم معه ، ويظهر « بيدرو » رباطة جأش وعزم أكيد على الاعتراف بكل شيء ، ويشرح له أن لا جدوى من قتله هو الآخر لأن ذلك سوف يزيد الطين بلة ولن يمكنهم تفسير موت الاول بموت الثاني وهم المهتمون أساسا . وينتهي الأمر بأن يقرر « أدولفو » الهرب من المعسكر واللجؤ الى الجبل وممارسة حياة العصابات المسلحة بالسطو والسرقة ، ويقرر زميل ثالث لهم أن يسلم نفسه للأعداء ويعيش فى معسكرات الاعتقال مع الاسرى ، ويقرر « خابيير » المثقف المفكر الذى يحمله المؤلف دلالة المسرحية أن أجرى وسيلة لمواجهة الموقف هى أن يضع نهايته بيده ، اذ يكمل بذلك جزاء ذنب أول ـ وربما كان ذنب الجنس البشري كله في الحياة ـ فيشنق نفسه على فرع شجرة قريبة . ولا يبقى على المسرح سوىالعجوز « بيدرو » نموذج الجندي الذي لا مناص له من ان يسلم نفسه ويقص روايته على رؤسائه و « لويس Luis » الشاب البرىء الذى كان يقوم بالحراسة عند وقوع الجريمة .

واذا حللنا كلمات « خابيير » التى تعد مفاتيح المسرحية فى نهاية المشهد العاشر وجدناه يقول : « وصلت الى النتائج المرجوة ... لم يكن موت العريف جوبان امرا بلا معنى ... كان جزءا لا يتجزأ من صورة العقاب الكبير ... نعم ، عندما كان حيا كنا نعيش فى شيء من السعادة . كان يكفى ان نطيع وان نتعذب . وكان بوسع كل منا ان يتوهم أنه يتطهر حتى يستطيع الخلاص ... وقد تركنا نقتله ... لكي تستمر عملية التعذيب وتزداد ... لقد تقرر ان نموت على نحو قذر ولا أعرف أين تقرر ذلك ... نعم هناك شخص يعاقبنا لسبب ما ... علينا فى النهاية ان نؤمن بشيء كهذا ... غلطة ما ... ترجع الى ... ذنب غامض ... ليست لدينا عنه أدنى فكرة ... لعله مضى منالوقت الكثير منذ ...

وواضح أن المؤلف يمنح هذه الشخصية سلطة فكرية خاصة للتعبير عن آرائه، فهل يتوافق هذا التعبير مع بنية الأحداث فى المسرحية ؟ أغلب الظن انه لا يتوافق ، والدليل على ذلك أننا لا نستطيع ان نقره على أنهم كانوا سعداء مع العريف .. ولا أنهم كانوا يتطهرون بالعذاب معه ، فمجريات الوقائع فى المسرحية لا تجارى هذا التبرير ، وعندما نجح المؤلف فى ان يجعلنا نتعاطف مع جريمة قتل القائد فإنه قد اختار شخصيات المسرحية من النوع المندفع العنيف وجعل التعايش معه أمرا لا يطاق ، وترك للمنطق الانسانى أن يتحكم فى الجزء الاول من المسرحية . اما فى الجزء الثانى فقد بدد شخصياته لاثبات فكرة عبثية وجودية والصق بهم آراءه هو ـ في تلك الفترة ـ دون أن تنبثق ضرورة من الاحداث . واذا كانت هذه المسرحية فى أسبانيا حينئذ لانها ضد العسكريين فمن يتأمل بدقة مدلولها يرى أنها لم تنجح تماما فى ادانة النظم العسكرية كما أشرنا من قبل ، فلو أن الجنود قد تحملوا

قائدهم وأطاعوه ــ كما تقضى بذلك الروح العسكرى لكان هذا خلاصهم الوحيد ، فالطاعة هى المنقذ من الفوضى والضياع ، والخروج عليها هو سبب المأساة ، لا هذا السبب الميتافيزيقي الوجودى الذى لايخلو من صبغة مسيحية والذى يشير الى الذنب الاول والتكفير عن شيء غير مفهوم ، وليس هناك امتداح لفاعلية النظم العسكرية أقوى من ذلك . (١٥)

غير أن كلمات « خابيير » وان لم ترتكز على دعائم قوية من تطور الاحداث نفسها قد أضفت على المسرحية قوة مأساوية أصيلة ، فقد جعلت القدر المجهول هو المسئول عن مصير الشخصيات لا ارادتهم الحرة الواعية ولا اختيارهم النظيف، وكل هذا يعطى لرؤية ساسترى الوجودية مذاقا يجعلها أقرب لكامي منها لسارتر ، ويخرجها من الاطار المحلى المحدود لتعالج القضية الانسانية متحررة من الشروط التاريخية المحددة . واذا تذكرنا أن هذه المسرحية قد كتبت عقب اكتشاف ساسترى عام ١٩٥٠ على وجه التحديد لكتاب « بيسكاتور » المشار اليه من قبل عن المسرح السياسى كان لا بد لنا أن نتساءل عن مدى ما تتضمنه حقيقة من سياسة .

وأول ما ينبغي أن ننتبه اليه فى هذا الصدد هو أن الرقيب لم يكن ساذجا عندما منع عرضها بعد قليل ، فهو قد ادرك خطورتها على النظام القائم من الوجهة السياسية . فأهم شيء يريد أن يحجبه عن الانظار هو حق أية جماعة فى تغيير وضع يرهقها والقضاء على رئيس يستبد بشئونها ، وثلة الجنود التي قتلت العريف بشكل اكتسبت به تعاطف الجمهور تمثيل لأى مجتمع عسكرى أو مدنى يقرر التخلص من استبداد حاكمه بقوة السلاح . وهذا ما لا يريد النظام أن يسمح به ولو فرضنا على خشبة المسرح ، فالطاعة أمر ضرورى حتى للحكام المستبدين . وهذا المؤلف الذى يبث بمثل هذه الاحداث بذور التهييج الاجتماعى والاثارة السياسية خطر على الاستقرار الذى كانت تحاول الاجهزة المختلفة ضمانه لحكم « فرانكو » . اما مصير المتمردين بعد ذلك والذى تمثل فى ضياع معظمهم بين التشرد والخروج على القانون أو التسليم للاعداء أو حتى الانتحار فهذا هو المعنى الوجودى لفداحة المسئولية التى تقع على عاتق الفرد بعد أن يغزو حريته ، مسئولية قد تؤدى الى هلاكه ماديا أو معنويا . لكنه على أية حال ــ حتى عندما يكون على قدر كبير من الالتزام بأصول اللعبة مثل « بدرو » ــ الجندى الذى خلف العريف فى القيادة ــ على استعداد اذا ما استقبل من أمره ما استدبر أن يختار حريته مرة ثانية ويدفع ثمنها ادانة القانون له وتصفيته ماديا أو أدبيا .

وقد كتب المؤلف بعد خمسة عشر عاما من تأليفه لهذه المسرحية يصفها بأنها « سلمية عدمية ، تشبه حفلة لمصارعة الثيران ، يشترك فيها ستة ثيران ــ ثيران الموت ــ فى حلبة احتضار وجودهم الفردى » (١٦) وهذا يذكرنا بما دعا اليه بعد

---

(١٥) انظر : Ballester, Torrente. "Teatro Espanol Contemporano" Madrid 1968, p. 525.

(١٦) انظر : Sastre, Alfonso. "Algunas Noticias que de elautor de este teatro" : Teatro Selecto. Madrid 1966. p. 9.

ذلك من وجوب قيام نوع من الجدلية الخصبة لدى الشخصيات فى تكوينها العميق بين مصيرها الفردى ـ وأفقه الموت ـ ومصيرها التاريخى ـ وأفقه الاشتراكية . وهذا يعنى طبقا لمنطق المؤلف نفسه ان شخصياته فى هذه المسرحية لم تكن قد عثرت بعد على بعدها الاجتماعى أو التقطت الخيط الثانى من الجدلية التى يدعو اليها مما جعلها تغرق فى مصائرها الفردية دون أن تستشرف مستقبلا تستبصر فيه أفقا انسانيا جديدا .

الكمامة :

اما المسرحية التالية من هذه المجموعة التى نقدمها للقارىء العربى فهى **الكمامة** وقد عرضت لأول مرة فى مدريد عام ١٩٥٤ ، وترجمها الى الالمانية «وولفجانج نوفير Wolfgang Nufer» وعرضت على مسرح الشباب فى هامبورج عام ١٩٥٨ . كما ترجمها الى البرتغالية « اخيتو جونثا لبيث Egito Goncalves وعرضت على المسرح التجريبى فى لشبونة عام ١٩٦١ ، بالاضافة الى ترجمات أخرى فرنسية وانجليزية لا نقف عندها اذ أننا نقتصر على خطوات المسرحية الأولى فوق الخشبات الاوربية .

ومحور هذه المسرحية أيضا هو الجريمة ، نوع خاص من الجرائم التى ترتكب خلال الحرب أو بسببها ، وجيل ساسترى الذى فتح عينيه على حرب أهلية ضارية وحرب عالمية طاحنة رضع مشاهدها وتربى على شائعها ، فليس بوسعه أن يهرب من آثارها أو يتجنب الحديث عن وقائعها وعواقبها . لكنه يفعل هنا ما فعله فى « فصيلة الموت » يجرد الحرب من طابعها الاسبانى الخاص ، فأحداث المسرحية تقع فى قرية ما ـ فى أى بلد أوربى ، ربما كان فرنسا على وجه الخصوص ـ عقب انتهاء الحرب وجلاء قوات الاحتلال الاجنبي ، واسبانيا ـ كما هو معروف ـ لم تكن طرفا فعالا فى الحرب العالمية الثانية ولم تدخلها قوات الاحتلال النازية لانها كانت متعاطفة معها . وبطل المسرحية « اساياس كرابو Isaias Krappo » لاحظ غرابة الاسم وطابعه غير الاسباني ـ بطل من ابطال المقاومة الذي كان يقود حملات وطنية ضد قوات الاحتلال ومن يتعاون معهم من الخونة ، لكن ساسترى لا يحس بهذه البطولة ولا يقدرها لانها لا تمسه ولا تمثل شيئا عايشه وعاناه ، فأعماله التى قام بها أثناء الحرب تقدم على أنها جرائم هى الاخرى ، وهى لا تقف عند أعمال الحرب النظيفة المباشرة وانما تتعدى ذلك الى الاعمال اللا أخلاقية القذرة ، فهو ينتهك أعراض الصبايا ويغرر بالفتيات ويقتل لتغطية جرائمه ، وهو حتى بعد انتهاء الحرب لا يكف عن هذا السلوك بشكل ما . فهو اذن نموذج للعجوز المتصابى والمجرم المتخفى فى ثياب الوطنى . ويقدمه لنا المؤلف فى المشاهد الأولى وقد تصدر مائدة العشاء ولاحظ بغضب شديد غياب احد ابنائه عن موعده واعتبره اهانة للأسرة ، وعندما تنبرى زوجة ابنه الكبير للتعبير عن رأيها يرشقها بكلمات لاذعة يندد فيها بعدم توفيق ابنه في اختيارها مما ينم عن العداء بينهما ، ولكنه لا يلبث

عندما يختلى بها أن يحاول بثها غزلا سخيفا مدعيا بأن قسوته معها أمام الجميع كانت لتغطية موقفه والحفاظ على احترامه فى عيونهم ومهابته امامهم .

اما شخصية الأم فهى نموذج للدعة والرأفة والحنان ، وهى تتميز الى جانب صفات الأم فيها بخاصية أخرى هى قدرتها على الاستبصار والتنبؤ ، فالجـــو حار قائظ ، وهي تخشى الحر وتخاف مغبته وتعدد الجرائم التى حدثت فى القرية نتيجة له فى بداية المسرحة . كما انها تشعر بالاختناق اول المشهد الرابع وترى فى شدة الحر ايذانا بانفجار عاصفة لابد لها أن تقوم حتى يعتدل الجو ، هذهالعاصفة ليست سوى رمز للاحداث القادمة تلتقطه حساسية الأم المرهفة . ويذكرنا هـذا الحس المرهف وقدرة الام على النبوءة بمشاهد نظيره فى مسرح « لوركا » خاصة فى عرس الدم حيث تشم الأم ريح المأساة القادمة وتتعجب من الخنجر الصـغير الذى يطوى النور الكبير اذا ما نفذ الى قلبه .

لكن : عندما تقع الجريمة فى مسرحية الكمامة فهى تقع بلا رهبة ولا خـوف ولا اى مظهر مأساوى جليل ، يقع القتل كحدث تافه غير معقول أيضا ، اذ يأتى زائر بالليل لرؤية الاب ، ونعرف من الحوار أنه قد خرج لتوه من السجن ، وانه موتور يبحث عن الثأر ، فقد كان من المتعاونين مع الاعداء ، وهاجمته كتيبة « اساياس كرابو » وقتلت الجنـرال الـذى كان يصحبه وأسرت امرأته وابنته ثم قضت عليهما . وقد جاء لينتقم ، ويتوعد العجوز بأنه سيميته شر ميتة ، لكنه لا يلبث ان يخرج من عنده بلا أقل حذر ولا أدنى حيطة ، لدرجة أن العجوز يتبعه ويرديه صريعا بطلقة رصاص محكمة تنفذ الى قلبه ، ويتصادف وجود « لويسا Luisa » زوجة ابنه يقظة حينئذ ، فتطل من النافذة وتراه ، وتصعق لما حدث لكنه يأمرها بالصمت والكتمان . وعندما يأتى المحققون ينكر أية صلة بالحادث وينجح فى حمل لويسا على ان لا تبوح بشىء للبوليس، لكنها لا تستطيع تحمل السر وحدها فتفضي به لزوجها « خوان Juan » وهو بدوره يرى ضرورة أن يطلع أخاه « تيو Teo » عليه ، ونتبين أن هذا الاخير كان يشك فى حقيقته وانه سمع فى القرية كثيرا عـن فظائع ابيه خلال الحرب وانه لا يكن له سوى المقت الشديد . ويحاول المؤلف أن يقنعنا بمبررات هذا الكره الغريب للاب ، فيسوق على لسان ابنه بعض الأحداث التى أججت كرهه لأبيه مثل معاملته السيئة لأمه ، وجرحه لكرامته أمام حبيبته وتغزله بها ، ولكن كل هذا لا يزيد من درجة اقتناعنا بهذه الشخصية البشـعة ، فليس هناك من الوقائع والاشارات ما يملأ شخصية الاب ويرفعها الى درجـــة الاحتمال الضرورية فى المسرح ، وليس هناك من المبررات ما يجعلنا نفهم بغـض هذا الابن لأبيه بمثل هذا العنف الذى لا تساوره فيه أدنى رحمة ، فاذا ما ســـأله أخوه : هل ستشى به أجاب بالنفى لا لأنه يشعر تجاهه بأى تعاطف وانما لانه يخاف منه خوفا رهيبا يملك عليه أقطار نفسه . وكما أن المؤلف قد أضاع الملامح الخاصة المحلية لموقع المسرحية المكانى فهو بهذا التعميم النمطى اللامعقول قد قدم لنا رسما لعلاقة لا واقعية لأب بأبنائه ، علاقة تقدم على الغدر من قبل الاب والكره من جانب الابن ، ومهما كانت اشكال هذه العلاقات الانسانية فى الواقع المعاش فهي

لابد مختلفة عن ذلك جد الاختلاف ، ولا بد أن لها محاور أخرى وزوايا مختلفة لم ينجح المؤلف فى التقاطها وملء نموذجه بها .

وتمضى أحداث المسرحية كنتيجة طبيعية لهذه الفروض الدرامية ، فزوجة الابن لا تلبث أن تعترف للجميع بما رأته ، اذ أنها لا تطيق الصمت ، وتنتهى بالاعتراف للبوليس ، ممزقة الكمامة التى كانت تمنعها من الشهادة عليه ، كمامة الخوف من جانبها وأثر من الرعاية والاشفاق والخوف أيضا من قبل الاخرين . وعندما يأتى مفتش البوليس للقبض على العجوز يتذكران سويا أيام الكفاح خلال المقاومة ، ويتفقان على أنه لو كان قد قتل غريمه فى هذه الاثناء لما كان ذلك جريمة بل بطولة ، وأن الخطأ فقط هو أنه لم يقتله فى الوقت المناسب . ومع ذلك يقبض عليه ويكرر الأب حجة الأم فى أن حرارة الجو هى التى دفعته الى القتل ، وهي حجة لا قمية لها من الناحيتين النظرية والعملية ، ويريد المؤلف ان ينتهى العجوز نهاية بشعة حيث يحاول الهرب من السجن فيصطاده البوليس بالرصاص الذى يمزق جسده . وعندما يصل ابنه الاكبر خوان لمعرفة ذلك وقصة على بقية أفراد الأسرة يكون رد الفعل غريبا أيضا ، فهم يشعرون بالسلام والطمأنينة ويتفقون مع خوان على قوله فى النهاية : بالرغم من كل شىء .. هذه الليلة بالذات يا له من احساس بالطمأنينة ... يا له من احساس عظيم بالطمأنينة وعلى كل حال فاننا لا نبكى وانما نشعر بالهدوء . وقد يكون من الصعب علينا أن نعترف بذلك . فالجو طيب ، ويبدو أن العام المقبل سيكون حسنا .. وستكون هناك أعياد كما كانت من قبل ، وسيشعر الناس بالبهجة فى كل المقاطعة وسنكون نحن معهم .

وليست هناك نهاية أشد اثارة للدهشة من ذلك ، فمهما كانت شخصية الأب عنيفة قاسية ، ومهما كانت علاقاته سيئة بأولاده ، ومهما حاول المؤلف اضفاء مزيد من التشويه عليه كتمهيد لهذا الموقف بأن جعل زوجة ابنه تعترف بمضاجعته لها لتثير نقمة أبنائه عليه فان هذه النهاية تظل بلا معنى ، اذ تعتمد على ادانة الاب لقسوته بتجريده من كل ما يتسم به الأب عادة مما يجعله أبا غير واقعى ويجعل شماتة أبنائه فيه ، حتى زوجته الحانية الوديعة التى لا تنبس بكلمة تعليقا على اعتراف زوجة الابن بفعلها الجنس الوقحالذى يدينها قبل أن يدينه تكتفى هذه الأم بالموافقة على انها تشعر لاول مرة في البيت ، بروح السلام الحقيقي وبانها ستكرس حياتها للصلاة من أجل انقاذ روحه فى الدار الآخرة ، كل ذلك يجعل هذه الشماتة السوداء حقدا ضالا على شخصية مفتعلة لا تنبض بروح الواقع ولا تمثل مختلف القوى فيه بل هى شخصية تجريدية ذهنية توشك ان تتطابقمع شخصية الشيطان الميتافيزيقية .

أقول هذا وانا أعرف على وجه التحديد أن هذه الشخصية مستلهمة من واقعة اشتهرت باسم : حادثة لورس » (١٧) أخذها ساسترى وصاغها مسرحيا على

(١٧) نظر المصدر السابق لمؤلفه Ballester, Torreate

هذا النحو لأن قوانين الامكان والاحتمال وطريقة بناء النموذج فى الفن تختلف عن نسيج الحياة الفعلى المركب الذى لا تكاد نرى منه بضمة خيوط ظاهرة سطحية ويتعين على الفنان أن يحاكى ما لا نراه من الواقع حتى يكون نموذجه مقنعا وممثلا لشيء من فكرة عن الحياة . وربما كانت صدمتنا بشخصية هذا الاب وعدم بنوة أبنائه له مصدرها أننا ننظر للأمر بمشاعرنا نحن الشرقيين التى تخضع فى التحليل الاخير لمنظور عاطفى قد يختلف عن المنظور الغربى فيما يتصل بالبر والعقوق واخلاقيات الأسر وحياء المرأة وغير ذلك من القيم التى لا ينبغي ان نحاسب بها كاتبا غربيا يمثل جيلا ثائرا على موروثاته نفسها التى هى بالتأكيد أشد تسامحا وأقل عاطفية من موروثاتنا .

وهكذا نجد أن تفسير هذه المسرحية على المستوى الواقعى المباشر ينتهى بنا الى التردد فى قبول نماذجها الأساسية والشك فى صلابة بنيتها الدرامية ، وافتقاد المعنى الكلى الأخير ، فهى لا تصلح نقدا للحرب لأنها لا تجسم فظائع حرب بذاتها ولا تكشف عما تفعله فى عامة الناس وانما عن أثرها فى شخصية شاذة عنيفة ليست أساسا يقاس عليه الآخرون ، ولا تصلح لأن توضع تحت شعار « الجريمة لا تفيد » لأن استمتاع البطل بالحياة وتلذذه — غير السادى — بازاحة كل ما يعوق هذه المتعة الحيوية الغامرة يجعل الجريمة من أحسن الوسائل لمعانقة الحياة والانتشاء بخمرها حتى الثمالة . اذن لا بد لنا من أن نبحث عن مستوى آخر نعثر فيه على المعنى الحقيقى لهذه المسرحية ، ولا يعنيني ان يكون شعوريا اولا شعورى عند الكاتب ، فأعظم الاعمال الفنية قد يعجز مؤلفوها أنفسهم عن تحديد كنهها ، وأغلب ظني أن هذه المسرحية رمزية ، واذا كانت الظروف الموضوعية التى تولد الرمز — الى جانب اصطناعه كأداة فنية نفاذة قادرة — هى القهر السياسي والحساسية الدينية والممنوعات الاخلاقية فان ساسترى كان يعاني من جميع هذه الضغوط . فهذا الرجل الذي يسمى « اساياس كرابو » تمثيل فني لفرانثيسكو فرانكو — لاحظ تشابه ايقاع الاسمين — ديكتاتور اسبانيا خلال قرابة أربعين عاما متوالية ، وهو الذى انتهك حرمات الاسبان فى الحرب الاهلية وبعدها بحجة الوطنية والشرعية ، وهو الذى وضع أضخم كمامة على أفواه محكوميه — عائلته — حتى لا يبوحوا بجرائمه ، وهو الذى لم يتورع عن قتل المعارضة — التي تمثل اعداءه — حتى بعد ان اكملت عقوبتها واتمت مدة سجنها وجاءت فى أوائل الخمسينات — عندما كتبت المسرحية — تطالبه الحساب ، وهو الذى ارتكب من المخازى ما لا يمكن ان يعادله فى بشاعته وجرمه الا رمز الزنى بالمحارم ، وهو الاب الوحيد — الحاكم الوحيد — الذى نفهم مدى كره أبنائه له وخوفهم منه . ووشاية خليلته به وقبض البوليس عليه وعودة السلام لاسبانيا — الأم الصابرة — وللبيت والجيران ليس الا تعبيرا رمزيا عما حرم منه المؤلف وكان يتمناه حينئذ في اعماق نفسه من نهاية مروعة لهذا الطاغية الذى كان يتشبث بالحياة بطريقة أسطورية بالغة بالرغم من ان وظيفته كانت تتلخص طول عمره فى منح الحياة لمن يشبعون نهمه الحسى المادى وانتزاعها بلا رحمة ممن يقفون فى سبيله حتى لو كانوا نساء أو أطفالا أو عزلا اداروا له ظهورهم .

بهذا التفسير الرمزى فقط تكتسب مسرحية **الكمامــة** فى تقديرى مدلولها السياسي الذى طالما ألح ساسترى على البحث عنه فى المسرح والتركيز عليه فى النقد ــ ومن الغريب أن نقاده قد لحظوا وجه الشبه بين هذه المسرحية ومسرحية « أونييل » « **رغبة تحت شجرة الدردار** » (١٨) لكنهم لم يلتفتوا الى هذا الجانب الرمزى الى درجة اننى ترددت كثيرا فى اثباته . لكننى بعد الفراغ من هذا التحليل عثرت على بعض الكلمات التي تجرا ساسترى وكتبها عن قصده من هذه المسرحية تؤكد ما أزعمه من هذا الفهم الرمزى وتضيف اليه عنصر القصد والنية . فقد كتب فى مقدمة أعماله المختارة المنشورة عام ١٩٦٦ وهو بصدد استعراض مسرحياته العشرين وتحديد هدفه من كل منها او وظيفتها فى الاطار العام لتطوره ــ كتب يقول « اما الكمامة فانها شديدة الحذر .. آه !! لدرجة أن الجمهور لم ير فيها سوى دراما ريفية فى الوقت الذى حاولت فيه من خلالها أن أحتج ضد الرقابة التى منعت مسرحياتى الثلاث الاولى » ولم نكن نتوقع من المؤلف فى هذه الفترة أن يصرح أكثر من ذلك بالمدلول السياسي الرمزى لمسرحيته والا صودر كتابه هذا بدوره . ومن هنا فان مشروعيته تأويل الرمز فيها تكتسب قوة جديدة اذ أن الرموز الكبرى فى الفن يجدر بها أن تكون ارادية واعية لا مجرد اسقاط نفس لاشعورى ويكون على النقاد اكتشاف أبعادها ومعادلاتها .

النطحــة :

توشك أن تكون هذه المسرحية هى الوحيدة فى المجموعة المقدمة التي تمثل على المستوى المباشر الحياة الاسبانية فيما يميزها عن غيرها ، ذلك لأنها تتناول من بعض الجوانب الخاصة ظاهرة مصارعة الثيران وحفلاتها التى تعد مهرجانات قومية حقيقية ، اذ تتراءى فيها ظاهرا وباطنا الروح الاسبانية الخاصة ، ففي الظاهر تبدو حليات المصارعة وكأنها عيد للألوان الزاهية والعــواطف المتفتحة والرغبة الجماعية فى متابعة الحركات الجسورة واللفتات الفنية على ايقاع موسيقى تنتظم به الحركات والالوان والاصوات بشكل منسق متناغم . اما فى الباطن فهذه المصارعات أعنف تعبير عن طبيعة الشخصية الاسبانية والروح الدرامى الخاطر الذى يسيطر عليها والرغبة العاتية فى تأكيد الذات ، انها التحدى المنظم للقوى الاعظم والامتحان المتوالى لقدرة الانسان على الافلات من قبضة الموت . ان القانــون الذى تقاس به براعة الحركة فى المصارعة هو مدى تعريضها للخطر ، فكلما كانت خطيرة كانت علامة على الاستاذية والمهارة . فهي بجد لعبة الموت التي يتعشقها الاسبان على جميع مستوياتهم وطبقاتهم ، وكل حفلة من حفلاتها تصلح مادة درامية ومأساوية متفجرة ، اذ يلعب فيها القدر مع المقدرة لعبة مصيرية حادة مسنونة،وتبدو فيها رغبة الانسان فى الانتصار على عجزه وقد جعلت منه وحشا يصر على تكافؤ الفرص بين المصارع والثور ويرفض أى ترجيح لكفة أى منهما . وقد نجح لوركا من بين الشعراء

---

(١٨) انظر : Marquerie, Alfredo. "Viente anos del teatro en Espana. Madrid 1959. p. 201.

المحدثين فى التقاط الايقاع الزمنى الرهيب بأبعاده المأساوية فى هذا الصراع فى مرثيته الشهيرة فى الساعة الخامسة مساء » واستحضر ساسترى هذه الروح بتصديره لمسرحيته بأبيات لوركان التى تقول :

وفيما عدا ذلك لم يكن هناك سوى الموت ، ولا شيء الا الموت .

كانت الساعة عندئذ هي الخامسة مساء

وأول ما يلفت النظر فى هذه المسرحية هو بنيتها العامة ، اذ تتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة . وفى المقدمة يضعنا المؤلف بمهارة مسرحية فائقة وحس فنى مدرب فى مكان تسترق منه السمع لما يدور فى حلبة المصارعة دون أن ندرى أننا فى المكان الحساس الذى سوف يتحول الى بؤرة الاهتمام ، فى حجرة الطبيب الملحقة بكل حلبة والتى لا تعمل الا فى اللحظات الحرجة عندما يطول قرن الثور المدبب بضعة من جسد المصارع الراقص ، ونشهد فى هذه الحجرة حوارا بين الطبيب ومساعده الشاب تبرق فى ثناياه بعض الومضات النقدية التي لا تلبث - أن تنطفىء لتفسح المجال للأحداث الانسانية المكثفة ، ففي تعليق عابر للدكتور يقول لمساعده « أنت تعلم أن مصارعة الثيران هى الشيء الوحيد فى اسبانيا الذىيبدأ فى موعده المحدد بالضبط » وهو يقطع الوقت بلعب الشطرنج مما يلقى دلالة خاصة على طبيعةاللعبة الاخرى ، فهى ليست خطا فحسب وانما هى تكنيك وخبرة وذكاء مثل الشطرنج . وهو فى ثرثرته التى توحى فى الظاهر بالعفوية يقدر لنا نذر المأساة ، فمتعهد المصارع يطارده نوع من الطموحالاحمق الذى احترف بناره من قبل عدة مصارعين أخر ، وهو يصر على استمرار الحفلة بالرغم من المطر والبرق والرعد أى أنها تسير فى خط عكسي لما تريده الطبيعة وتفرضه الحيطة ، وأكثر من ذلك عندما يصل المصارع جريحا يكتشف الطبيب انه قد مات قبل أن يصل اليه ، لا بجرح المصارعة وانما بجرح آخر غائر من سلاح أبيض كان يكتمه ، وكان يجب عليه بالتالى أن لا يدخل الحلبة فى هذه الظروف . تبدأ المسرحية اذن من نهايتها وتمضى بعد ذلك على طريقة « الفلاش باك » السينمائية لاستعراض ما حدث من قبل . ومن حقنا ان نسأل الى أى حد يعتبر استخدام هذا التكنيك مواتيا لطبيعة الاداء المسرحي ومساعدا على تحقيق الغرض الكلاسيكي الذى رصده أرسطو للمسرح وهو التطهير من مشاعر الخوف والرحمة . ومن حقنا ايضا ان نتساءل : ألا يحيل هذا التكنيك المسرح الى لون من البحث القضائي والتحقيق الجنائي الذى كلف به ساسترى كما رأينا فى مسرحياته السابقة ؟ وقبل أن نجيب على هذه التساؤلات ينبغي لنا أن نلتقط بعض الخيوط الرئيسية فى المسرحية .

يقدم لنا الفصل الأول مجموعة من الشخصيات الاساسية بقدر كاف من الاستبطان والانارة الداخلية عن طريق رصد علاقاتهم فيما بينهم . فشخصية المصارع « خوسيه البا Jose Albe » ليست كما يتوقع الناس نموذجا فى الشجاعة ورباطة الجأش والحزم وانما هو على العكس من ذلك شاب شبه مثقف -

وربما يتنافى ذلك مع مقتضيات عمله ، اذ خرج من كلية الطب قبل ان يكمل دراسته ـ شديد التأمل فى ظروفه والتفكير فى خواطره والانتباه الى وجوه ضعفه وتصوره . وهو يعانى من حالة غريبة توشك ان تكون صرعا مرضيا يخففها عليه متعهده بتسميتها اضطرابا عصبيا خفيفا وهو منفصل عن زوجته التى لا تزال تحبه وتترصد اماكنه وتأتى للقائه مزمعة استخلاص حقوقها المادية منه ، فاذا ما أخذها بين ذراعية ذابت حبا ووجدا ونسيت ماجاءت فى سبيله أو لقيت بالفعل ما تبحث عنه ، وأهم مافى هذا الفصل هو التحليل النفسى الدقيق لطبيعة العلاقة الغريبة بين المتعهد والمصارع، فليس يعنى الاول سوىاستثمار صاحبه الى أقصى حد واستقطار جهده فى سبيل الكسب والشهرة والمجد ولو أدى هذا الى قتله ، فهو اذنيتاجر بروح غيره ، وهو لا يعرض نفسه ولا ماله للمخاطر ، وقد سبق له ان استهلك آخرين واستنفذ طاقتهم ثم لفظهم بعد ذلك .

ونتابع فى الفصل الثانى تطور الاحداث حيث نرى المتعهد وقد جن جنونه لان المصارع قد تصالح مع زوجته بحجة انه لا يستطيع ان يرعى مصالح مصارع يفكر فى زوجة واسرة ، بل لابد له فى تقديره من أن يكون انسان اليا لا تخامره ادنى العواطف ولا تربطهبالحياة أية علائق ، لابد له أن يعانق الموت كل يوم . ويتغير سلوك المتعهد تجاه صاحبه فكأنه يسحب البساط من تحت قدميه ، فلا يوحى له بالثقة ولا يهون له من شأن الثيران ولا يلطف له الجو كما تعود دائما بل يذكره بخوره وضعفه ويهول له من شأن اعدائه ويبالغ فى تحذيره منقسوة الظروف الجوية ، وينهار صاحبنا الذى اعتاد غير ذلك ، وفى لحظة يائسة يستل سكينا يغمدها فى بطنه شروعا فى الانتحار . لكنه بعد ان تجرى له طبيبة صديقة ـ دخلت مجرى الاحداث بطريقة لبقة ذكية من قبل ـ الاسعافات الضرورية يقرر له المتعهد ضرورة الذهاب الى الحلبة والتذرع بسوء الجو لالغاء حفل المصارعة ، ويكون بوسعنا آنذاك ان نستخلص ان الحفلة لم تلغ وان المصير المشئوم كان ينتظر المصارع .

الى هنا والمسرحية لا تكاد تشى بأى معنى يتجاوز مدلولها الواقعى الحرفى ، فهى لا تتعدى قصة الصراع بين الاستغلال الاعمى والقدرة البشرية المحدودة ، بين المتعهد الجشع والمحترف المغلوب على أمره ، وانتحار ليس الا تعجيلا باللحظة المنتظرة ليس الا وضع السكين مكان قرن الثور ، ليس الا استحضار النطحة التى لا حل لمشكلته سواها . ولكن مؤلفنا لا يكتفى بهذا البعد الدرامى لعمله ، فيلحق به خاتمة ملصقة تقع فى بار يديره شاب من هواة المصارعة كان يطمح فى الشهرة والمجد ، وكان قد سبق له أن ادخله ايضا فى نسيج المسرحية بمهارة كبيرة ، ونلتقى فى هذا البار بالمتعهد نفسه وقد تخلص من آثار الحادثة السابقة وأخذ يغرى الشاب الهادى بمشروع جديد لتعبئة حملة دعائية لصالحة ، وادعاء انه يهرب من قرون الجوع الى قرون الثيران ، لعل هذا يجلب له السياح ويضمن له الرواج . ويرفض الشاب أن يقيم شهرته على الكذب واستغلال آلام الاخرين ، ويودع المتعهد بشيء من القسوة والجفاف ، فى نفس اللحظة التى يدخل فيها البار شحاذ بائس هو بالذات اولى ضحايا المتعهد الذى لا يتعرف عليه بعد ان امتصه ولفظه .

وتتيح هذه الخاتمة للمؤلف ان يضع على لسان الهاوى « باستور Pastor » فى النهاية هذه الكلمات ، لكننى أعرف مما رأيته أن هناك فى هذه الحياة من يحيون على تعاسة الآخرين ، من يستغلون كل ما هو خطر ليعيشوا ... بكل الأشياء المسكينة التى ينطفىء لهيبها رويدا رويدا .. وهذه أيضا حكاية اسبانية ، أليس كذلك ؟ هناك من يلقى بالآخرين الى المصارعة ويتفرج على الثيران من خلف الحواجز ويحتفظ لنفسه بأموال من ماتوا ؟ وهذا هو المعنى الاجتماعى لاستغلال البرجوازيين الذين تحولوا الى رأسماليين واصيبوا بالجشع ونزعوا الى تحطيم القيم الانسانية التى تقف فى وجههم أو تحول بينهم وبين استنزاف أعلى نسبة من الكسب .. المشروع فى عرفهم . وهذا ما تريد ان تقوله المسرحية فى نهاية الأمر .

لكننا نعود الى مشكلة « الفلاش باك » لنرى أن ايراد النهاية فى بداية المسرحية قد جعل متلقيها ــ قراءة أو مشاهدة ــ يحصر اهتمامه فى التعرف على الجانب مما يكاد يقترب بها من مجال الروايات البوليسية ، ويساعد على ذلك ضعف الموقف وعدم الاقتناع الكامل ــ على مستوى المسرحية ــ بالدوافع التى حدت بالبطل الى الانتحار . اذ ان شخصية المصارع الانبساطية بالرغم من جميع الدلائل المضادة وقراره الايجابى فى نفس الوقت بأن يعود الى زوجته يجعلان من الصعب علينا ان نفهم لماذا يشق بطنه بالسكين ، ولماذا يخضع بهذا الشكل الذى يشبه التنويم المغناطيسى لارادة المتعهد وينزل الى الحلبة جريحا ، وما دامت المسرحية تعتمد فى بنائها على قدر غير يسير من التحليل النفسى فلا بد لنا من ان ننتظر منها دقة الفروض والنتائج وصلابة التركيب الدرامى ، وهذا ما تفتقده الى حد كبير . الا أن المشهد الاول ــ المقدمة ــ لو تأخر الى مكانه الطبيعى فى المسرحية لقابلتنا مشكلة أخرى هى غرابة شخصياته ــ الطبيب ومساعده ــ وبروزهما بروز بطولى فجائى ، وقد يفد هذا بطبيعة البنية المسرحية التى تعتمد على الدقة واتقان أدوار الشخصيات وضبط الايقاع فى دخولها للحدث وخروجها منه ، وهذا ما برع فيه المؤلف كما رأينا وضحى فى سبيله بجزء كبير من تماسك منطق الأحداث ومبرراتها الداخلية ، فلو كان قد أخر هذا الجزء لما كان بوسعه أن يترك هذه الفجوات دون اجابة مقنعة .

وتظل القضية الأساسية فى المسرحية هى احباط الفرد فى ظل النظم الرأسمالية وضياع قدراته المبدعة بين أنياب الجشع الاستغلالى ، وهى قضية لا ينجح المؤلف فى الاشارة الى أى مخرج ــ عادى ــ منها ، فالمشاهد لا يلبث بدوره ان يستشعر كثيرا من الاحباط عندما يرى أن المصارع الهاوى الذى خير بين ارتداء الحلة الموشاة بالذهب و « مريلة » العمل لم يجد أمامه حفاظا على قيمه الرمانسية سوى أن يرضى بالأخيرة . ولا ندرى ان كان اخفاق الحلول العادية فى مسرح ساسترى ايذانا بضرورة الاعتماد على الحلول الجذرية الثورية أم أنه لم يكن قد اتضحت له الرؤية فى تلك الآونة مما جعله يصيب جمهوره البرجوازى بالاحباط دون أن يرفع حرارة حلوله الى الحد الذى يعوضه عما فقده . وأيا ما كان الامر فان ساسترى قد حاول فى هذه المسرحية أن يقدم نموذجا اسبانيا خالصا فى شروط

تاريخية محددة مما جعله أقرب ما يكون الى طبيعة المسرح الواقعى الذى طالما دعا نظريا اليه وان كانت نقاط الضعف فى التحليل العميق للدوافع ومتابعة النتائج الحتمية لمنطق الاحداث نفسها قد شاب هذه الرؤية الواقعية بكثير من الضباب وجعلها لا تعثر على خاتمة لها سوى هذا الموقف الرومانسى من المصارع الشاب .



● فصيلة على طريق الموت

تأليف: الفونسو ساستري
ترجمة: د. احمد يونس
مراجعة: د. احمد هيكل

العنوان الأصلي للمسرحية

ESCUADRA HACIA LA MUERTE

DRAMA EN DOS PARTES
ORIGINAL DE

ALFONSO SASTRE

EDICIONES
ALFIL
PREMIO NACIONAL DE TEATRO

شخصيات المسرحية

ادولفو لافين	جندى	Adolfo Lavin
بيدرو ريكي	جندى	Pedro Recke
لويس فوث	جندى	Luis Foz
جوبـــان	عريف	Goban
خابيير جادا	جندى	Javier Gadda
اندريس خاكوب	جندي	Andrés Jacob

تجري الاحداث فى بيت لاحد حراس الغابات ، اثناء الحـــرب العالمية الثالثة .

الجُزء الاول - اللوحَة الأولى

داخل بيت أحد حراس الغابات يرى بزاوية عمودية . الخلفية تبدو كثيفة الأشجار . وفي المقدمة توجد فسحة هى الغرفة الوحيدة في المنزل . هناك مدفأة مشتعلةحولها أمتعة الجنود الستة ، وهى غير مرتبة . في الركن خمس بنادق ورشاش ، وقد وضعت جميعا على حواملها في نظام . هناك أيضا صناديق للذخيرة ،وبرميل ملىء بالماء، وتلفون خاص بالمعسكرات ، وبطارية كهربائية ، وكومة كبيرة من الحطب ، وعلبة للأدوية عليها صليب أحمر . باب في ، الصدراةونافذة عريضة في جدار مائل ناحية واجهة المسرح .

(ساعة الغروب . يجلس حول النار كل من أدولفو ولويس وبيدرو فوق مراتب الجند وقد طويت . يلعبون الزهر (١) ، على حين يرقد خابيير على مرتبته المبسوطة وهو يغالب النعاس . وفي ناحية أخرى ، العريفجوبان ينظف بندقيته بعناية . هنا تبدأ الأحداث) .

أدولفو : (يلقى بالزهر) زوج آس .

بيدرو : (يفعل نفس الشيء) آس واحد . هه ، أنت يالويس، عليك الدور .

---

(١) لعبة اسبانية يستخدم فيها كوب من الجلد توضع فيه مكعبات صغيرة ذات رسوم رقمية على جوانبها وتلقى على المائدة ليرى من الذى يحقق نتيجة افضل بحصوله على ارقام اكثر .. المترجم

لويس : (يبدو أنه غير منتبه) هـــه ؟

بيـــدرو : الدور عليك .

(لويس لايقول شيئا ، وانما يضع مكعبات الزهـــور واحدا اثر آخر في الكوب ويلعب دون أن ينظـــر الى النتيجة) .

أدولفـــو : لقد خسرت . لعبت مرتين ، فالعب مرة أخرى (يلعب لويس مرة أخرى) بنتان . ارمى (يضع لويس المكعبات الثلاثة في الكوب ويلعب) المجموع أربعة ، حســـن (لويس لايترك الكوب) أتعطيني الكوب ؟

لويس : آه . . نعم . . معذرة .

(يعطيه الكوب ويلقى أدولفو بالمكعبات) .

بيـــدرو :ماذا بك ؟ ألست على مايرام ؟

لويس : الأمر أنني . . . لابد أن حرارتي قد ارتفعت قليـــلا (يشير الى جبهته) أشعر بحرارة هنا .

بيـــدرو :استلق قليلا لنرى ما اذا كانت حالتك ستتحسن .

لويس : لا . أفضل أن . . . اذا استلقيت فان النتيجة ســـتكون أسوأ . . . أفضل ألا أستلقى . سوف أتحسن بعد حين . من الذى عليه الدور ؟

أدولفـــو : أنا (يلقى بالمكعبات ، ويعود فيلقى بها جميعا مرةأخرى مقطب الجبين ثم يلعب) ثلاثة ملوك .

بيـــدرو : (يلعب) اثنان . . (يلقى مرة أخرى) وأربعه ،وأضف واحدا آخـــر .

(يقول ذلك لأدولفـــو)

أدولفـــو : أعرف هذا (يتثاءب . يلعب ويضحك) خمس مكعبات حمراء . . يكفيني .

بيـــدرو : (يلعب) أقل (الى لويس) أنت (لكن لويس لايستمع اليه . يطرق برأسه ويضغط بقبضتيه على فوديه . يتصبب عرقا) لويس ، لكن . . ما الذى جرى لك ؟

لويس : (يتأوه) رأسى يؤلمنى كثيرا (يرفع عينيه المغرورقتين بالدموع) لابد أن ذلك قد حدث بالأمس أثناء مـــدة حراستى . . . أصبت بالبرد . . . والبرد لايناسبنى . . . منذ الطفولة (يتأوه) يؤلمنى كثيرا .

بيـــدرو : انتظـــر .

(ينهض ويتجه الى خلفية المسرح . يفتح علبة الأدويـــة ويخرج أنبوبة يأخذ منها قرصا . يخرج من جيبه كوبـــا يصب فيه قليلا من الماء ، ثم يضع فيه القرص) .

العريف : (دون أن يلتفت) ماذا تفعل ؟

بيـــدرو : قرص . . . للويس ، انه ليس على مايرام .

العريف : (دون أن يرفع رأسه) ، ماذا به ؟

بيـــدرو : رأسه يؤلمـــه . انه مريض .

العريف : (يهز رأسه) ليس في استطاعتنا أن نسرف في استعمال الأدويـــة .

بيـــدرو : لكن الأمر يا سيدى العريف . . . .

العريف : (يبتسم بجفاء) انني أتحدث بصفة عامة . اذا كان رأسه

يؤلمه فلتعطه القرص المسكن ، ولن نتحدث في الامـــر بعد ذلك . أنا أيضا انسان رحيم وان لم يبد عليّ ذلك أحيانا . ما أقوله لكم هو أن هذا الوضع قد يستمر وقتا طويلا ، وأنه ليس مسموحا لنا أن نطلب العـــون من ادارة الامدادات والتموين . ولقد أعطتنا القيادة مـــن الغذاء والتموين ما يكفى لشهرين ، وخلال هذيـــــن الشهرين فاننا لسنا موجودين بالنسبة لأحد . ولقد سجل التاريخ الذى سنبدأ بعده في الوجود . . في فبراير . . . حتّى ذلك الوقت ، فان الذين يعرفون أننا موجودون هنا يفكرون في أمور أخرى (يرفع رأسه) حسن ، مـــاذا تنتظر ؟ (يؤدى بيدرو التحية العسكرية ويعود الى حيث يوجد الآخرون . يستمر العريف في تأدية عمله)

بيـــدور : (يعطى الكوب للويس) خذ هذا .

لويس : (يأخذه) شكرا .

(يتكئ على الحائط ويبقى صامتا)

بيـــدرو : (الى أدولفو) أتريد سيجارة ؟

أدولفـــو : حسن (يشعلان سيجارتين . بدأ العريف في التّرنم بأغنية) ها هو ذا قد بدأ يغنى .

بيـــدرو : نعم . من الواضح أنها تعجبه . . . هذه الأغنية .

أدولفـــو : الاستماع اليه يجعلنى عصبيا .

بيـــدرو : لمـــاذا ؟

أدولفـــو : هذا لايُعرف سببه شيء لايعجب الإنسان وكفى . (يقذف بيدرو بقطعة خشب في المدفأة) .

بيــدرو : كم هو مناسب هذا المكان . هه ؟ حول النار (يدخن . يزيد التهاب النار) انه يذكرني بقريتي . كانت الأسرة كلها في مثل هذه الساعات تتجمع حول النار .

أدولفــو : أنا أيضا قروى ، لكني عشت حياتي كلها في العاصمة .

بيــدرو : تركت الضيعة عندما بلغت الثامنة عشرة ، ولم أعد بعد ذلك أبدا . لدى الآن تسعة وعشرون عاما .

أدولفــو : ما الذى كنت تفعله قبل ذلك ؟

بيــدرو : كنت أعمل في إحدى الورش . وأنت ؟

أدولفــو : أعمال تجارية (لحظة سكون . يدخنان . يخفت من صوته) اسمع ، ألا يشعر هذا الرجل بالبرد ؟

بيــدرو : (يضع أصبعه في فمه) أسكت . سيسمعك . وهو حاد المزاج للغاية .

أدولفــو : أعرف ذلك . لكن الأمر لا يهمني . لمــاذا لا يجلس بجانب النار مثلنا ؟ انه من ذلك النوع من الناس الذين لا يعجبونني . يعاملنا أســوأ معاملة ، ياله من متوحش! (لا زال العريف يترنم) لا بد أنه يظن نفسه شيئا مهما ، مع أنه ليس لديه سوى شريطة العريف تلك القذرة . انه واحد من هؤلاء المتقدمين في السن الذين يظنون أنفسهم جنرالات .

بيــدرو : هل ستصمت أم لا ؟
(لحظة سكون)

أدولفــو : (يلقي السيجارة بحركة مفاجئة) ثلاثة أيام قضيناها هنا ، وها هي ذى تبدو كما لو كانت الأبدية .

بيـــدرو : أظن أننا إذا بدأنا هكذا بعد خمسة أيام من تعارفنا ، فما أســوأ ما ستكون عليه الحال فيما بعد . .

أدولفــو : ها نحن قد بدأنا ، فما الذى بدأناه . ؟

بيـــدرو : بدأنا بألا يحتمل أحدنا الآخر .

أدولفــو : باه ! ! .

بيـــدرو : الحقيقة أن هذا الوضع المتمثل في أننا لا نفعل شيئا . . . الانتظار فقط . . ليس شيئا لطيفا أبدا .

أدولفــو : لا . . ليس شيئا لطيفا أبداً ، خاصة لأننا نعرف ما الذى ينتظرنا . . . إذا لم يكن هناك من يحول دون وقوعه .

بيـــدرو : ما الذى تريد أن تقوله ؟

أدولفــو : لا شيء .

بيـــدرو : حسن ، أفضل شيء نفعله هو ألا نجعل حياتنا مـــريرة بالتفكير فيما ينتظرنا أو فيما لا ينتظرنا . لأن أحدا لا يعرف شيئا عما سيحدث . . . .

أدولفــو : لقد فكرت في أنه من المحتمل ألا يقع الهجوم .

بيـــدرو : هذا ممكن . بالنسبة لى ، فإنني أفضل أن يحدث العكس .

أدولفــو : آه ، أتفضل الـ . . . . ؟

بيـــدرو : نعم . مالا يعجبني هو ألا يحدث شيء ، فمنذ ثلاثة أشهر وأنا لم أطلق عيارا واحدا ، وهذا لا يناسبني .

أدولفــو : والآن ستظهر بزى الوطني .

بيـــدرو : لا ، لست وطنيا . الأمر يتعلق بـ . . حسن ، انها قصة يطول شرحها .

أدولفــو : لمــاذا زجوا بك في هذه الفصيلة ؟ كل واحد منا يعرف أنه موجود هنا لسبب ما . هذه هي القضية ، أظن أنهم يسمونها فصيلة العقاب . موقع خطير و . . . احتمالات النجاة قليلة جدا . حسن ، لمــاذا زجوا بك فيها ؟ لم يحدث ذلك لأنك رجل فاضل ، هه ! ملاك صغير .

بيــدرو : لا ، طبعا . . . لقد أسأت معاملة بعض الأسرى كما يقولون .

أدولفــو : ماذا فعلت بهم ؟ أكنت تسلخ جلودهم ؟ أم أنك كنت تقتلع عيونهم بدقــة ؟

بيــدرو : لا شيء . ثم ماذا يهمك في الأمر ؟ أتركني في سلام .

أدولفــو : أنك تكره هؤلاء الناس . أليس كذلك ؟ . الأعداء . . . الأعداء الغامضون . أرواح شرقية . . . مجردة وقاسية ، هل تكرههم ؟

بيــدرو : من كل قلبي .

أدولفــو : لا بد أن لديك أسبابا خاصة .

بيــدرو : (بجهد) نعم ، أسباب خاصة جداً . انها تخصنى فعلا (ينهض ويتمشى بعصبية وقد وضع يديه في جيبيه . يتجه ناحية النافذة ويظل ينظر إلى الخارج) إنه لــبرد هائل في الخارج . أليس كذلك يا عريف ؟يالهذا الجو .

(يرفع العريف كتفيه . يضع التّرباس في البندقية ثم ينهض ويترك السلاح في أحد الأركان . يتمطىّ بينما يراقبه أدولفو في صمت . يقترب العريف من المكان الذى يرقد فيه خابيير ويركله بقدمه) .

العريف : هه ، أنت . لقد نمت طويلا (يتقلب خابيير بهـــدوء) هل تسمعني ؟ انهض .

(يركله من جديد بقدمه . يعتدل خابيير ويبقى جالسا . يخرج من جيبه نظارة ويضعها على عينيه) .

خابيـــير : ماذا هناك ؟

العريف : لقد نمت طويلا . هل ظننت أنك في أجازة ؟

خابيـــير : (ينهض ويقف في وضع انتباه) لا . . لم يكن لدى شيء أفعله . !

العريف : كان عليك أن تظل منتبها ومستعدا . أيبدو لك هذا شيئا قليلا ؟ خذ مدفعك الرشاش (يذهب خابيير إلى رشاشه ويأخذه ثم يعود بجانب العريف) انه قـــذر . نظفه .

خابيـــير : أمـــرك .

(يجلس ويحاول تنظيفه بدون حماس) .

العريف : وهذا ، ما الذى حدث له ؟ ألا يزال مريضا ؟ (يرفع أدولفو كتفيه) أنت . كفاك تمثيلا .

(لا يفتح لويس عينيه ، فيضربه العريف على وجهـــه بظهر كفه) .

لويس : (يحاول فتح عينيه بصعوبة) رأسى . . لا يزال يؤلمني كثيرا ، كما لو كان لدى شيء ما هنا (يشير إلى أحد فوديه) انه ألم شـــديد .

العريف : لا تقلق لهذا . سوف تكون على ما يرام أثناء الحراســـة . انها ورديتك .

لويس : (ينظر إلى ساعته) ورديتي ؟

(يحاول النهوض)

العريف : نعم ، ورديتك . هل يدهش ذلك السيد الصغير ؟ (يغير من لهجته) عليك أن تهتم أكثر من ذلك بالساعة ، أنت تعرف . آمل ألا يتكرر هذا مرة أخرى . . كنت ستفاجأ بشيء لا يعجبك . فلست أنا فراشا مدرسيا ، ولست أنت تلميذا ظريفا . انك ترتدى يا صغيرى زيا عسكريا . وإذا لم تكن قد اكتشفت ذلك من قبل فانك ستتعب كثيرا معى (ينهض لويس ويرتدى بمنتهى الجهد معطفه وحزامه العسكرى . يأخذ البندقية . ويتردد قبل أن يعلقها على كتفه . تقع البندقية على الأرض محدثة نوعا من الضوضاء) فيم تفكر أيها الأحمق ؟ لا يمكنك أن تترك البندقية تقع هكذا (يتكلم من بين أسنانه) هذا مالا ينبغي أن يحدث أبدا .

بيــدرو : أيها العريف ، أستطيع أن أقول لك إن لويس مريض حقا . سأقوم أنا بورديته .

العريف : أسكت أنت .

بيــدرو : الحقيقة أن . . . .

العريف : أسكت ، ولا تتدخل مرة أخرى فيما لا يعنيك . أما أنت فاذهب الآن . إنني لا أسمح لأى جندى أن يمرض هكذا كأنه فتاة صغيرة شاحبة . هذه هي ساعة تغيير الوردية ، وهو شيء مقدس (يخرج لويس مترددا . عندما يفتح الباب تدخل هبة هواء باردة . صمت . ينظر بيدرو بتركيز إلى العريف الذى يجلس بجانب النار ويشعل

سيجارة بينما يراقب خابيير وهو يؤدى عمله) هــذا التّرباس ليس نظيفا (يأخذ خابيير الجزء الذى أشار اليه العريف ويتفحصه) في إمكانك أن تنظفه بطريقة أفضل ، ألا تظن هــذا ؟ (خابيير لا يجيب ، وإنمــا يكتفي بأن يرفع كتفيه وهو يقوم بعملية التنظيف من جــديد) أحضر البرميل يا بيدرو .

(يأخذ بيدرو برميلا صغيرا ويحضره للعريف . يقتّرب أدولفو ، ويخرج خابيير من جيبه كوبا منبعجا . الجميع ينتظرون شيئا ما . يخرج العريف مغرفة ويعطي بها لكل واحد منهم قليلا من السائل الموجود في البرميل . يذوقه أدولفو ، بينما يشربه بيدرو على مرتين ، وخابيير دفعة واحدة) .

أدولفــو : (عندما يتذوق القطرة الأخيرة بتلذذ) لا أظن ياسيدى العريف أن قليلا من الكونياك سوف يضرنا . قليل فقط . ففى هذا البرد . . .

العريف : (يشرب كوبه الذى انتهى من صبه) القليل الذى نشربه ليس إلا لأن الجو بارد . لابد أن يكون المــرء حريصا مع الخمر . ليس من حق الجنود أن يشربوا . لقد رأيت بعض الجنود الممتازين يفقدون احتّرامهم لزيهم العسكرى بسبب الخمر .

بيــدرو : هل كنت جنديا طول حياتك ؟

العريف : (وهو يشرب الكونياك بسرعة) نعم .

بيــدرو : (محاولا التحدث معه) كم من الوقت مضى منذ

أن ارتديت الـــزى العسكرى يا عريف ؟ وهي في نفس الوقت طريقة لكى أسألك كم سنة عندك .

العريف : عندى تسعة وثلاثون عاما . . ولقد التحقت بالفرقـــة عندما بلغت التاسعة عشر ، لكنني كنت جنديا منـــذ الطفولة . . كانت هذه المهنة تعجبني . .

بيـــدرو : (يضحك) انك يا عريف من الرجال الذين لم يلبســـوا رباط عنق أبدا في حياتهم .

(لحظة سكون . يتوقف بيدرو عن الضحك . صمت) .

العريف : هذه هي حلتي الحقيقية ، وحلتكم أنتم أيضا ، وإلى الأبد . الحلة التي ستموتون بها (حيال الامارات التي ارتسمت على الوجوه يستغرق هو في الضحك ، بينما يتبادلون هم النظرات بقلق . يتخذ شكل العريف مظهر القسوة ثم يضيف) : هذه هي حلة الرجال : الـــزى العسكرى . نحن الرجال كنا دائما نلبس هكذا .قمصان خشنة ، وثياب تشعر المـــرء بالبرد في الشتاء وبالحـــر في الصيف . . أحزمة الجند . . والبندقية على الكتف . . وما عدا ذلك فهي ثياب المخنثين . . عار الجنس البشرى (ينظر إلى خابيير بتفحص . على حين يتظاهر هو بأن نظارته قد اتسخت ، وينشغل بتنظيفها) لكن ارتداء الثياب ليس كافيا . . على المـــرء أن يستحقه . . وهذا ما سأحققه معكم . . سأجعلكم تصلون الى مرتبة الجند لكي تكونوا قادرين على أن تموتوا كالرجال . الجندى ليس إلا رجلا يعرف كيف يموت ، وسوف تتعلمون

ذلك معى . انه الشيء الوحيد الباقي لكم . . . أن تموتوا كرجال ، وهذا ما نقوم بتعليمه في الجيش .

بيـــدرو : سمعت ياسيدى العريف أن ما يتعلمه المـــرء في الجيش هو كيف يحارب ، وكيف ينتصر بالرغم من كل شيء.

العريف : لكى نحارب وننتصر ، لابد لنا من أن نتنازل عن هذه الحياة القذرة ، وأنتم لم تتنازلوا عنها بعد ، أليس كذلك ؟ لا يزال لديكم بصيص عفن من الأمل . انكم لســتم جنودا . أنتم النفاية ، القمامة ، وأنا أعرف ذلك . . . عدد من الرجال الذين لا يريدون سوى أن يعيشوا دون أن يخضعوا لأى نظام . همجيون وجبناء ! حسن . سوف يكون عليكم أن تقبلوا نظام العريف جوبان ، نظام هذا الجندى القديم . ان ما أنا في حاجة اليه هو فصيلة على طريق الموت ، وسوف أحصل عليها . سأكونها منكم . فالقادة كانوا يعرفون ماذا يفعلون عندما وضعوا هذه الفصيلة تحت قيادتي . وسوف أذهب معكم إلى النهاية . سأموت معكم . لكنكم ستصلون الى الموت نظيفين ، وقد تم تفقدكم ، للتأكد من مدى عسكريتكم . وآخر ما ستسمعونه فوق هذه الأرض هو صوتي وأنا ألقي عليكم بالأوامر . سيكون عليكم أن تتحملوني حتى النهاية . وإذا كان هذا يضايقكم فلتموتوا كمدا .

أدولفــو : (بصوت متحشرج) . يا عريف .

العريف : ماذا ؟

أدولفــو : (بابتسامة ساخرة) إنني أعرف أى نوع من الرجال

أنت . انك من هؤلاء الذين يعتقدون أن الحرب شيء جميل ، أليس كذلك ؟

العريف : (ينظر إلى أدولفو بثبات) إذا لم تكن الحرب تعجبك ، فحاول أن تذهب من هنا ، وسترى ما الذى سيحدث عندئذ (يتمتم خابيير بشيء بين أسنانه) هل تقول شيئاً أنت ؟

خابيـــير : لا . . الأمر . . لقد آلمني أصبعي عندما كنت أركب الترباس .

العريف : كم يبدو عليك أنك أستاذ . أظن أن لديك نظريات حول هذا الموضوع ، وحول كل شيء كذلك . اشرح لنا نظرياتك الرقيقة ، فلقد حان الوقت لكى نسمع شيئا مسليا . هيا ، تكلم !

خابيـــير : (بعصبية) اصغ إليّ ياسيدى العريف . ليست لدى أى رغبة في الحديث عن أى شيء ، هل تسمعنى ؟ أنا هنـــا لأطيعك ، فما الذى تريده أكثر من ذلك ؟

العريف : (مقاطعا) هه ، هه ، حذار . دخان أقلّ (١) . إنني أتسامح مع هذه اللهجة . . . يا أستاذ .

خابيـــير : معذرة . . . الحقيقة أنني . . أنني عصبى .

العريف : هذا حق ، فالأستاذ عصبي للغاية ، وبالإضافة إلى ذلك فهو إنسان تعس إلى أبعد حد . أعتقد أن الوقت قد حان لكي يبدأ كل منا في التعرف إلى الآخر .

---

(١) عبارة شهيرة المقصود بها ان المتحدث الا يحتد فى الحديث . المترجم

(في هذه اللحظة يفتح الباب ويظهر أندريس ، يرتدى معطفه وقد رفع ياقته . يلبس قفازا ، ويمسك بالبندقية . يقترب من العريف) .

أندريس : أمرك أيها العريف .

العريف : اجلس .

أندريس : كنت أريد أن أقول لك أيها العريف أنني وجدت لويس في حالة سيئة ، لا تسمح له بالقيام بالحراسة . أخشى ألا يكون على ما يرام .

العريف : دعك من هذا . لقد فحصته أنا من قبل ، واتضح لى أنه ليس مريضا . ها هو كأس الكونياك المخصص لك (يخلع أندريس حزامه ومعطفه . يجلس ويشرب كأسه بتلذذ حتى القطرة الأخيرة) لقد وصلت في اللحظة المناسبة لكى تسمع حكاية لطيفة . كنا نتحدث عن الأستاذ خابيير .

خابيـــير : أسكت ودعنى في سلام من فضلك .

العريف : (ينظر إلى خابيير متفحصا) لقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن علاقتى بك لن تكون طيبة . اننا لا ننتمي الى نفس الطراز من الرجال . وقد كرهتك قبل أن أعرفك.. كرهتك عندما أحضروا لى الملف الخاص بك منذ حوالى أسبوع . من الطريف حقا أنه ما من أحد منكم كان يعرف الآخر منذ أسبوع . لكنني كنت أعرفكم جميعا . أما أنتم فلم يكن بينكم من يستطيع أن يتصور أنني موجود

على ظهر الأرض . أليس هذا صحيحا ؟ ومع ذلك فانه ما من شيء الآن يبدو لكم أكثر واقعية مني (يضحك).

أندريس : ماذا . . هل أعطوك الملفات الخاصة بنا ؟

العريف : نعم ، تواريخ حياتكم الظريفة (هناك نظرات قلقة) الجندي خابيير جادا ، القادم من فرقة المشاه رقم ١٥ ، التي كانت تباشر مهماتها جنوبي بحيرة أونيجا ، أليس هذا صحيحا ؟

خابيير : (موافقا) نعم ، قدمت من هناك . كان جحيما من الرشاشات . انه شيء . . شيء فظيع . (يضع يديه على أذنيه) .

العريف : لا تقلق ، فهذا أيضا جحيم آخر . الجندي أدولفو لافير ، فرقة المدفعية المضادة للدبابات ، المرابضة في سيفسك . هل تذكر ذلك ؟

أدولفو : (بتجهم) لم أنس .

العريف : أندريس خاكوب . جندي مستجد . قادم من معسكر التدريب في ليمبرج إلى فصيلة للعقاب . هل هو أنت ؟

أندريس : نعم ، أنا .

العريف : الجندي بيدرو ريكي . قاتل جيدا في جاركوف وميليروفو كان لديك كثير من الأسرى . أليس كذلك ؟

بيدرو : نعم .

العريف : أنت يا بيدرو جندي فعلا . . وأنا أهنئك على ذلك ، إذا نجونا من هنا ، فسوف يسعدني أن أراك مرة أخرى .

بيـــدرو : (بجدية) شكرا .

العريف : إذا كنتم تريدون أن تعرفوا . . إنني لست هنا إلاّ لكى أعاقبكم . أنا لست سوى واحد من المعاقبين . لست قديسا . لو كنت كذلك لمـــا تواجدت معكم .

(تسمع بعض الضحكات الباردة) .

بيـــدرو : (بجرأة) قالوا لى إنك . . كنت قد وصلت إلى رتبـــة أعلى في الجيش . أريد أن أقول . . إنهم قد جردوك من رتبتك . كنت جاويشا ، أليس كذلك ؟

العريف : من الذى قال لك هذا ؟ ما الذى تعرفه أنت عنى ؟ هيا ، تكلم .

بيـــدرو : شىء قليل .

العريف : آمل ألا يخجلنى . تكلم .

بيـــدرو : قالوا لى إن ملفك يحتوى على ثلاثة صلبان سوداء (١) .

أندريس : ثلاثة صلبان سوداء ، ما معنى هذا ؟

بيـــدرو : الأمر واضح . معناه أنه قد قتل ثلاثة رجال . هل هذا صحيح أيها العريف ؟ (ينظر العريف اليه بتفحـــص). عندما كنت جاويشا . . مات اثنان منهما أثناء العمليات الحربية ، والثالث أثناء فترة التدريب . أليس هـــــذا صحيحا ؟

العريف : (بعد لحظة صمت) نعم ، قتلت جبانين . الأول لأنه حاول الفرار . حدث ذلك في الحرب الماضية . أما في

---

(١) علامة يقصد اضافة نقطة سوداء فى ملفه .

المترجم

هذه فقد تكررت الحكاية . . . لقد رفض أن يقفز من الخندق . .

(يخفض خابيير عينيه)

بيــدرو : والثالــث ؟

العريف : (واجما) ما يتعلق بالثالث . . هذه مجرد حادثة .

بيــدرو : حادثــة ؟

العريف : نعــم .

(ينهض متجهما ، ويقطع الغرفة جيئة وذهابا)

بيــدرو : أى نوع من الحوادث ؟

العريف : (يتمشى) أثناء التدريب . . كنت أشرح حرب المواجهة والالتحام مع استخدام السلاح الأبيض . . . كان هو المخطىء . كان غبيا ، أصيب بنوبة عصبية . . ولم يكن يعرف كيف يأخذ وضع الاستعداد . . .

بيــدرو : هل قتلته ؟ هل مات هناك بالذات ؟

العريف : لم أكن أعى ما أفعل . كان الولد يرتعش وقد شحــب لونه . وهذا ما استثارني ، فطرحته أرضا بضربة واحدة ، ولا أعرف مالذى حدث لى بعد ذلك . كنت مصابــا بنوبة ، فأجهزت عليه بنفسى . . هناك . مزقته إربــا بالسونكى . كان غبيا . . غلاما شاحب الوجه ذا بثور (يغير من لهجته) والآن وأنا أتذكر ذلك يبدو لى أنــه كانت لديه . . (يلوى فمه) . . . نظرة حزينة . . . .

(بدأت الظلمة تخيم على المكان . . ظلام كلى)

اللوحـــة الثـــانية

يعود الضوء شيئا فشيئا . الوقت صباح

(لويس يظهر مستلقيا ، على حين يجلس خابيير بجواره. بيدرو يكنس الأرض ، بينما يحلق أندريس ذقنـــه في مواجهة مرآة صغيرة بجانب النافذة .)

خابيـــير : لاتشغل بالك أيها الولد . ليس عندك شيء . انـــــه في الغالب برد أصابك . . هبطت درجة حرارتك . . هذه علامة طيبة . . .

بيـــدرو : (وهو يكنس) أتركه الآن . لنرى ما اذا كان في وسعه أن ينام .

خابيـــير : (ينهض) هل سمعته وهو ينازع الليلة ؟

بيـــدرو : نعم ، ياله من ولد مسكين . . من المؤكد أن حرارته قد وصلت الى أربعين درجة . . ما أغرب الأشياء التى كان يقولها . . . (يكنس) كم أفزعنى شكله عندمـــا ذهبت لأتسلم منه الحراسة . كان راقدا على الأرض. . بلا وعى .

أندريس : (وهو على وشك الانتهاء من الحلاقة) هذا الرجـــــل متوحش ، لماذا أرغمه على القيام بالحراسة مادام مريضا؟ وانتم ، لماذا تركتموه يذهب ؟

بيـــدرو : وأنت ، لماذا جئت مع أنك رأيت أنه ليس قادرا على الوقوف ؟ كان عليك أن تحضره معك .

أندريس : وأترك نقطة الحراسة شاغرة . كان في وسع هذا الرجل أن يقتلني اذا فعلت . انه مجنون . وهو لا يعرف سلوكا يتبعه غير الأوامر العسكرية . اذهب أنت وحدثه عن واجب الرحمة بالآخرين .

خايبر : (وهو يتحدث بوهن) أندريس على حق . أخلاقياته جميعا تتركز في لوائح الجيش . وليت الأمر يقتصر على ذلك . . انه عدواني أيضا وجارح . بالأمس حاول أن يسخر مني ، وذلك بسرد مالا يعني أحدا . ما الذى لديه لكي يقوله عنا ؟ ألم تدركوا ذلك ؟ كان يبدو أنه يهددنا بما يعرفه عن كل منا . أظن أن أحدا لا يهتم بحياة الآخرين (تصدر عن المريض عبارة غير مسموعة) .

بيدرو : (يقترب) ماذا تقول ؟

لويس : (وهو يبذل جهدا كبيرا) أنا لا يهمني أن أقول السبب الذى ألحقوني من أجله بهذه الفصيلة . لقد رفضت أن أكون عضوا في هيئة تشرف على تنفيذ حكم الاعدام ، وهذا كل ما هناك . انني لا أصلح لعملية القتل بمثل هذا البرود . وهو الشيء الذى يسمونه امتناعا عن اطاعة الأوامر ، أو شيئا من هذا القبيل . الأمر يتساوى عندى ، واذا وضعت في نفس الموقف ، فسوف أرفض من جديد . . .

بيدرو : حسن ، أسكت . لا يناسبك أن تتكلم الآن ، والا سترتفع درجة حرارتك . ما عليك أن تفعله هو أن ترتاح .

لويس : أنا . . . كنت أريد أن أقول . . .

بيـدرو : لقد فهمناك . اسكت .

(ينهض خابيير ويقف بعيدا بعض الشيء . يشعل سيجارة ويدخن . انه واقف دون حراك) .

أندريس : (يجلس على متاعه بعد أن انتهى من حفظ أدوات الحلاقة) اذا تفحصنا الأمر ، فسنكتشف أن ماحدث لنا لسبب أو لآخر ، أمر فظيع . .

خابيـير : نعـم .

أندريس : هذه مصيدة فئران . ليس هناك مخرج ، وليس لدينا أمل في النجاة .

خابيـير : هذه هي . . (بحركة ساخرة) الحقيقة . اننا فصيلة من المحكوم عليها بالاعدام .

أندريس : لا . . بل هو أسوأ من ذلك . فصيلة من المعاقبين بانتظار الموت . انهم يقتلون المحكوم عليهم بالاعدام ، لكننا نعيش . . . .

بيـدرو : ألفت نظركم الى أن هناك فصائل كثيرة مثل هذه على طول الجبهة ، فلا تظنوا أننا في حالة خاصة . ما يحدث لنا لا أهمية له . ليس هناك ما يدفع الى الزهو . هـذا ما يطلقون عليه فصيلة الأمن . . . عريف وخمسة جنود كغيرهـم . .

(أندريس لا يسمعه)

أندريس : اننا (بفزع) على بعد خمسة كيلو مترات من قواتنا المتقدمة ، ونحن هنا في هذه الغابة بمفردنا . لا أظن أن

الأمر يمكن اعتباره مجرد مزاح . انه يبدو لى عقابـــا فظيعا . ليست لدينا مهمة أخرى غير تفجير حقـــل للألغام ، وبعدها نموت ، لكى يتنبه الأولاد الشجعان في الخط الأول ، فيستعدوا للدفاع . لكن فيما سيهمنا هذا الدفـــاع ؟اننا سنكون في عداد الموتي .

بيـــدرو : يكفى هذا . أليس كذلك ؟ انك تبدو طائرا يحمل الشؤم.

أندريس : اذا كانت هذه هى الحقيقة يابيدرو ، الحقيقة بعينها ، فما الذى تريدني أن أفعلـــه ؟ أن أغنى ؟ من المستحيل غض البصر . أنا . . . أنا خائف . . ضع في اعتبـــارك أن . . أننى لم أدخل اشتباكا فعليا بعد . . وستكون هذه المرة الأولى . . والأخيرة . لا أستطيع أن أتخيل شكل المعركة . و . . . . انه لأمر فظيع !

بيـــدرو : ليست المعّركة شيئا . لقد مررت فعلا بأسوأ ما في الأمر .

أندريس : وما هو . . أسوأ ما في الأمر ؟

بيـــدرو : المعسكر . التدريب . ست أو سبع ساعات من المـــشى تحت الشمس ، عندما لا يشعر الجاويش بالشفقة عليك . واحد . . اثنين . . واحد . . اثنين . . وكل ما تطلبه هو أن ترقد ووجهك الى أعلى كأنك حيوان ينفق . لكـــن الرحمة لا توجد . شمال ، يمين ، تقدم ، واحـــد ! اثنين ! بالخطوة السريعة . واحد ! اثنين ! واحـــد ! اثنين ! هذا هو أسوأ ما في الأمر . مسيرات طويلـــة بلا معنى . طرقات لا تؤدى الى أى مكان .

أندريس : (ببطء) أسوأ شيء بالنسبة الىّ هو هذا الانتظار الطويل

بيـــدرو : أربعة أيام ليست انتظارا طويلا ، وها أنت لست قادرا على تحمل ذلك . تصور أن هذا الوضع يمكن أن يستمر أياما وأياما . . يبدو لى أن علينا أن ندخر أنفسنا ، وأن نحتفظ بروحنا المعنوية مرتفعة . . . أما الآن . . فسنرى.

أندريس : (بعصبية) ألم يقولوا أن الهجوم شيء مؤكد ؟ لقـــد تعودت على فكرة الموت ،وهو لم يعد يهمنى . يقتلوننا ، ثم ينتهى كل شيء . لكن الوضع هنا يبدو كأنه ليست هناك حرب . . انه الصمت . نحن نعرف أن أمامنـــا ، خلف الأشجار يوجد آلاف الجنود المدججين بالسلاح ، وأنهم على استعداد لأن ينقضوا علينا . من يدرى ؟ ربما يكونون قد عثروا على مكاننا . لكنهم يسامحوننا مؤقتا . انهم واثقون من أننا في قبضتهم ، ولابد من أنهـــم يضحكون منا . هذه هى الحال . لقد وقعنا في المصيدة ! ونريد أن نسمع شيئا . . وليس هناك سوى الصمت . وقد يدوم هذا الصمت شهورا وشهورا ، فمن الذى يستطيع أن يتحمله ؟

خابيـــير : (بصوت عميق) يقولون أنهم أشداء وقساه ، ولكننـــا لا نعرف الى أى حد هم كذلك . . . هناك شيء نعجز عن فهمه ، وهذا الشيء هو الذى يشعرنا بالخـــوف . نعرف أن عقولهـــم مركبة بطريقة أخـــرى ، وهذا ما يقلقنا ، لأننا لانستطيع أن نقيسهم ، أو أن نرمـــز لهم بأشياء معروفة لدينا ، أو أن نمسك بهـــم داخـــل خيالنا . نعرف أنهم شديدو الايمان بقوتهم ، وبأنهم على حـــق . . . ونعرف أنهـــم يتخيلوننا فاسدين ومرضى

وعاجزين عن أية حركة تحتوى على معنى للايمـــان أو الأمل . جاءوا ليقضوا علينا . . ليحرقوا جذورنا . . انهم على استعداد لأن يفعلوا أى شيء . لكن ما هو هذا الشيء الذى هم على استعداد لأن يفعلوه ؟ ما هو هذا الشيء ؟ لو عرفنا ، فربما نصاب عندئذ بالخوف . . لكنني لست خائفـــا . . انه احساس أشـــبه مايكون بالعذاب . . وليس أسوأ ما في الأمر أن يموت المرء أثناء المعركة . . ما يخيفني الآن هو أن أنجو ، وأن أصبـــح أسيرا . . لأنه ليس في استطاعتى أن أتخيل الطريقة التى سيقتلوننى بها . . .

أندريس : نعم ، هذا حق . أفهم ماتريد أن تقوله . اذا كنا نواجه جنودا فرنسيين . . أو ألمان . . لبدا الأمر مختلفا . اننـــا نعرفهم . وكم رأينا أفلامهم ، وقرأنا كتبهم ،ولعلنا نعرف بعض الشيء من لغاتهم . هذا شيء مختلف .

خابيـــير : انهم فظعاء هؤلاء الناس . . وهذا البلد . . ما أبعدنا .

بيـــدرو : ما أبعدنا ! عن ماذا ؟

خابيـــير : لست أدرى . . لكننا بعيدون .

(صمت . يرتدى بيدرو الذى ينظر الى ساعته معطفه وحزامه العسكرى . يأخذ البندقية) .

بيـــدرو : الى اللقـــاء .

أندريس : الى اللقاء (يخرج بيدرو ويسود الصمت) لنرى مـــاذا يفعل العريف ؟

خابيـــير : انه يتمشى طويلا في الغابة . . يراقب . . أو لعله يتفقد حقل الألغام . ليس في استطاعته أن يمكث هادئا .

(يخرج أندريس بعض السجائر ويعطى واحدة لخابيير ، ثم يدخنان)

أندريس : (بعد فترة صمت) عندما تحدث العريف عنا ليلةأمس ، لاحظت أنك كنت شديد الشحوب (خابيير يظـــــل بلا حراك) لم يسعدني الأمر كثيرا أنا أيضا . ذلك أن. . الموضوع لايهم أحداً . أليس كذلك ؟ ما فعله الواحـــد منا . . .

خابيـــير : لا . لايهم أحداً .

أندريس : أنا أفضل ألا أقحم نفسى في حياة الآخرين ، على ألا يقحم أحد نفسه في حياتي .

خابيـــير : وأنا أيضا .

أندريس : في استطاعة المـــرء أن يقص على صديق له كل شيء . حتى أسراره . لكنه ينبغي أن يكون هكذا أولا ، ينبغي أن يكون صديقا .

خابيـــير : طبعا .

أندريس : يبدو لى أنه من الصعب اكتساب الأصدقاء أثناء الحرب. أننا نتحول خلالها إلى كائنات أنانية للغاية . أليس هـــذا صحيحا ؟ لا نكاد نفكر إلا في أنفسنا . في أن ننقذ أنفسنا حتى ولو كان ذلك على حساب الآخرين . أقصد الناس العاديين لا الأبطال .

خابيـــير : (مبتسما) هذا ما كان ينبغي أن نفعله . إذا تخلصنا من الأبطال فلن تكون هناك حروب .

(أندريس يضحك)

أندريس : يقول الآخرون عنك أنك ثقيل الظل وأنك تتخيل نفسك أفضل منهم ، لكنني لا أتفق معهم . هل كنت فعــلا أستاذا بالجامعة ؟

خابيـــير : نعم .

أندريس : أستاذ ! أستاذ ماذا ؟

خابيـــير : أستاذ الميتافيزيقيا (يضحك أندريس) ما الذى يضحكك

أندريس : هذا . . هذا هو ما يضحكني . أستاذ الميتافيزيقا ، والآن فانك مثلى مجرد قمامة . أنا الذى لم أتعد السنة الثانية في الدراسة . انها الحفرة المشتركة التي تضم الجميع .

خابيـــير : نعم ، الأمر مضحك فعلا .

أندريس : لم تكن الدراسة تعجبني ، أعني أننى كنت أشرب أكثر مما ينبغي . كنت أصل إلى حد الهذيان . إننى لا أصلح لأن أجلس في قاعات الدراسة . ولا لأن أرد على أسئلة الأساتذة الحمقاء . ظللت هكذا حتى ضجر أبواى ، وعندئذ تركت البيت . كان لدى عندئذ ستة وعشرون عاما ، ومع ذلك كنت لا أزال في السنة الثانية .

(يضحك)

خابيـــير : هل تركت البيت ؟ إلى أين !

أندريس : (يضحك) كونت أسرة . أعنى أنني اجتمعت بفتاة .

لم أكن قادرا على كسب قوتي ، لكنني ظللت بطبيعة الحال أشرب مع الأصدقاء . مشاجرات عند الفجر ، وعصى من الحرس ، وأقسام بوليس . سقطات ، ودماء ، ما هو طبيعي في مثل هذه الحالات . فارقت امرأتي وبقيت وحيدا . وهكذا استطعت في النهاية أن أشرب دون أن أقدم كشف حساب لأحد ، ودون أن يتألم أحد من أجلي (يبدو أن عينيه قد بدأ يغمرهما الدمع) حكاية سوقية كما ترى . الشيء الوحيد الذى يعزيني هو أن العمل الذى كان من الممكن أن أؤديه لم يكن ليفيد في شيء . يضحكني أن أراك هنا ، في هذا البيت الفظيع بدراستك الجامعية اللامعة . كنت تعيش مسندا كوعيك على الكتب . أليس كذلك ؟ مفارقات ! قصة مثالية تنتهي بنفس النهاية التي تختم بها قصة العربيد السكير المدمن العاجز عن كسب حياته بطريقة شريفة وبسيطة . هه ؟ يبدو لى أن الأمر لم يكن يستحق ياصديقى

خابيير : ربما . . ربما لم يكن الأمر يستحق . كنت أدرس لكى أعول أمي وأحصل على النفقات اللازمة لدراسة أخى . كنت أريد أن أرى المستقبل واضحا . كنت أريد أن أكسب مالا بطريقة شريفة وبسيطة كما قلت أنت . كانوا قد ضحوا من أجلى ، وكان علىّ ألا أخيب أمل أبي أو حنان وثقة أمى .

أندريس : ماذا كان يعمل أبوك ؟

خابيير : كان موظفا في بنك . كان يتمنى لى مستقبلا كريما

ولامعا . لكن المسكين لم يعش ليرى ذلك . مات قبل أن أتقاضى راتبي الأول من الجامعة .

أندريس : لكن ، ألم تكن ترى أنك كنت تعمل بلا فائدة ؟ ألم تكن تعرف أن شيئا كهذا كان لابد أن يحدث ؟ كان الجو مشبعا برائحة هذه الحرب العالمية الثالثة في القـــرن العشرين ، وربما الأخيرة . كل هذه الكتب التي قرأتها ، ولم تدرك أهم شيء .

أخابيـــير : لا . لم أكن أدرك ذلك . كنت في المكتبة ، ولم يكن هناك وقت . تحذيرات الصحف بدت لى مجرد صحافة . كنت مقتنعا في أعماقي بأن العالم قد نظم بشكل قوى ، وأن شيئا لن يحدث ، وأنه كان من الضرورى الكفاح في الحياة .

ندريس : أنا لم أكن أشعر بهذه القوة في نظام العالم . كان يبدو لى أننا نعيش في عالم يمكن أن يتلاشى في أية لحظة . كنت أدرك أننا في سفينة على وشك الغرق ، ولم تكن هناك فائدة من العمل ، وكان هذا يناسبني كثيرا .

خابيـــير : هل كنت تدرك كل شيء يا أندريس ؟

أندريس : هذا ما أقوله الآن على الأقل . يخيل إلى أننى إذا فكرت في الأمر مليـــا فإنني أشعر بأن هناك ما يبرر حياتي ، فعندما نصل إلى هذا الحد يكون من الضرورى للمـــرء أن يبرر حياته (يفتح الباب ويدخل أدولفو . يأتيمغتاظا. يخلع معطفه) ماذا بك ؟

أدولفـــو : لقد مللت .

أندريس : لعله لفت نظر لطيف من العريف ! أليس كذلك ؟

أدولفــو : ضاعف من وردية حراستي هذه الليلــة .

أندريس : لمــاذا ؟

أدولفــو : قال أنه قد رآني جالسا في نقطة الحراسة .

أندريس : ألم يكن هذا صحيحا ؟

أدولفــو : بلى . وماذا في ذلك ؟ (يجلس) بالإضافة إلى أنه يدعو إلى التقزز . انه يتجسس علينا ، يراقب كل حركاتنا ، حتى أبسطها . لا يمكننا أن نعيش هكذا . لقد مللت . ولقد تولدت عندى الآن وأنا أراه يبتعد رغبة في إطلاق النــار عليه .

أندريس : لا أعتقد أن الأمر يستحق كل هذا .

أدولفــو : بلى ، إطلاق النار عليه والتخلص منه ، عندئذ سنكون قد ارتحنا ، وسيكون في استطاعتنا أن نعيش ما تبقى لنا من الحياة في هــدوء . ولن يعرف أحد شيئا أبدا ، وحتى إذا عرفوا فان الأمر لم يعد يهمنا .

أندريس : ما الذى تقوله ؟ هل جننت ؟

أدولفــو : لا ، لست مجنونا . لقد فكرت في الأمر فعلا ، ولم يعد يهمني . لقد فعلت أشياء أســوأ . أريد أن أعيش في هــدوء ، وأن أفعل ما أريده . ذلك أن . . (يضحك بطريقة منفرة) ذلك أن هذه هي رغبتي الأخيرة (1) . (عندما يرى وجوه الآخرين يستغرق في الضحك من

---

(1) يشير الى رغبة المحكوم عليه بالاعدام الاخيرة .

المترجم

جديد ، ويدخل العريف في هذه اللحظة . يبدو عليهم القلق ، ويتجنبون نظرة العريف) .

العريف : ماذا جرى لكم ؟ فيم كنتم تتحدثون ؟

أندريس : (بعد فترة صمت) كان أدولفو يقص علينا حكاية مسلية ، لكنها لم تضحكني كثيرا . وكيف بدت لك أنت يا خابيير . ؟

خابيـــير : (وهو ينظر إلى أدولفو) لا ، لم تضحكنى أنا أيضا كثيرا .

ظـــلام

اللوحـــة الثـــالثة

(يشعل خابيير في العتمة شمعة بعود ثقاب . إنه قلق . يجلس على متاعه . يبصر بشيء من الصعوبة ، كُلاً من العريف ، ولويس ، وأدولفو ، وأندريس ، وقد بدأوا نائمين . يخرج خابيير كراسة صغيرة . يضعها على ركبتيه ويكتب بقلم رصاص) .

خابيـــير : « أنا خابيير جادا ، الجندى بسلاح المشاه . أطلب ممـــن يعثر على جثتى أن يبلغ أمي التي أكتب اسمها وعنوانها في نهاية هذه الوثيقة ، الظروف التي يعرفها عن موتي ، وأن يجعلها رقيقة بقدر استطاعته ، بحيث يكون النبـــأ على أقل قـــدر من العنف بالنسبة لها ، وذلك بدون تجنب للحقيقة . كما أرجوه أن يبلغها المكان الذى يرقد فيه جثماني . مـــرّ حتى الآن أسبوعان منذ أن قمنا

باحتلال هذا المكان ، وقد أصبحت الحالة تزداد سوءا من لحظة إلى أخرى حتى صارت غير محتملة . الهجوم لا يقع ، والأعصاب على وشك الانهيار . ولا يبقى كما هو إلا العريف . انه لايزال يحافظ على ساعات الحراسة والضبط والربط . نستيقظ في الساعة السابعة صباحا ، ولا أعرف لماذا . ونسير وفق نظام قاس في العمل والطعام . انه يرغمنا على أن ننظف الأسلحة والبيت . علينا أن نحلق ذقوننا كل يوم . وأن نلمع أحذيتنا وأسلحتنا . وكل هذا يبدو سخيفا في كل الحالات ، وخاصة في حالتنا هذه . اكتشفت الحقيقة خلال هذه الأيام . يبدو أننا في حالة جمود . وقد سجننا في هذا البيت . والحقيقة أننا نسير ونخطو يوما اثر آخر . اننا فصيلة على طريق الموت . نسير بنظام ، ونحن نطيع صوت إنسان مجنون ، وهو العريف جوبان » (يتقلب أندريس . يضيء عود ثقاب وينظر إلى ساعته . يتوقف خابيير عن الكتابة بينما يتثاءب أندريس الذى ينهض مرهقا مغتاظا . يرى خابيير) .

أندريس : ماذا تفعل هناك ؟

خابيير : أصبت ببعض القلق ، وأنا الآن أكتب خطابا .

أندريس : خطاب ؟ لماذا ؟ لا يوجد هنا بريد (يرتدى معطفه ، ويأخذ بندقيته) هذه هي لحظة استلام الحراسة اللذيذة (يخرج مترنحا . يمسح خابيير بيده على جبهته ، ويعود للكتابة) .

خابيير : « ليعرف من يجد هذه الكراسة أنني كنت جبانا . وهذه

حكاية لا أجرؤ أن أقصها على الآخرين . عندما طلبوني
إل أداء الخدمة العسكرية ، حاولت الاختفاء . وهناك
منذئذ إشارة في ملفي تصفني بأنني هارب من الجيش .
وبعد ذلك عرفت كيف أضيف لهذه الاشارة مـــزيدا
من الروعة بمزيد من الأعمال المخجلة . لم أكن أجرؤ
على إلقـــاء القنابل اليدوية أثناء التدريب ، ثم أنني قـــد
بكيت وقد شحب لوني خلال العمليات العسكرية . لكن
مالا أستطيع أن أنساه هو ما حدث يوما أثنـــاء عملية
انسحاب . جرحوا زميلي وسقط بجوارى وسمعته يقول
لى « اذهب ، اذهب وأتركني » كما لو كنت أنا قـــد
فكرت في البقاء ! لم أفكر في البقاء بجواره ، ولا في أن
أسأله عما إذا كان يريد شيئا من أمه ، أو عما إذا كان
يريد أن يبلغ شيئا إلى خطيبته . كنت أهرب وأهرب
كأنني مجنون قد فقد صوابه تمـــاما . وللحظة قصيرة
استدرت لأنظر إلى زميلى الذى كان مُلقىً على وجهه
وقد أصيب بجرح قاتل (هناك إنسان يتقلب . يرفع
خابيير رأسه . انه العريف) .

العريف : (وهو يحلم ، وقد تملكه اضطراب شديد) كانت
حادثة ! لم أكن أريد أن أفعل ذلك . كانت حادثة
(يئن ويتقلب) .

خابيـــير : (يعود للكتابة) « يبدو أن هذا العريف الملعون لديه
أيضا مايود أن ينساه . الحقيقة أننا جميعا هنا يعتصر
الإحساس بالذنب قلوبنا ، ونشعر بتأنيب الضمير . ربما
يكون هذا هو العقاب الذى نستحقه ، وأننا لحظة الموت
سنكون قد أصبحنا أنقياء وذوى كرامة » .

لويس : (من فراشه) خابيير ! خابيير !

خابيير : (يرفع بصره عن الكراسة (ماذا هناك ؟

لويس : (شاكيا) إنني في حالة سيئة للغاية .

خابيير : هل تريد شيئا ؟

لويس : لا .

خابيير : حاول إذن أن تنام .

لويس : الحقيقة أنني . . لا أستطيع . .

(يتقلب مرة ويبقى بلا حراك ، بينما ينظر جابيير إلى الكراسة من جديد)

خابيير : « تدهشني في لحظة الاعتراف هذه تلك الأنانية الدنيئة التي جعلتني أحاول الفرار عندما اشتعلت الحرب . إذا كانت هذه الحرب كما أعتبرها صراعا دنيئا ، فانني أيضا كنت كذلك . حاولت أن أهرب متشبثا بالحياة بكل قوتي ، كما لو كنت الإنسان الوحيد الذى يستحق أن يعيش ، بينما يعطي الآخرون دماءهم . يعطون دماءهم بسخاء وبدون مقابل . هذا هو ذنبي ، وهذا هو عقابي . والآن فانني أتمنى أن تكون هناك معركة ، وأن أفنى فيها ، وأن أنقذ بذلك روحى (يتوقف عن الكتابة لحظة ، وفي النهاية) . إنني أفكر في أمي وأنا أتأهب لكى أوقع هذا التصريح . أعرف أنها الآن مستيقظة ، وأنها تبكي ، وليس في الدنيا من يستطيع أن يعزيني بهذا الخصوص . لا أحد في الدنيا يستطيع أن ينتزع من عيني بكاء أمى » .

(يفتح الباب ويدخل بيدرو . انه يأتي من الحراسة) .

بيـــدرو : أندريس هذا اللعين ! كنت أظنه لن يأتي . كدت أتجمد من البرد (يجلس ويفرك يديه إحداهما بالأخرى) ماذا تفعل ؟

(يغلق خابيير الكراســة) .

خابيــير : (بصوت متردد) كنت . . . كنت أكتب خطابا .

ظـــلام

اللوحـــة الرابعـــة

يبدأ الفجر فى البزوغ

(العريف واقف ، بينما يستيقظ بيدرو ، وأندريس ، وأدولفو . يتحرك لويس . خابيير ليس موجودا) .

العريف : (يهـــز لويس) انهض ، كفاك تمـــارضا !

أدولفـــو : (وهو يلبس حذاءه) العريف معه حق . لم ترتفع حرارته بالأمس .

بيـــدرو : (متثائبا) تشجع يا ولد . الأفضل لك أن تبدأ في استرداد قواك ..

أدولفـــو : (يلقي ببعض المـــاء في زمزمية) كم ساعة حراســة عليك لنا يا لويس ؟ كان في استطاعتك أن تؤجل المرض إلى فرصة أخرى . لقد ضايقتنا كثيرا . أشعر برغبــة قوية في النوم (ينهض لويس بصمت . يعنى العريف وهو يغتسل) اللعنة . هذا هو أســـوأ شيء بالنسبة لى . أن أستيقظ في مثل هذه الساعة ، وفي هذا البرد ، وعلى هذه النغمة .

(لم يستمع العريف لكلامه . ليس لويس حذاءه ووقف بجهد . يتردد) .

بيـــدرو : كيف حالك ؟

لويس : يبدو أنني . . تحسنت . . (يسير بشيء من التردد . يصل إلى العريف . يؤدى التحية العسكرية) تحت أمرك أيها العريف .

العريف : (ينظر اليه من أعلى إلى أسفل) هذا أفضل . اغتسل وانضم إلى الخدمة . اننا نسير على نفس النظام الذى كنا نتبعه قبل مرضك .

(يلقي بيدرو بالحطب في المدفأة ، بينما يعـــد أدولفو القهوة) .

بيـــدرو : أوف ! ياله من يوم . يبدو لى أن الثلج سينهمر عندما يأتي عيد الميلاد .

أندريس : (الذى كان قد نهض صامتا ، ويبدو عليه أنه مســتاء ، يبدأ في دعك وجهه) البرد شـــديد في الصباح . وهو ما يضرني كثيرا . وبعد ذلك أبدأ في مقاومته . . في مثل هذه الساعات . . أوه ! (وهو يرتعش) في مثل هذه الساعات . . . يبدو لى أنني مريض (يضحك بيدرو) ليس هذا ممـــا يضحك .

(يعود بيدرو إلى الضحك) .

بيـــدرو : (يشعل عود ثقاب ويشعل به المدفأة) ان اليوم أبرد من غيره فعلا . أحضر القهوة والبسكوت يا أدولفو .

(يجلس كل من أدولفو وبيدرو بجوار المدفأة . يقترب لويس منهما) .

لويس : إنني على ما يرام . أشعر ببعض الضعف ، لكنني على ما يرام .

بيـــدرو : اجلس هنا (يلقي أندريس بالمنشفة على الأرض ويدوس عليها بقدميه) ما الذى جرى لهذا الرجل ؟

أدولفـــو : لعله جـــن .

(يتجه أندريس ناحية العريف)

أندريس : أيهـــا العريف .

العريف : ماذا هنـــاك ؟

أندريس : عليّ أن أقول لك أيها العريف أن هذا الوضع يبدو لى غير محتمل . لا أعرف ما السبب في ضرورة استيقاظنا في هذه الساعة المبكرة . ليس هناك سبب لارغامنا على .. (ينظر الآخرون بقلق) لقد فكرت أكثر من مرة في أن أقول لك ذلك . إنني لست متفقا مع هذا النظام غـــير المعقول . انها رغبتك في أن تعذبنا وأنا لست مستعدا لكى أخضع لنزواتك . هل تفهم ذلك ؟ لقد مللت . . .

العريف : (ببرود) حسن . أصمت الآن .

أندريس : لا ، لن أصمت . لقد بدأت في الكلام وسأتكلم . انني أشعر بالبرد في هذه الساعة . بالبرد والنعاس . لمـــاذا ؟ لأن شخصا قد حصل على شريطة حقيرة يخطر على باله أن يوقظنا في الساعة السادسة صباحا . إنني متأكد أن الآخرين يفكرون مثلى . أليس هذا صحيحا يا أولاد ؟ ليس هناك سبب يجعلك تفعل بنـــا . . .

(يمسك العريف بيـــاقة سترته) .

العريف : (من بين أسنانه) أسكت يا أحمق . أسكت .

أندريس : أتركني . لقد مللت . . .

(يوجه اليه العريف لكمة في المعدة . يئن أندريس وينحني ، وعندئذ يتلقى لكمة أخرى في وجهه فيسقط . يركله العريف في صدره فيظل بلا حراك . ينحني العريف ويجلسه ثم يطرحه أرضا مرة أخرى) .

بيــــدرو : (الذى نهض واجما) أيها العريف . كفى .

(ينظر العريف إلى بيدرو الذى لا يخفض بصره . ينهض الآخرون أيضا) .

العريف : (الى أدولفو) أعطني القهوة .

(يصب أدولفو القهوة ببطء في إناء ويناوله للعريف الذى يشرب . يأخذ بندقيته ويخرج . صمت) .

أدولفــــو : ها أنتم ترون . . . انه متوحش .

بيــــدرو : (وهو يولى أندريس اهتمامه) أحضر قليلا من المــــاء يالويس (يحضره لويس ، فيلقي به بيدرو على وجـــه أندريس . يبدو أنه يستعيد قواه . يتأوه) لقد ضربه بعنف . ستكون معجزة إذا لم يكن قد حطم أحه ضلوعه

أندريس : (وهو يتألم مشيرا إلى جنبه الأيمن) لقد ضربني . . . . ضربة قاتلة . . . ولم يكن بينكم من يجرؤ على منعه . . .

بيــــدرو : حاول أن تنهض.

(ينهض أندريس بمساعدة الآخرين ويسير منكمشا في اتجاه فراشه ، ويده المرتجفة على ضلعه . يجلس) .

أندريس : هذا . . سوف يدفع ثمن ذلك غاليا . . هذه المرة . . . لن يكون من الضروري أن أشرب حتى . . أقتل رجلا .

بيـــدرو : مرة أخرى ؟ متى حدث ذلك ؟

أندريس : إنني هنا لأنني قتلت جاويشا . ألم تكونوا تعرفون ذلك . إذا قتلت هذا الرجل ، فلن تكون هذه هي أول مـــرة ألطخ فيها يدّى بالدماء .

أدولفـــو : أين حدث ذلك ؟

أندريس : ماذا ؟

أدولفـــو : أين مات هذا الجاويش ؟

أندريس : في معسكر التدريب . شربت حتى الثمالة في المقصف ، ثم عدت إلى الغرفة . بعد فترة صمت . استفزني ذلك الجاويش الأحمق ، فطعنته دون أن أدرى . لم يكن ذلك ذنبي . لم أكن أعرف ماذا أفعل . إنني لا أعتدى على أحد ، لكنني أعرف كيف أدافع عن نفسى . ربما أصاب بقليل من العصبية ، لكنني أقتله . لقد رفسنى كبغـــل .

(يتحسس فمه بيده ، ثم يبعدها باشمئزاز . ينظر اليها شاحبا) .

لويس : ماذا هنـــاك ؟

أندريس : (بصوت مختنق) هذا دم .

بيـــدرو : (بعد فترة صمت حزينة) ربما . . ربما لا يكون هناك ما يستحق الانزعاج . ليس هناك ما يدعو الى الفـــزع . قد يكون نزيفا بلا أهمية . أغلب الظن أنه . . .

لويس : نعم ياولد ، لاتقلق . الدمـاء فاضحة (١) . كثيراً مايكون من الأفضل أن نزف . اذا بقى المرض داخلك ، فان الموقف سيكون أسوأ .

(يرقد أندريس على ظهره) .

أندريس : (بضعف) أتركوني . لا تكلموني عن هذا الموضوع . من الأفضل أن . . أن لا نتحدث . . (محاولا التظاهر بالهدوء) ليس شيئا . وعلى كل حال . ما أهمية ذلك ؟ اذا كان علينا أن نموت ، فان الأمر يتساوى بالنسبة لى اذا مت وأنا أنزف الدماء من فمى (يحاول الضحك) أتذكر الآن الزمن الخالى ، ولا أعرف لماذا ؟ لم يكن يعجبنى أن أزج بنفسى في المشاكل . كنت دائما واحداً من هؤلاء الذين ينصرفون عندما يبدو الجو ملبدا بالغيوم. كنت أحب ساعة الأنس . فما الذى حدث لى؟! (يضحك) أراني دائما وقد أحاطت بي أسوأ المشاكل.. طعنوني بالسكاكين.. قتلت جاويشا.. وها أنا ذا هنا.. ما أغرب ذلك . . . أليس صحيحا ؟ الأمر . . (يسعل) غريب . .(يسعل) جدا . .

(يسعل بشدة ويسود الـ . . . . ظلام)

اللوحة الخامسة

(يتركز الضوء على خابيير أثناء الحراسة . يرتدى معطفاً قد رفع ياقته ، وبين يديه اللتين اختبأتا في قفازه بندقيته . تتحرك شفتاه بينما يصدر صوته رتيبا .)

---

(١) تعبير اسبانى يقصد به أن الدماء تثير الفزع حتى لو لم يكن هناك ما يدعو الى الانزعاج . المترجم

خابيـــير : لا شيء يرى . . ظـــلال . . يبدو أن الغابة قـــد تمتلىء بالحركة من لحظة الى أخرى . . الجند . . طلقات نارية وصراخ . . ثم الموتي . . ستة من الموتي فاقدى الملامح وقد مزقتهم حراب البنادق . . هذا شيء فظيع . . لا ، ليس شيئا . . انه ظل الشجرة التى تحركت . . هـــذه النظارة لم تعد تناسبنى ، ولن أستطيع أن أشترى نظارة أخرى أبدا . . انتهى كل شيء . هل هى خطوات ؟ لعله أدولفـــو يأتي ليتسلم الحراســـة فقد آن الأوان . (يصرخ) مَنْ هناك ؟ (لا أحد يجيب سوى صـــدى الصوت في الغابة) من هناك ؟ (الصدى يرفع خابيير بندقيته ويحملق بعصبية) لاشيء . . لا أحد . . لقد بدا لى . . لعله الريح . . أدولفو لا يأتي . . ترى ماذا حدث؟ هل حدث له شيء ؟ ربما فاجأوه في البيت . . أنـــا لم أسمع شيئا . . . لكن هناك احتمال . . هل يكون مـــن الممكن أن أجد نفسى في هذه الساعة بمفردى وقـــد حوصرت . . . انني خائف . . لابد من التفكير في شئ آخر . . لا بد من التفكير فى شيء آخر اننا في عيدالميلاد . . لقد جاء ديسمبر . . أمي الآن وحيدة ، وغدا ليلةعيدالميلاد . اذا بقيت أفكر في ذلك فانني سأبكي . . لايهم . . انني في حاجة الى البكاء . . سيفيدني هذا كثيرا . . لقد تحملت كثيرا . . البكاء . . ها أنا ذا أبكى . . الجو بارد للغاية . . . كانت أمي تضع لي كوفية وتطلب منى أغلق فمي عندما أخرج . . . . » حذار أن تصاب بالبرد « . لو علمت أنني أموت الآن من البرد . . موقع الحراسة هنـــا . يتسرب الريح الى عظم الانسان . . لماذا لا يأتي أدولفو؟

لماذا لا يأتي ؟ لقد مضت ساعتان وأكثر . واحـــد . . اثنين . . واحد . . اثنين . . فصيلة على طريق الموت . . واحد . . اثنين . . كنا هكذا حتّى قبل أن تبدأ الحرب. جيل بأكمله حكم عليه بأن يذهب الى المذبحة . كنـــا نذاكر ، ونجاهد من أجل الأشياء ، لكننا كنا نكـّــون جزءا من فصيلة هائلة على طريق الموت . أجيال مدانة.. الجو بارد . . هذا لا يمكن أن يستمر طويلا . . لقد متنا فعلا . . لا أحد يفكر فينا . . واحد . . اثنين . . وقـــد انهرنا بمنتهى النظام واحد خلف الآخر . وأنا لا أريـــد أن أكون أسيرا . . لا . . أسيرا لا . . الموت ! أنـــــا أفضل . . (بنشيج أصمّ مكتّم :) الموت ! أماه ! أماه! أنا هنا . . . بعيد . ألا تسمعينني ؟ أماه ! أنا خائف ! وحيد ! انني في غابة بعيدة جدا ! ونحن ستة يا أمي ! اننا . . بمفردنا . . بمفردنا . . بمفردنا . . !

(يضيع صوته المختنق ويتّردد صداه في الغابـــــة . لم يتحرك خابيير منذ أن قال : « لا أحد »

ظـــلام

اللوحـــة السادسة

(تترامى الى السمع من خلال الظلمة نغمة أغنية من أغاني عيد الميلاد ، يرددها ستة من الرجال بأفـــواه مغلقة . يضاء النور . مصابيح بترول بترول . . وفي وسط المسرح توجد شجرة عيد الميلاد ، وحولها أندريس ، وبيدرو ، وأدولفو ، وخابيير . يغنون دون حراك . وعندمـــــا

ينتهون من الغناء يتجه خابيير الى فراشه . يجلس عليـــه ويضع رأسه بين يديه .)

أدولفـــو : ما الذى جرى لهذا الولد ؟

بيـــدرو : لا أعرف . الحقيقة أن . . هذه الليلة . . (ينسحب هو الآخـــر) تجعل المرء يفكر أكثر من المعتـــاد ، كثيرا ما حدث لى ذلك . ليلة عيد الميلاد تجعلنى حزينا . انهـــا تحمل الىّ كثيرا من الذكريات و . . .

(ينهى عبارته بطريقة غير مفهومة)

أندريس : انك تفكر في أسرتك ، أليس كذلك ؟

بيـــدرو : أفكر في . . (يقوم بحركة تدل على مدى ألمـــه) كنت أفكر في زوجتى .

أندريس : أين هى الآن ؟

بيـــدرو : في البيت ، في برلين . كنت أعمل هناك مؤخرا . أنـــا خراط . كانوا يدفعون لى جيدا . وعندما بدأت الحرب دخل هؤلاء الوحوش الى المنطقة ، وارتكبوا هنـــــاك كثيرا من الأعمال الفظيعة . كنت أنا عندئذ في بلجيكا أجرب بعض الآلات التى كان مصنعنا سيشتريها . . . وحين تمكنت من العودة فهمت ماحدث . . وجـــدت زوجتى . . لقد كانت . . بعنف . . . (يخبىء وجهـــه بين يديه) دخلت الحرب لكى أَقْتُل ، ولا تهمنى هذه الفكرة أو تلك . القتل .

أدولفـــو : ماذا فعلت بهؤلاء الاسرى ؟

بيـــدرو : لا أعرف . . كانوا يصرخون . . وكنت أنا أضحك في

جنون . . كان وجه زوجتي يظهر أمامي وقد ارتسمت عليه علامات الرعب . . وهي مجبرة على . . وكنت عندئذ أبدأ مع أسير آخر . كان هناك أكثر من مائة أسير في حوزتي داخل ذلك العنبر . . وكان هذا يهدىء من روعى . . وأنا الآن في حالة أفضل . . أفضل بكثير .

(فترة صمت)

أندريس : أيها السادة . سأسكر هذه الليلة . انه عيد الميلاد .

بيدرو : (يرفع رأسه) ماذا ستفعل ؟

أندريس : سأشرب كأسا .

بيدرو : معك حق . نستطيع أن نطلب اذنا من العريف ونحتفل بعيد الميلاد . ستكون ليلة من أحسن ما يكون .

أدولفو : نطلب منه اذنا ! لماذا ؟ لن يعطيه لنا .

بيدرو : هناك احتمال في أننا اذا قلنا له . . .

أدولفو : لا يمكن . . » الشراب هو عدو النظام « وكل هذه الأشياء . . اذا كنت يا أندريس تريد أن تشرب كأسا فاشرب . وسأشرب أنا معك . ومن كان خائفافليكتف بالنظر . هيا .

بيدرو : لحظة . انني على استعداد لأن أشرب كأسا . لكن علينا أن نفكر قبل ذلك فيما سنقوله للعريف .

أندريس : في استطاعتنا أن نقول للعريف أن . . (وقد صب الخمر في كأسه وراح يشرب) اننا كنا عطشى . خذ (يمد أدولفو القدح ويشرب بتأن) ما أحلى مذاقه ! هه ؟

أدولفــو : لذيذ للغاية .

بيــدرو : حسن . . . اذا كنت سأشرب معكــم ، فذلك لأنني لا أريد أن أترككم وحدكم في مواجهة العريف . ليكن ذلك واضحا . هــات .

أندريس : هذا هو (يملأون الكئوس) هه . . أنت . . خابيير . . ألا تريد أن تشرب معنا ؟

خابيــير : (يرفع كتفيه) حسن .

(ينهض ويقترب . يصبون في كأسه قليلا من الكونياك)

أندريس : أظن أنه من واجبنا أن نعطى هذا الاحتفال طابعا دينيا . فليحفظنا الله من كل شر ، باسم الأب ، والابن والروح القــدس .

الجميــع : آمــين .

أندريس : هيا . . فلنشرب . . (يشربون فيما عدا بيدرو الذى لم يقرر بعد) هيا يابيدرو . ألا نستحق هذه التسلية البسيطة ؟

بيــدرو : ليكن مايريده الله ! (يشربون . يعود أندريس فيصب الكونياك للجميع ويبدأون في الشراب صامتين هذه المرة . فجأة يضحك أدولفو . يضحك طويلا ويصاب الآخرون بعدوى الضحك . يجدون أنفسهم وقد استغرقــوا في الضحك لأول مرة ، ويبدو أنهم أصبحوا يرون أنفسهم بطريقة أخرى ، كما لو كان كل ما سبق حلما سيئا . يهدأون) لكن ، ما الذى كان يضحكك ؟

أدولفــو : لا شيء . . . ذلك أنني اكتشفت فجأة . . اننا لسنا في

حالة سيئة للغاية هنا . . ولهذا عليك أن تصب لنا كأسا أخرى .

(يشربون)

أندريس : (لأدولفو) انه زميل طيب . هه ؟ (يوافق الآخرون) زميل . . كما ينبغى أن يكون . . .

بيـــدرو : (وقد أصبح حاد المزاج فجأة) انه لايبدو لى رفيقاً طيباً.

(أثناء الحوار التالى تستمر عملية الشراب)

أندريس : لمـــاذا ؟

أدولفـــو : انه على حق . كيف يمكننى أن أكون رفيقا طيبا .

بيـــدرو : (لأدولفو) لم يكن عليك أن تحكى لى ذلك يومهـــا . كنت تبدو لى لطيفا . . قبل ذلك . .

أدولفـــو : يا أولاد ، ان مايقوله بيدرو يعنينى . . يعنى ماضى القذر. اذا كنتم تريدون أن تعرفوه ، فأنا . . .

أندريس : (يقاطعه) ما ضيك القذر لايهمنى اطلاقا . اتركنا في سلام .

أدولفـــو : لست زميلا طيبا . . ولا يهمنى ذلك . . تركت الوحدة بدون خبز ولم يتحرك فيّ ساكن . . أعطيت إذنا بخروج الدقيق . . .

(يضحك)

بيـــدرو : باع خبز رفاقه .

أدولفـــو : لا . . لا . . لحظة من فضلك . . كان رئيس العمليـــة ضابطا كبيرا . . وقمت أنا بدور الوسيط ، مجـــــرد

مساعد . . كانت للضابط خبرة قليلة ، وكان عليّ أن أشرح له كل شيء . . كان ذلك شيئا يدعو للأسف . كانت هناك عيوب في التنظيم ، وعندما رأيت أن الأمر لا يسير كما ينبغي ، بلغت عنه . أعدموه هو رميا بالرصاص ، وأرسلونى الى هنا . حسن ، والآن . . . صبوا لى قليلا من الشراب . . .

بيدرو : خذ . اسكر . انك تنتمى الى تلك السلالة التى تتلاعب بجوع الشعب . . حقير .
(يبدرو أنه سكران)

أدولفو : (يشرب) لا . . لا تعاملنى هكذا . . .

بيدرو : خنزير . . .

أندريس : أترك الولد يارجل . . أتركه .

بيدرو : ما الذى كنت تفعله قبل أن تشتعل الحرب ؟ أعمال تجارية ! هذا ما تقوله أنت . ما الذى تسميه أنت بالأعمال التجارية ؟ إنك واحد من المسئولين عن وجودنا هنا . أنت . . . بأعمالك التجارية تلك . انك قادر على كل شيء . الجنود بلا خبز ، لكن . . ماذا يهمك أنت في ذلك ؟ فاليموتوا جوعا ! أليس كذلك ؟ فاليموتوا جوعا ! نحن جميعا رجال ذوو كرامة ، بما في ذلك العريف . . أما أنت . . أنت حقير .
(يحاول أن يضربه ، لكن أندريس وخابيير يحولان دون ذلك)

أندريس : كفى . . اننا نحتفل بعيد الميلاد . . وأنت تضايقنا يا بيدرو . انك تفسد كل شيء .

بيـــدرو : حسن ، سامحوني اذن . . لم يكن قصدى هو مضايقتكم . . لقد غضبت فجأة ، ولا أعرف لماذا ؟ . (يحاول المشي لكنه يترنح) لقد سكرت ! لم أشرب شيئا يذكـــر ، لكننى . . سكرت . أتسامحنى يا أدولفو . كنت متوحشا. وأنا أسحب كلامى كله . ماذا تريدني أن أفعل حـــتى تسامحنى ؟

أدولفـــو : لا شيء . . أنت على حق . .

(يتعانقان)

أندريس : برافو . هذا شيء مختلف . ما الذى يحدث لك يا خابيير ؟

خابيـــير : لا شيء (يضحك) انني على ما يرام .

أندريس : عيناك مبللتان .

خابيـــير : ليس هذا شيئا .

(يضحك)

أندريس : كل ما ينقصنا هو . . استمعوا الىّ . . كل ما ينقصنـــا هو أربع فتيات مرحات . فلتكن لك يا خابيير الفتـــاة الشقراء الطويلة ، ذات العيون الخضراء (صمت الجميع وراحوا يصغون) فتاتك يا أدولفو ستكون صغـــيرة في حجمها ، لكنها حلوة . . سمراء . . « أنا سمراء لكننى حلوة » (١) اتفقنا ؟ ولك يا بيدرو . . لك . .

بيـــدرو : أترك هذا الموضوع . أتركه من فضلك .

أندريس : (يجلس) انها ليلة لطيفة . . أليس كذلك ؟

---

(١) جزء من اغنية شعبية . المترجم

(لا أحد يجيب . ينهض أدولفـــو)

أدولفـــو : حسن ، فلنشرب آخر كأس . . .

(لكنه يتوقف في منتصف الطريق . فتح الباب ، وظهر العريف وبندقيته منكسة . يرى كل ما في المسرح بنظرة واحدة ويتجه حادا الى الوسط . الجميع يقومون بحركة تراجع) .

العريف : ما الذى يجرى هنا ؟

بيـــدرو : (يتقدم نحو مترددا ويتكلم بثقة) لا شيء .

العريف : اقترب يا أدولفـــو

(يخرج بندقيته من حزامه)

أدولفـــو : (يقترب وقد اصفر لونه) أمرك أيها العريف .

العريف : هل أنتم سكارى ؟

أدولفـــو : صدقني . . لا . .

العريف : ليس في استطاعتك حتى أن تتكلم . أيها العاهرات . . انكم لاتستحقون أن ترتدوا هذا الزي . تستحقون أن يبصقوا في وجوهكم . . ولعله يعجبكم أيضا أن . .

بيـــدرو : أيها العريف ، كنا قد فكرنا في أن نحتفل . .

أندريس : نعم ، هذه هى الحقيقة . . عيد ميلاد سعيد أيها العريف. لا تغضب اليوم . انه يوم للغفران للـــ . . . مرح . . . السلام على الأرض . . والمجد للرب في السماوات . . وكل هذا . . سنحتفل بعيد الميلاد . . » اغفر لنا ذنوبنا، هكذا كما أننا . . » الخ . . الخ . .

أدولفـــو : (يضحك بوقاحة) انها ليلة يأمر الدين بالاحتفال بها أيها العريف .

أندريس : انني أغفر لك ركلة ذلك اليوم اذا احتفلنا الليلة بعيـــد الميلاد . هه ؟ اتفقنا .

(يتجه نحو البرميل)

العريف : قف في مكانك يا أندريس . لا تقترب من البرميل .

(تردد صوته متوعدا . يتوقف أندريس)

أندريس : انني على استعداد لأن أتوسل اليك اذا شئت . أتوســـل اليك . . .

العريف : كفى . اذهب من هناك .

أدولفـــو : ليس هناك ما يستحق التوسل يا أندريس . لقد انتهـــى الأمر . هل تريدون أن تشربوا ؟

أندريس : أنا نعـــم .

بيـــدرو : وأنا أيضا ، طبعا .

خابيـــير : (مؤيدا الآخرين) نعم .

(يقترب أدولفو من البرميل)

العريف : ابتعد يا أدولفو . انك تلعب بالنار (يقترب منه وقـــد أشهر بندقيته ممسكا بصمام الأمـــان ومسندا اياها على رقبته . يصب أدولفو الكونياك . يضربه العريف بكعب البندقية في الترقوة ويطرحه أرضا ، بينما يتجه نحـــــو الآخرين متهددا :) بدأت ساعة الجد . أنت ، انهض . لم تصب بشيء .

(ينهض أدولفو متألما . يشهر حربة بندقيته وعندمـــــا يحاول أن ينقض على العريف يفقد توازنه ويتدحرج على الأرض . يخرج بيدرو وعندئذ حربة بندقيته ، ويتبعه أندريس . وعندما يرى خابيير زملأه يفعل مثلهم . يحاصر العريف بجوار الجدار . لا أحد يتحرك) .

بيـــدرو : لم يكن ينبغي عليك أن تفعل ذلك أيها العريف . لم يكن هناك سبب لهذا . كنا نريد أن نحتفل بعيد الميلاد .

أندريس : كان هذا خطأ منك (يتقدم خطوة ، والآخران أيضا) لم يعد في استطاعتنا أن نعيش معك .

العريف : (بحدة) اذهبوا خارج البيت . عليكم أن تقوموا بقطع بعض الأشجار لحشب المدفأة (الى خابيير) اذهب لتسلم الحراسة ، انها ساعتك .

(خابيير لا يتحرك)

أندريس : فلتنتظر الحراســة .

العريف : أتسمع هذا يا خابيير ؟ اذهب الى موقع الحراسة .

أندريس : لاتذهب يا خابيير . ابق لترى الاستعراض . العريف جبان لايدرك أننا قد سكرنا ، لقد سكرنا حتى الثمالة. (يضحك ببلاهة . العريف دون أن تصدر عنه أية حركة تدل على العصبية ، يشهر بندقيته ويتقدم وقد أعطى ظهره للجمهور في اتجاه الباب . لا أحد يتحرك . يصل الى أندريس الذى يقفز عليه ويطعنه في وجهه . يتحسس العريف وجهه بيده ، وتتدحرج البندقية على الأرض . يحاول العريف الذى أصبح عاجزا عن الرؤية بسبب

الطعنة البحث عن سكينه في حزامه ، ثم يجده . لكن أدولفو الذى كان قد اعتدل يطعنه طعنة فظيعة في رأسه . يترنح العريف ، لكنه لا يسقط . يضربه كل من بيدرو ، وخابيير ، وأندريس . يهوى العريف شيئا فشيئا . يسقط على ركبتيه ثم على وجهه . يظل الجميع لحظة ينظرون اليه . أندريس يفزع) : لقد مات .

بيـــدرو : (ينحني عليه . يرفع رأسه . ثم يقول وقد ارتسمت على وجهه علامة ذعر) نعم .

(ينظر خابيير بألم إلى « السونكي » الذى لا يزال في يده بينما ينســدل . الستار .

الجزء الثاني - اللوحة السابعة

(الوقت صباح . تسود البيت ظلمة حالكة . وفي الخارج بالساحة يقف أندريس وبيدرو ولويس وخابيير . يتكىء كل من بيدرو ، وخابيير على معولين ، وينظران الى أندريس ولويس اللذين يردمان بالتراب الحفرة التي دفن فيها العريف ، مستعملين في ذلك مجرفتين . يلقي أندريس بآخر كومة من التراب ، وينسحب متجها ناحية البيت ، على حين يتبعه بيدرو وخابيير باعياء) .

لويس : لا أريد أن أقول شيئا . لكن هذا يبدو لى . . (يتوقف بيدرو ويصغي اليه) يبدو لى أن الانسان لا ينبغي أن يدفن كما لو كان كلبــا .

بيـــدرو : ماذا تريدنا أن نفعل ؟

لويس : أظن أن . . . ابتهال . . .

بيــدرو : نعم . . هذا صحيح .

أندريس : لمــا ؟ مادمنا قد أرسلناه إلى الجحيم فلا جدوى من ذلك.

خابيــير : نعم ، ابتهال ، حتى ولو لم يكن لذلك فائدة . ابتهل أنت يالويس . لم أكن لأذهب مرتاحا ، ونحن نتركه هكذا بدون كلمة . الإنسان هو الإنسان .

لويس : (يخلع خوذته) اننا نبتهل اليك أيها الرب أن تتقبل روح العريف جوبان ، وأن يجد في النهاية السلام الذى لم يجده في الحياة . لم يكن إنسانا سيئا يا إلهي ، وكذلك نحن ، مع أننا لم نعرف كيف يُحب بعضنا بعضا . ولتشمل رحمتك روحه وأرواحنا جميعا ، ولتشملنا معجزات السيد المسيح .

الجميــع : (بعد أن خلعوا خوذاتهم) آمين .

أندريس : حسن ، كفى ، هيا بنــا .

(يبدأون في الانصراف)

خابيــير : (الى لويس) انه لأمر طيب أن تكون قد فكرت في قول كل هذا . انه يعزى النفس قليلا . . .

(يتجه ناحية البيت في اللحظة التي يدخله فيها كل من بيدرو وأندريس . يُضاء في الداخل مصباح البترول الخافت . هناك يرى أدولفو مضطجعا) .

أدولفــو : هل انتهيتم ؟

بيــدرو : نعم .

أدولفــو : أوف . . أخيرا . . خيل إليّ أن هذه الليلة لن تنتهي أبدا . لم يكن في استطاعتي أن أنام بينما هذا الرجل راقد هناك في الساحة دون أن ندفنه . . . كان الأمر يبدو كما لو لم يكن قد مات بالفعل .

أندريس : من ذا الذى كان يستطيع أن يخرج ويحفر أثناء الليل ؟ يالها من رياح . . والمطر . . كانت ليلة محترمة ! ! . . الجثة هناك . . . والمطر ينهمر فوقها . . لحسن الحظ أن الجو اليوم هادىء . (يدخل خابيير ويجلس منعزلا) .

أدولفــو : أخيرا ، يوم هادىء . مات الكلب ، وانتهى السعار . انه الشيء الذى ينبغي عمله مع كلب مسعور ، أن نقتله. كان حيوانا ضارا . . كان قادرا بالأمس على أن يقتلني . . أن يجهز عليّ (يبصق) . . كان حيوانا ضارا .

بيــدرو : أسكت ، ودعنا في ســلام .

أدولفــو : مابكم ؟

بيــدرو : لا شيء .

(يتثاءب أندريس) .

أندريس : أنا أيضا لم أستطع النوم . إنني متعب جدا .

(يرقد . لحظة صمت) .

خابيــير : وماذا سنفعل الآن ؟

بيــدرو : ليس هناك ما يفعل . علينا أن ننتظر وكأن شيئا لم يحدث .

أندريس : كما وكأن شيئا لم يحدث ؟ وقد أغلقنا المخرج الأخير الذى بقي لنا . (يدخل لويس . يقف على الباب كما لو

كان متخوفا من المشاركة في حديث الآخرين) بعد ما حدث أصبحت أدرك أنه كان من الممكن أن يمضى الوقت دون أن يقع الهجوم . . وكانمن الممكن أيضا أن يصدروا لنا أمر الانسحاب من هذا الموقع في فبراير . . وأن يعفوا عنا . . وعندئذ نعود الى وحداتنا ، ونعيش نفس درجة الخطر كغيرنا من الزملاء . . فكرت في كل هذا الآن . . هكذا فجأة . . عندما بدا كل شيء بلا أمل . لقد أغلق الباب الأخير . . . إذا لم يقع الهجوم فسوف تكون هناك محكمة عسكرية .

أدولفـــو : محكمة عسكرية ! لمـــاذا ؟ إذا حالفنا الحظ ، واستمر هـــدوء الجبهة حتى فبراير ، فليس لأحد الحق في أن يعرف ما جرى هنا . في استطاعتنا أن نقول إلى ضابط الاتصال إن العريف قد مات بالسكتة القلبية .

أندريس : عندما يموت العريف الذي يقود فصيلة تواجه نوعا من العقاب ، فان أول ما يتبادر إلى الذهن هو أنه لم يمت بطريقة طبيعية ، وهنا تبدأ التحريات ، ويبدأ استجواب المتهمين بمهارة فائقة ، ويبدأ البحث عن الجثة . . . سيخرجونها و . . (بحركة تدل على الخوف) الجمجمة مهشمة . . .

أدولفـــو : فلنقل إذن أنه سقط . . أو أنه اختفى .

أندريس : نعم ، لقد تبخر في الهواء !

أدولفـــو : لقد ذهب في مهمة استطلاعية ، ويبدو أنهم قد ألقوا عليه القبض . . لعله أسير . . أو ربما مات . .

بيـــدرو : (وقد استمع باهتمام إلى الحديث . ينهض) لا تتعب نفسك يا أدولفو . إذا امتد بنا العمر الى فبراير ، فسوف تكون هناك محكمة عسكرية . هذا ما أؤكده أنا لكم منذ الآن .

أدولفــو : لمـــاذا ؟

بيـــدرو : باه . . لا داعي لأن تقلق لهذا الآن ، فلا يزال أمامنـــا وقت طويل . انها مجرد أفكار تخطر على بالى .

ومن ناحية أخرى ، فانه من المؤكد تقريبا ألا نعيش حتى فبراير . أمامنا أربعون يوما في هذا الموقع . وإذا كان لا بد أن يقع الهجوم ، فليجعله الله يحدث خلال تلك المـــدة .

أدولفــو : هل جننت ؟

بيـــدرو : سنرى . أما الآن فسوف يستمر نفس التنظيم الســـابق إذا شـــئتم .

أدولفــو : لقد مات هنا إنسان يا بيدرو ، وهذا الإنسان هو العريف انك مخطىء إذا فكرت أن كل شيء سيسير كما كان . أنا أفعل ما أريد ، وليس لأحد الحق في توجيه الأوامر لى . انتهت الأوامر والتنظيمات . انتهت . بالنسبة لى على الأقل . انتهت ساعات الحراسة ، وسيكون الليـــل من الآن فصاعدا للنوم .

بيـــدرو : انك تقع في خطأ جسيم يا أدولفو . هذه الفصيلة لا تزال في موقعها ، وإذا لم تكن موافقا ، فحاول أن تذهب .

أدولفــو : هل تسمعون يا أولاد ؟ لقد حل هنا عريف آخر . لقب

نفسه عريفا علينا (يضحك ، ثم يستعيد جديته فجأة) استمع إلىّ يا بيدرو . ابق هكذا إذا كنت تريد لنفسك مصير العريف .

بيــــدرو : هل تهددني ؟

أدولفـــو : لا . بل أخطرك .

بيــــدرو : حسن ، انك تعرف كيف أفكر . وإذا كان لا بد لنـــا من أن يواجه أحدنا الآخر ، فسيحدث ذلك . أنا أقدم الجنود هنا ، ولهذا آخذ على عاتقى قيادة الفصيلة . هل هناك اعتراض ؟

أندريس : بالنسبة لى . . يستوى الأمر حتّى ولو كنت تريد أن تأخذ على عاتقك قيادة الفرقة كلها .

خابيـــير : الأمر يتساوى بالنسبة لى أيضا .

لويس : لا يا بيدرو ، ليس عندى أى اعتراض .

بيــــدرو : (الى أدولفو) ها أنت تسمع .

أدولفـــو : إذا كنت ستظل هكذا ، فمن المحتمل أن أقـــرر القيام برحــــلة .

بيــــدرو : ماذا ؟ رحــــلة ؟

أدولفـــو : نزهـــة طويلة في الغابة .

بيــــدرو : إلى أين تريد أن تذهب ؟

أدولفـــو : لا أعرف حتّى الآن .

بيــــدرو : إذن !

أدولفـــو : إذا لم أجد أنني مرتاح هنا . . .

بيــدرو : ترى ، هل خطر على بالك أن . . .

أدولفــو : ماذا ؟

بيــدرو : القــرار .

أدولفــو : أنا لم أقل هذا . قلت « رحلة » .

بيــدرو : استمع إليّ يا أدولفو . لا تفكر في مغادرة الموقع . هل تسمعني ؟ لا تفكر في ذلك . يداى ملطختان بالدماء للأسف ، ومن الممكن ألاّ تلاحظ دماء قتيل آخــر في هاتين اليدين .

أدولفــو : انك الآن من يهــدد .

بيــدرو : لا ، بل أدافع عن نفسى .

(فترة صمت)

أدولفــو : حسن ، هل تعرف فيما أفكر ؟ في أننا معتوهان . إذا كان لكل منا وجهة نظره الخاصة ، فليس هذا سـببا يجعلنا نغضب . حقا ؟ علينا أن نحاول أن نتصالح ، وأن نصل الى حل يرضي كلينا كصديقين طيبين . أليس كذلك يا بيدرو ؟

بيــدرو : نعم (فترة انتقال) لست أدرى إذا ماكنتم قد فهمتموني. ما لا أريده هو أن نسير في هذا الطريق ، وأن نصل إلى أن ننحرف ، بحيث نصبح مجموعة قذرة من القتلة . ان المــرء يصبح منحطا عندما لا تكون هناك محاولة تبذل ، عندما لا يكون في استطاعته أن يفعل شيئا من أجــل الآخرين . لكننا إزاء فرصة ذهبية لكى نكمل مهمتنا ، وسوف نؤديها على أكمل وجه . لا أريد أن ينتهي بنــا

المطاف الى أن نصبح مجرد عصابة من قطاع الطرق . أنا لست مجرما . . وأكثر من ذلك لست قاتلا . . وكذلك أنتم . . اننا لم نستطع أن نكون سعداء في الحياه . . . وهذا كل ما هناك .

لويس : (يتكلم لأول مرة) انه لشيء فظيع حقا أن يحدث كل هذا ، أليس كذلك ؟ علينا أن نضع هذا في اعتبارنا . لكنه . . أمر فظيع . . كان تحمل حماقات العريف أفضل لنا من التفكير في هذه الميته .

أندريس : ليس عليك يا لويس أن تفكر في شيء . ولا عليك حتى أن تتدخل في نقاشنا . أتركنا نحن . ليست لك يد فيما حدث هنـــا .

لويس : لا ، هذا لا . إنني واحد من المجموع ، وأنا معكم في كل شيء .

أندريس : لا فائدة من ذلك . انك لا تستطيع أن تكون واحدا منـــا حتى ولو أردت . لم تكن لحظتها في البيت . ولم تخـــرج حـــربة بندقيتك ، ولم تشعر بهذه الرجفة التي يحس بها المـــرء عندما يقتل رجلا . . .

لويس : لا . . . لكنني كنت على استعداد لأن أشرب معكم . لو كنت هنا لأخرجت حربة بندقيتي ولطعنته مثلكم .

أندريس : لا أعرف . ليس هذا ممـــا يمكن التنبأ به .

لويس : إنني زميل طيب .

أندريس : نعم . بالتأكيد .

لويس : أؤكد لك . .

أندريس : لاتقلق لهذا . ليس هناك ما يدعو للقلق .

لويس : ليس ذنبي أنه كان عليّ أن أقوم بورديتي في الحراسة ســـاعتها .

أندريس : طبعا ، ولا أحد يلومك على شيء .

لويس : ألا تريد أن تصدقني ؟

أندريس : انك مخطيء في هذا . أنا أصدقك .

(ينهض ويترك لويس بمفرده . بدأ بيدرو يردد أغنية معينة) .

أدولفـــو : (يضع يديه على أذنيه) ألا تريد أن تسكت يا بيدرو ؟

بيـــدرو : ما الذى جرى لك ؟ أليس من حقي أن أغني ؟

أدولفـــو : لا . . فلتغنّ كما تريد . لكن هذه الأغنية . . هي نفسها التي كان يرددها أحيانا العريف جوبان . ولا أحب أن أستمع اليها .

ظـــلام

اللوحــة الثـامنــة

(الجميع موجودون فيما عدا بيدرو ، وقد بدت عليهم آثار القذارة . لم يحلقوا ذقونهم ، واستلقوا على الأرض. يتحرك أدولفو) .

أدولفـــو : هل تعرفون فيما أفكر ؟ في أن هذا الوضع قد أصبح أســـوأ ممـــا ينبغي ، وأنه ليس في وسعنا أن نظل هكذا ، راقدين على الأرض . . أياما وأياما . . نتقلب كأننـــا خنازير يعيشون وسط القمامة . لمـــاذا لا نفعل شيئا ؟

مهمة استطلاعية أو شيئا كهذا . . دورية استكشاف مثلا . . شيئا ما .

أندريس : وإلى أين سنذهب ؟

أدولفـــو : إلى أى مكان . الأمر سواء . إلى أى مكان ، فهذا الوضع ليس صحيا .

أندريس : لم أعد أستطيع حتى أن أنام ، ويبدو لى أن الشيء الوحيد الذى أستطيع أن أفعله هو أن أنام . أكاد أموت من الرغبة في النوم ، ولا أتمكن من الاستغراق فيه . هـــذا شيء فظيع .

أدولفـــو : انك شاحب للغاية ، وعيناك غائرتان .

أندريس : انها الحمى التي تصيبني في مثل هذه الساعات .

أدولفـــو : (ينهض متجها ناحية النافذة) ما تاريخ اليوم ؟ هـــل تعرفون ؟

لويس : العاشر من ينـــاير .

أدولفـــو : يبدو لى أن الوقت الذى مضى كان أطول من ذلك بكثير (لحظة صمت) . خيل إلىّ بالأمس أنني استمعت إلى طلقات نارية على البعد ، وقد سررت لذلك . رحت أصغي اليها لأتأكد من أنها حقيقية . . . وأنا أتمنى أن تكون كذلك . كان هذا يعني أن هناك أناساً آخرين لا يزالون يعيشون في هذا العـــالم .

لويس : خيل إلىّ أنا أيضا أنني سمعت طلقات نارية .

أندريس : أنا لم أسمع شيئا .

أدولفــو : لابد أنه كان وهما . لعلها الريح تداعب الشجر . . أثناء الليل . . يبدو أن الغابة مسكونة . . . . تسمع ضوضاء . . كنت في البداية أخاف كثيرا ، لكنني لم أعد أخاف الآن . . إنني أتفوق على نفسي دائما (يرن جرس التلفون العسكرى حادا) . هل تريد أن ترفع السماعة من فضلك يا خابيير ؟ ليس عليك إلا أن تمد يدك ، بينما يشكل الأمر بالنسبة لنا جهدا كبيرا (يبدو أن خابيير لا يسمع ، ويستمر الجرس في الرنين) التلفون يا خابيير . انه جميل نطلبه منك . من المؤكد أنه صديقنا بيدرو وقد أعد شيئا لهذه الليلـــة . سهرة لطيفة . . نبيذ ونساء . انكم تعرفون طبيعة بيدرو يا أولاد . .

(استمع خابيير إلى كلمات أدولفو الأخيرة ، ورفع السماعة بدون رغبة حقيقية في ذلك) .

خابيــير : آلو ، بيدرو ! ماذا ؟ نعم . . . (فجأة ترتجف يده على السماعة) نعم ، أفهم . . حسن . . (صمت) سأكرر كلماتك . . (صمت) ترى على البعد جماعة من جنود العدو . . (صمت) ربما تكون سرية . . . (صمت) سرية استكشافية (صمت) . هناك احتمال في أن تكون طليعة الهجوم . . (صمت) انتبهوا إلى التعليمات . . ستبقى أنت في الموقع (صمت) وفي اللحظة الحاسمة ، ستعطي الإشارة بتدمير المعسكر (صمت) أدولفو مكلف بجهاز التفجير . . (صمت) . . وعندما ينفجر المعسكر كله نخرج جميعا . . كل منا في موقعه . . (صمت ، بابتسامة خفيفة) علينا أن نبيع حياتنا غالية . . (وقف

أدولفو بجوار جهاز التفجير . أخذ كل من لويس وأندريس سلاحيهما بعصبية وكونا مجموعة حـــول التلفون) وهو كذلك . . سننتظر إشارتك . (يتحسس جبهته بيده ويبدو أنه متر دد بعض الشيء . يسندهلويس) ليس شيئا ذا بال . .

(ينتظر الإشارة ، وتمر فترة صمت مشبعة بالقلق)

أندريس : هل سكت ؟ (تصدر عن خابيير إشارة بالإيجاب) وماذا علينا أن نفعل الآن ؟ أن ننتظر ؟

أدولفـــو : طبعا (إلى خابيير) عندما يعطي بيدرو الإشارة تقول كلمة « قضي الأمر » وعندئذ أصل السالب بالموجب ، ونخرج جميعا إلى الخندق . اتفقنا ؟ (إشارات مؤثرة بالموافقة) ألا تسمع شيئا ؟

خابيـــير : (وهو يصغى) لا .

أندريس : تكلم أنت . ســـل بيدرو .

خابيـــير : بيدرو ، ماذا هناك ؟ ألا يزالون يتقدمون ؟ هل تراهم الآن بشكل أوضح . (يسمع) لا يجيب .

أندريس : فلتكرر .

خابيـــير : هل حدث شيء يابيدرو ؟ لمـــاذا لا تتكلم ؟ هل أنت هناك ؟ (صمت) لا شيء .

أندريس : (ينظر إلى الجميع بخوف) ترى ما السبب في صمته ؟

أدولفـــو : هذا شيء غريب . لعله ترك التلفون لحظة .

أندريس : ألا يمكن أن يكونوا قد فاجأوه ؟

(لحظة صمت حادة)

أدولفــو : لا أظن .

أندريس : إذا لحانوا قد فاجأوه ، فلا بد أنهم قادمون الآن الى هنا ، ولن نشعر بهم حتى نجدهم بيننا .

أدولفــو : أسكت ، وانتظر .

أندريس : ليس في استطاعتنا أن نظل هكذا مكتوفي الأيدى ! علينا أن نفعل شيئا . (ينهض) .

أدولفــو : (بصوت مكتوم) لا تتحرك .

أندريس : من الأفضل أن نذهب إلى الخندق ! سوف يهجموا علينا يا أدولفو . لا يمكننا البقاء هنا .

أدولفــو : اهــدأ وابق بلا حراك . انها الأعصاب . عليك أن تتحكم في أعصابك . لم يحدث شيء . أترى ؟ انتظر . .

أندريس : (يلوى يده وهو يتأوه) لا أستطيع أن أنتظر !

(يجلس منكمشا وهو يحاول أن يسيطر على أعصابه ، لكنه لا يفلح في ذلك .) فترة صمت طويلة . الجميع ينظرون إلى وجه خابيير الذى تتغير ملامحه الآن . فجأة) :

خابيــير : ماذا هناك يا بيدرو ؟ (يصغي ، بينما ينظر أندريس اليه باهتمام) سرية ! نعم . . غيرت اتجاهها . . لم يكن هناك من يتبعها . . تحذير زائف . . الى اللقاء .

ظـــــلام

اللوحة التاسعة

(الرجال الخمسة ينتهون من تناول طعامهم فيما عدا خابيير الذى يبدو ممـــددا على الأرض في صمت)

أدولفــــو : (وهو يبتلع آخر قضمة) هل لديكم سجائر ؟

بيـــدرو : (يعطيه واحدة) هذه هى العلبة الأخيرة .

(يحتفظ بها)

أندريس : جف البسكوت . ولم يبق الا القليل من المـــاء والعلب المحفوظة . وفي خلال أيام معدودة ، لن يكون في امكاننا أن نعيش بمـــا عندنا .

بيـــدرو : بالتدبير ، لدينا ما يكفينا لأسبوع ، أى أن لدينا مايكفى حتى فبراير . وما يأتي بعد ذلك لا يتوقف علينا وحدنا . ليس هناك ما يدعو الى القلق .

أدولفــــو : (وهو يدخن) حسن . يبدو أن الأمر سينتهى على نحو أفضل من الذى توقعناه (يضحك) لقد تبخر الهجوم (يضحك من جديد) علينا أن نفكر في أشياء أخرى . من المحتمل أن تكون كل الكوارث قد انتهت بالنسبة لنا . ألا تدركون ذلك ؟ فهذا الموقف يقترب من نهايته يا أصدقائي . وها هى المهلة توشك على الانتهاء أيضا وباختصار ، فقد حالفنا الحظ ، وليس هناك ما يجعلنا نشكو . من المؤكد تقريبا أن يأمرونا بالانسحاب من هذا الموقع ، وأن يعفوا عنا . وها نحن قد عوقبنا بمـــا فيه الكفاية . ليس ذنبنا أنهم لم يقتلونا . جئنا الى هنا كى نموت أثناء الهجوم . واذا كان الهجوم لم يقع ، فما الذى

كان في استطاعتنا أن نفعله . لا أظن أنهم سيرسلوننا الى موقع آخــر للعقاب .

بيــدرو : انه لأمر غريب يا أدولفو . انه لأمر غريب أن تعتبر نفسك نظيفا ، وأن تكون على استعداد لأن تبدأ حياتك من جديد ، وكأن شيئا لم يحدث . هناك ورقة حساب معلقة يا أدولفو . ورقة حساب لا يمكننا أن ننساها .

أدولفــو : العريف . أليس كذلك ؟

بيــدرو : نعم ، العريف . انني لست متأكدا من أن المدة التي قضيناها هنا كانت كافية بحيث لا نشعر أبدا بالنــدم على مافعله كل واحد فينا قبل المجيء الى هنا . لكنني أعرف أننا جميعا مسئولون عن موت رجل .

أدولفــو : هل أنت نادم على قتل العريف جوبان ، على قتل تلك الأفعى ؟

بيــدرو : لا ، بل أنه من الممكن أن أعود فأقتلهمرة أخرىمعكم ، اذا بدأ كل شيء من جديد . لكن هذ الا يغير في الأمر شيئا . انني واحد من هؤلاء الناس الذين يرون منالممكن قتل انسان ما . كل ما هناك أن على المــرء أن يواجه الجريمة بعد ذلك كرجل . هذا ماوددت قوله .

أدولفــو : بيدرو ! أنا لم أقل أننا يجب أن ننسى حكايتنا معالعريف ، وأن نعيش سعداء . من يشعر بالندم فهذا شأنه ، وليحمله معه طول الحياة اذا بدا ذلك ضروريا . كل انسان يحيــا حسب ضميره . لكن القضية الآن هي مااللذى سنفعله عندما ينتهي كل هذا . علينا أن نختلق حكاية بشأناختفاء

العريف . هذا ماقصدته . « اننا لانعرف ماذا حدث له »
هه ؟ كيف يبدو لكم هذا ؟

أندريس : نعم ، هذا أفضل شيء . خرج صباح يوم عيد الميلاد ، ولم نره مـــرة أخرى .

أدولفـــو : علينا أن نتذكر ذلك جيدا « صباح يوم عيد الميلاد » لاتنسوا هذا . بعد الافطار ، حوالى الساعة الثامنة صباحا .

أندريس : حوالى الثامنة . . نعم . قال أنه سيخرج في دورية استطلاعية . كان يفكر في التغلغل بين صفوف العدو . وقال أيضا أنه اذا لم يعد وقت الغداء ، فلا ينبغى أن نقلق عليه . لا أعرف ما اذا كانوا سيصدقون أن العريف قد فكر في أن يتركنا كل هذه المدة .

أدولفـــو : نعم ، لم لا ؟ كان قلقا ، خاصة أنه قد سمع ليلتها أصواتا غريبة .

أندريس : كان في استطاعته أن يرسل أيا منا .

أدولفـــو : لم يكن يثق فينا . كان يفضل . .

بيـــدرو : (ينهض) في وسعكم أن تبقوا هكذا تتخيلون حكايات ملفقة . لكن ذلك لن يجدى شيئا .

أدولفـــو : لمـــاذا ؟

بيـــدرو : لأننى أفكر في التبليغ عن موت العريف كما وقع بالضبط
(فترة صمت طويلة . الجميع يتبادلون النظرات)

أندريس : لا يا بيدرو . هذا نوع من الجنون .

بيـــدرو : هذا ما قررت أن أفعله .

أدولفــو : انك تمزح . أليس كذلك يابيدرو ؟ ليس في مقدروك أن تتحدث هكــذا جادا (يحــاول أن يبتسم) أليس كذلك ؟ انك لا تفكــر أن تفعل ما قلتــه الآن . على الاطلاق . . لا يمكنك على الاطلاق أن تفكر في شيء كهــذا .

بيــدرو : هل يدهشكم ذلك ؟

أدولفــو : بيدرو ! (يقترب منه) ضع في اعتبارك أننا نتحــدث الآن جديا .

بيــدرو : وأنا أتحدث بجدية أيضا . انني واحد من هؤلاء الناس الذين لا يفزعون من مسئولية أفعالهم . أعــرف كيف أتحملها ، بل أطالب بذلك . هذه هي طريقتي في الحياة .

أدولفــو : لايابيدرو ! انك لن تفعل شــيئا من هــذا . ليس في استطاعتك أن تفعل هذا . كيف خطر على بالك تصرف من هذا النوع ؟ انك تلعب بالنار يا بيدرو .

بيــدرو : ألعب ؟ انني لا أعرف اللعب .

أدولفــو : (يجلس حاد المزاج) ليس في استطاعتك أن تتــصرف هكذا . ليس في استطاعتك .

بيــدرو : (دون أن ينظر اليه) ما الذى ليس في استطاعتي أنأفعله؟

أدولفــو : اذا كنت أنت لا تريد أن تعيش ، فليس في استطاعتك أن تجرنا معك الى ما ينتظرك .

بيــدرو : أنا لا أجر أحدا . انني أذهب الى حيث يبدو لى أنه ينبغى أن أذهب . ولتفعلوا أنتم ماتريدون .

أدولفـــو : هذا نوع من الانتحار . انك بذلك تسلم نفسك لفصيلة الاعدام .

بيـــدرو : لا . أن أسلم نفسى لفصيلة الاعدام ، ليس مما يدخل في دائرة تخصص . أن أموت أولا ، ينبغى أن يقرروا هم ذلك . ما يعنيني هو أن أعترف بالقدر الذى شاركـــت فيه في ارتكاب جريمة معينة . . جريمة ارتكبت ليلـــة عيد الميلاد في السنة الماضية . كان العريف ، بالرغم من كل شيء زميلا لنا ، ومافعلناه لم يكن سوى جريمـــة . هل هذا واضح ؟

أدولفـــو : انك تتصرف في حياتنا يابيدرو . ما الذى نفعله نحن الآن؟

بيـــدرو : ليس في نيتى أن أنا قشك في هذا الآن يا أدولفو . يبدو أن هناك أشياء أكثر أهمية من الحياة ذاتها . لن يكـــون في استطاعتى بعد ذلك أن أعيش سعيدا أبدا .

أدولفـــو : كنا قد سكرنا يابيدرو . ضع في اعتبارك أن . . الكحول

بيـــدرو : لا ، هذا ليس شيئا مهما . كنا قد سكرنا . . الكحول . نعم . . هذا حق . لن أقل أكذوبة واحدة . سأذكـــر الحقيقة كلها كما هى .

أدولفـــو : انها تضحية بلا جدوى .

بيـــدرو : أن نخفى ما حدث هنا كى نكسب بضعة أعوام قذرة في هذه الحياة . . هذا هو ما يبدو لى تضحية بلا جدوى

أدولفـــو : لقد فهمتك يابيدرو . ماتريده ليس شيئا مما تقولـــه ولا يعنى هذا أنك اكثر رجولة من الآخرين . لايتعلق الأمر بأنك مهتم بما حدث أو بأنك تشعر بأنك تستحق

العقاب انك تريد أن تموت . ببساطة ، أنت تريد أن تموت . انك لا تريد أن تعود الى بيتك ، لأنك لن تستطيع أن تعيش مع زوجتك بعدما حدث لها . هذه القضية ، مع أنك لا تريد أن تعترف بذلك . هذه هى القضية . ليس هناك أكثر من ذلك .

بيدرو : (غاضبا) عما تتحدث ؟ قل . عما تتحدث ؟ عليك إما أن تصمت أو أن . .

أدولفو : أترى ؟ لقد آلمك كلامى لأنه صحيح . لكننا نريد أن نعيش . انك لا تستطيع أن تفهم أن هناك من يريد أن يعيش . أليس كذلك ؟ لكننا . . نريد أن . .

(فترة صمت . يجلس بيدرو مرهقا) .

أندريس : فيما تفكر يابيدرو ؟

بيدرو : لا شيء . انكم تعرفون موقفى . فسروه كما يحلو لكم . سأسلم نفسى الى المحكمة العسكرية . من يرفض مصيرى فليذهب . ليس من حقى أن أجركم معى الى طريق لايبدو لكم أفضل الطرق (يغلق عينيه ببطء) لقد فكرت في الأمر كثيرا ، وسأسير في هذا الطريق . لا أرى غيره . . بالنسبة لى . . ولكى لاتكون حياتي شيئا أجره يوما بخجل . . لكى . . لكى أنقذ نفسى . . لست أرى ما اذا كنتم . . أنا . . انتهيت . . ولم أعد أفكر في الحياة .

أندريس : أنا أفهمك . لقد اتخذت موقفا قد يضرنا . لكننى أفهمك . أريد أن أعيش ، لكننى أفهمك . انك تضرنا كثيرا ، لأن الطريق الوحيد الذى يبقى لنا هو أن نقتلك

لكى تصمت . وبذلك نكون قد سفكنا من الدماء أكثر مما ينبغى . . ولسنا سيئين الى هذا الحد . هل تدرك ذلك؟

أدولفـــو : أسكت يا أندريس ، أو تحدث عن نفسك . لا تقحمنى في الشفقة التى تشعر بها . انى على استعداد لكى أنجـــو بنفسى مهما كان الثمن (يمسك ببندقيته ويشهرهـــا) انى يا بيدرو على استعداد لأن أتخلص من أى انســـان مهما كان . وأنت الذى أردت ذلك .

بيـــدرو : (يجلس بهدوء) انى أقول لك فقط . . فكر في الأمر قليلا قبل أن ترتكب حماقة كهذه . لا أنصحك بأن تتخلص منى . ليس هذا مما يناسبك . سيكون عليك اذا فعلت أن تدلى بتفسيرات كثيرة ، والأغلب ألايصدقوك بعد تلك الأشياء التى حدثت ،أعتقد أنه من الأفضل أن تفكر كثيرا قبل أن تتخذ قرارا . هل أنت متأكد مـــن أن الآخرين متفقون معك ؟ ألن يتركوك بمفردك عندما تفعل هذا ، عندما تنتهى من الضغط على الزناد .

أدولفـــو : ما رأيك يا أندريس ؟

أندريس : لا يا أدولفو . لا أظن أن عليك أن تفعـــل هذا . انتظر . سنفكر في الأمر .

أدولفـــو : وأنتم مارأيكم ؟

خابيـــير : (يرفع كتفيه) أود أن أعود الى البيت ، لكنه يبدو لى أن ذلك قد أصبح صعبا للغاية . وأنا على استعداد لأن أواجه ما يجب أن يحدث . ماسيحدث . . بالرغم من كل شىء ، ومن كل مابذلناه من جهد . لا تعتمـــدوا

على في شيء مما تفعلون . لشد ما أتمنى ألا أتكلم بعد ذلك أبدا .

أدولفو : (تصدر عنه اشارة تدل على نفاذ صبره) باه ! حماقات ما السبب الذى يجعلنا نسلم بأننا قد هزمنا ؟ أمامنا حياة طويلة اذا تخلصنا من بيدرو . ماذا نفعل به ؟ (لا أحد يجيب . وقد سيطرت عليه موجة غضب عارمة) وأنت يالويس ، ما رأيك ؟ الأمر يبدو لك عديم الأهمية أنت أيضا بالطبع . ليس عندك ما يخفيك من المحكمة العسكرية . هه ؟ هل تظن ذلك حقا ؟ سيتوقف كل شيء على ما سنقوله نحن . اذا أردنا ، فانك ستتحمل كل شيء وحدك . هل تدرك ذلك ؟ أنت الذى قتل . . أثناء الحراسة . حاول الآن أن تنكر ذلك . لا أعنى أننا سنفعل ذلك يالويس . ما أريد أن أجعلك تدركه ، هو أن عليك أن تساعدنا .

(يلتفت لويس الى الناحية الأخرى .)

بيدرو : لقد تركوك وحدك .

(يلقى أدولفو ببندقيته وقد فتر حماسة . يجلس ويضع بوجهه بين كفيه)

ظلام

اللوحة العاشرة

(الجميع موجودون فيما عدا بيدرو . يرقد خابيير ، بينما يبدو أدولفو في نفس الوضع الذى كان عليه في نهاية اللوحة السابقة . يرفع رأسه ثم يقول :)

أدولفـــو : وبيـــدرو ؟

أندريس : لقد خـــرج .

أدولفـــو : حسن . كنت أريد أن أقول لكم شيئا ما . بالرغم مـــن كل شيء ، بالرغم من خوفكم وترددكم ، فان بيدرو لابد أن يموت . انه المخرج الوحيد الباقي لنا . ولاجدوى من محاولة اقناعه . علينا أن نتخلص منه اذا كنا لا نزال ننتظر شيئا من الحياة . ومن ناحية أخرى فان الأمـــر ليس فظيعا الى هذا الحد . اذا كان ما يخفيكم هـــو هو عملية التنفيذ . انني على استعداد لأن أفعـــل ذلك بمفردي . ولن يهمني ، أنني أعرف أنه يريد أن يموت. وأنه ينتظر بنفاد صبر أن يقف أمام فصيلة تنفيذ حكم الأعدام . أفترض أن . . أنكم قد فكرتم في الأمر مليا وأن . . وأنكم بلا شك .

أندريس : انني لست موافقـــا على ذلك يا أدولفو . كفانا سفكا للدماء . والآن فلتسكت .

أدولفـــو : (يرتجف) اننا في الثلاثين من هذا الشهر ، وبعد ساعات قليلة قد تأتي الدورية ، والبقاء هنا قد بدأ يصبح خطيرا . كنت قد فكرت في أنه سيكون من السهل تفسير اختفاء بيدرو . ببساطة . . ذهب مع العريف . سقط كلاهما أسيرين في أيدى العدو بكل تأكيد .

أندريس : أسكت يا أدولفو . لافائدة .

أدولفـــو : (بجفاء) حسن . ليس هناك ما يمكن فعله اذن ســـوى مغادرة هذا البيت اليوم . الى أين نذهب ؟ نذهب الى

الجبال عن طريق الغابة . . هذا البلد كله ليس أكثر من كمين أقيم لنا ، مع أنه . . . . . يمكن أن تكون هناك حتى الآن فرصة للنجاة .

أندريس : أى فرصـــة ؟

أدولفـــو : يمكن أن ننظم حياتنا بطريقتنا الخاصة في أرض لا يملكها أحد . ستكون حياتنا شبيهة بحياة رجال العصابات . نحصل على ما يلزمنا من القرى ونعيش في الجبال . نفـــر من الجيش ثم ينتهى كل شيء . سمعت عن جماعات عاشت هكذا أعواما وأعواما ، وأظن أن الحياة هناك ليست سيئة تمـــاما .

أندريس : لا يا أدولفو . لست متفقا معك في هذا أيضا . أنا أريد أن أعيش ، لكننى أفتقر الى الرغبة في الكفاح ، ولا أشعر بأن لدى القوة الكافية لذلك . لقد قررت تسليم نفسى للعدو . ليس هذا مخرجا طيبا . لكننى سأعيش على الأقل . الحياة ممكنة أيضا في معسكرات الاعتقال .

أدولفـــو : أهذا كل ما يخطر على بالك ؟

أندريس : نعم .

أدولفـــو : انك اذن لست سوى غبى . اسمع يا أندريس . انكم جميعا ستتسببون في اصابتى بالجنون . ما الذى تريدونه ؟ كلكم أصبحتم ضدى . لقد هجرتم أنفسكم . . . انه القدر . أليس كذلك ؟ (يضحك) ألا يريد أحد منكم أن يعيش ؟ أنت تقول أنك تريد ، لكنك تكذب . استمع الي . يمكننا أن نعيش في جبال الشمال . ســيبدأ

الربيع بعد قليل ، ولن تخلو البساتين المهجورة من الفاكهة ولا الجبال من الصيد .

أندريس : لا ، انني أدرك أنه ليس في استطاعتى أن أعيش هكذا هاربا حتى تصطادني بالرصاص دورية من هؤلاء أو أولئك . أريد أن أرتاح . وفي معسكر الاعتقال سأستطيع على الأقل أن أرقد . أتعرف ؟ انني لست على مايرام منذ أن ضربني العريف هنا (يشير الى صدره) .

أدولفـــو : ألا تعرف كيف يعمل الأسرى في معسكرات الاعتقال ؟ انهم يعملون كالدواب . ستتعفن في محجر أو منجم .

أندريس : سأستطيع أن أنام أثناء الليل .

أدولفـــو : لا . . بل ستنتهى كما انتهى كثيرون غيرك . مصطدما الأسلاك الشائكة المكهربة . وقد لاتستطيع حتى أن تفعل ذلك . تعالَ معى .

أندريس : الأسلاك الشائكة . . انك تضحكنى . . لكى يقذف المرء بنفسه على الأسلاك الشائكة لابد أن يكون راغبـــا في الموت . وأنا . .

أدولفـــو : انك ترغب فيه بالتأكيد . وان لم يكن الآن . فانك ستفعل في النهاية .

أندريس : لا . . أريد أن أحيا . . بأية وسيلة .

أدولفـــو : كيف تتصور أن حرس المعسكر سيعاملونك ؟ بالسياط .

أندريس : هذا ما سوف نراه .

أدولفـــو : هناك بالفعل من لا يرغبون في فعل أى شىء ، من لا يشعرون حتى بالألم بعد الضرب . . انهم كالنباتات

المريضة . . راقدون . . في استطاعة المـــرء أن يفعل كل شيء فوقهم ، لكنهم لن يتحركوا . . انهم يعيشون في قمامتهم الخاصة بهم . .

أندريس : لكنهم يرتاحون في النهاية .

أدولفـــو : كل ذلك اذا افترضنا أنك تستطيع أن تصل الى المعسكر . هنـــاك احتمال في أن يصطادوك وأنت تقـــترب من خطوطهم .

أندريس : سأحمل راية بيضاء ، ولا أظن أنهم سيطلقون الرصاص عندئذ .

أدولفـــو : ألا تدرك يا أندريس أن في استطاعتنا أن نفعل الشيء الكثير . الأمر صعب بالنسبة لفرد واحد . . لكن جماعة صغيرة مسلحة . . سيكون في استطاعتنا أن نفعل الكثير . هناك في الجبل أماكن يمكننا الاختفاء فيها . . ان الأمر يستحق التضحية . ومن الممكن أيضا أن نقضى أوقاتا سعيدة . استمع اليّ .

أندريس : لقد قرزت فعلا يا أدولفو .

أدولفـــو : وأنتم ؟ (يدخل بيدرو) أنت يا لويس ؟

لويس : أنا سأظل هنا مع بيدرو . اذا كنت أعرف أننى أستطيع أن أساعدك لذهبت معك . لكننى كنت سأمثل بالنسبة لك عقبة . سيكون علينا أن نقوم بأعمال العنف في القرى . أن نسرق . . وربمـــا . . أن نقتـــل . . اذا حاول الفلاحون أن يقفوا في طريقنا . انى لا أصلـــح لهذا يا أدولفو . سامحنى .

أدولفـــو : لم أكن أفكر في الاعتماد عليك يالويس . ليس هناك مايدعوك الى أن تبرر موقفك .

لويس : خير ماتفعله يا أدولفو هو أن تحتقرني . لك الحق في أن تحتقرني .

أدولفـــو : أتركني في سلام ! وأنت ياخابيير (لا يجيب) هل تبقى؟

خابيـــير : نعم .

أدولفـــو : هل تعرف ماذا يعني ذلك ؟ ستموت رميا بالرصاص .

خابيـــير : نعم . أعرف ذلك . لكن من المحتمل ألا يقتلوني رميا بالرصاص .

أدولفـــو : ألا يقتلونك أنت بالذات ؟ لمـــاذا ؟

خابيـــير : انها أشياء خاصة بي .

أدولفـــو : هل ستكون شهادة بيدرو في صالحك ؟

خابيـــير : لا ، ليس هذا ماقصدته . بيدرو يجب أن يشهد بالحقيقة . أليس كذلك يابيدرو ؟

(بيدرو لا يجيب)

أدولفـــو : وإذن ؟

خابيـــير : أتركني في سلام . انكما معتوهان أنت وأندريس . انك تقول بفزع « رميا بالرصاص » وتذهب أنت لكي يصطادوك كما لو كنت حيوانا ضارا . . بالرصاص . . أو أن يذبحوك في أية قرية . وهذا الآخر يريد أن يذهب لكي يسحقوه بين الأسلاك الشائكة في معسكر الاعتقال . انه لأمر مضحك . كلها . . دروب تقود الى الموت .

ألا تدركون هذا ؟ لا جدوى من الصراع . لقد صـــدر الحكم فعلا ولا فائدة من أى شيء . كان كل شيء بلا جدوى في الواقع منذ البداية ، وقد صدر الحكم منـــذ البداية أيضا . أتريدون حتّى الآن أن تواجهوا قدر هذه الفصيلة ؟ انه ليس الموت فحسب ، كما تخيلنا في البداية ، بل الموت على نحو يثير الاشمئزاز أيضا . هل بلغ بكم الحمق حدا أصبحتم معه عاجزين حتّى الآن عن ادراك ذلك ؟

بيـــدرو : (يتحدث منعزلا) لكن ، أتعرفون أنه كان لدى أمل ؟ أمل في أن يحدث كل شيء بطريقة مختلفة . كنت آمل أن ينتهى كل شيء في هذا البيت وفي مواجهة العدو — كنت آمل أن نموت بعد أن نطعن بالسكاكين على يد هؤلاء الوحوش ، على أن نكون قد قتلنا منهم عـــددا لا بأس به . . وعلى أن نكون قد بلغنا بذلك الخط الأول. وما دامت هذه النهاية لم تمنح لنا ، فانني أطالب على الأقل بألا يكون هناك أبدا هجوم في هذا القطاع . وأن تضحيتنا يمكن أن توقف سفك الدماء الذى بدا محـــدقا على طول الجبهة .

أدولفـــو : (ينهض ويتثاءب) سأرى ما اذا كان في استطاعتى أن أنام . سأغادر البيت عندما يأتي الليل . سأجد في أول قرية من يود اصطحابي الى الجبل . انني في حاجة الى أن أجد رفيقا . ولابد أن أجده .

(ينـــام)

أندريس : سأذهب معك . اذا أردت فان في استطاعتنا أن نذهب

معا حتى نهاية الغابة . وهناك نتصافح و . . . حظ سعيد .
سأرقد بعض الوقت . . مع أنني لا أظن أنه سيكون في
وسعى أن أنام .

(يرقد أيضا . ينظر لويس من النافذة ، بينما يجلس خابيير محدقا الى الأرض . يسير بيدرو جيئة وذهابا مستغرقا في التفكير ، وفجأة يتوقف ويقول لخابيير) :

بيــدرو : هل قررت ذلك اذن ، بالرغم من . . ؟

خابيــير : (يرفع كتفيه) لا أدرى ماذا تقصد .

بيــدرو : كنت تفكر ياخابيير باستمرار منذ أن حدث ماحدث . كنت دائما تتأمل بمفردك . هل تظن أنني لم ألاحظ ذلك ؟ وبينما كنا نحاول أن نتصرف ، كنت أنت تنظر الينا . . بفضول فيما أعتقد . . كما ينظر الطبيب من خلال المجهر .

خابيــير : (يضحك بجفاف) الفرق هو أنني احدى البكتريات الموجودة في قطرة المــاء . . قطرة المــاء هذه التى تسقط في الفراغ . انني تلك البكتريا التى تدرك . هــل يمكنك أن تتخيل شيئا أفظع من هذا ؟ (صمت) نعم ، انك على حق . كنت خلال كل هذا الوقت ، ومنذ أن قتلنا جوبان أقلب الأمر على شتى جوانبه . . . كنت أحاول أن أجيب على بعض الأسئلة التى لم أجد بدا من طرحها على نفسى . .

بيــدرو : ثم ماذا ؟

خابيــير : أصبحت أعرف . . لقد فهمت . . كلل عملى بالنجاح .

حققت (بابتسامة خافتة) نجاحا باهرا . . من الناحية العلمية . . وصلت الى النتائج المرجوة .

بيـــدرو : أية نتـــائج ؟

خابيـــير : لم يكن موت العريف جوبان أمرا بلا معنى .

بيـــدرو : لا أفهمك .

خابيـــير : كان جزءا لا يتجزأ من صورة العقاب الكبيرة .

بيـــدرو : هل فكرت في هذا حقا ؟

خابيـــير : نعم ، عندما كان حيا كنا نعيش في شيء من السعادة . كان يكفى أن نطيع وأن نتعذب . كان بوسع كل منا أن يتوهم انه يتطهر حتى يستطيع الخلاص . كان كل منا يتذكر ذنبه . الذنب الذى يحكمه تاريخ معين ، وظروف معينة .

بيـــدرو : وماذا بعد ذلك ؟

خابيـــير : كان جوبان هنا مكلفا بمعاقبتنا ، وقد تركنا نقتله .

بيـــدرو : هل ترك نفسه يموت ؟ لمـــاذا ؟

خابيـــير : لكى تستمر عملية التعذيب وتزداد . لقد كان موجودا هنا لهذا السبب بالذات . كان هنا لكى نقتله . وها نحن قد وقعنا في الفخ . واذا كان ذلك كله شيئا قليلا ، فلقد حرمنا حتى من الهجوم الذى كان يشكل بالنسبة لنـــا الأمل الأخير . لقد تقرر أن نموت على نحو قذر ، ولا أعرف أين تقرر ذلك . وهذا كل ماهناك . انك تقول أنك كنت تأمل في هذا الهجوم . . في أن نموت أثنـــاء المعركة . . مسكين يا بيدرو . . لديك هذا الأمل حتى

الآن ، أليس كذلك ؟ لديك حتى الآن آمال لا أعرف عنها شيئا . ماذا قلت من قبل ؟ « إن تضحيتنا يمكن أن » . . هذا يشـــبه الصلاة . .

بيـــدرو : نعم . انه يشبه الصلاه . وقد يكون الشيء الوحيد الذى بقى لنا . . قليل من الوقت للصلاة ، حتى عندما يبـــدو أن كل شيء قد ضاع .

خابيـــير : (يضحك بجفاء) انه قدرنا يابيدرو . انه قدرنا . الصلاه ! لمـــاذا ؟ لمن ؟ الصلاه . .

بيـــدرو : كيف يمكنك أن تتنول شيئا كهذا . . هل تظن اذن أن هناك شخصاً ما . . ؟

خابيـــير : نعم ، هناك شخص يعاقبنا لسبب ما . . ، لسبب ما . . . لابد أن يكون هناك . . نعم ، علينا في النهاية أن نؤمن بشيء كهذا . . . غلطة ما . . ترجع الى . . ذنب غامض فظيع . . ليست لدينا عنه أدنى فكرة . . لعله مضى من الوقت الكثير منذ . .

بيـــدرو : حسن ، لا بد أنك على حق . لكنك ينبغى أن تدع التفكير في ذلك . . لا بد أن يكون شيئا سيئا . . لا ، لاتقلق . . علينا أن نحاول تهدئة أنفسنا . . لكى نواجه ما ينتظرنا . .

خابيـــير : نعم ، لكنه ليس في وسعى تجنبه . لا بد أن أفكر ، هل تعرف ذلك ؟ (يبتسم بضعف) انه . . طريقى . . منذ الطفولة . . بينما كان الآخرون يلعبون في مرح ، كنت أنا أجلس بلا حراك . . كنت أحب التفكير . . .

اللوحة الحادية عشر

(يسمع في الظلمة صفير الريح . هناك في مقدمة المسرح شخصان يصعب تمييزهما ، يريان كأنهما شبحان بين الأشجار . يسمع صوت كل من أدولفو وأندريس ، كما لو كانا يهمسان في تهيب)

أندريس : انتظر . . لقد تعبت . . سرنا كثيرا . .

أدولفـــو : ماذا بك ؟

أندريس : لقد . . سرنا كثيرا . . أين نحن الآن ؟

أدولفـــو : هنا تنتهى الغابة . ألا ترى ذلك ؟ وهناك يبدو الجبل .

أندريس : وأين خطوط العـــدو . ؟

أدولفـــو : هناك . . في مواجهتنا . .

أندريس : دعنى أجلس . . أننى متعب .

(يبدو أن ظلا ينهار) .

أدولفـــو : هيا ، لاتجلس الآن . علينا أن نسرع .

أندريس : اذهب أنت ، اذهب أنت اذا شئت . .

أدولفـــو : لا ، أنا بمفردى لا . . انك ستأتي معى . . الجنون بعينه أن تسلم نفسك . . الجنون بعينه . .

(هبـــة ريح)

أندريس : ماذا تقول ؟

أدولفـــو : انه الجنون بعينه . .

(هبة ريح تستمر بعض الوقت) .

أندريس : هل تعرف ماذا أود الآن أن أكون قد فعلت . . ؟ ألا أكون قد غادرت البيت .

أدولفو : ماذا تريد الآن ؟ هل تريد أن تعود ؟

أندريس : لا ، لم أعد أريد ذلك .

أدولفو : تأتي أو لا تأتي ؟

أندريس : لا . سأبقى هنا . . عندما أهدأ سأذهب في اتجاههم . . عندما (بصوت مختنق) أهدأ . .

أدولفو : تعالى معي يا أندريس . . انني أيضا خائف مما سأفعل.. لكننا اذا ذهبنا سويا . .

أندريس : لن يلحقوا بى أذى ، سترى . لن يصيبوني بمكروه !

أدولفو : كما تريد اذن ! وداعا و . . حظ سعيد . .

أندريس : حظ سعيد يا أدولفو !

(يفترق الشبحان . وتهب الريح من جديد)

ظلام

اللوحة الثانية عشر

(يضاء المشهد . انها ساعة الغروب . الشخص الوحيد الموجود هو لويس ، لكن بيدرو يدخل في الحال) .

بيدرو : لويس !

لويس : ماذا هناك ؟

بيدرو : (وهو يتخلص من بندقيته) ماذا كان يفعل خابيير هذا المساء ؟

لويس : لاشيء . كان جالسا هناك ، ثم ذهب . قال أنه سيتمشى قليلا في الغابة . لمـــاذا تسأل ؟

بيـــدرو : ألم تلاحظ عليه مايثير الاستغراب ؟

لويس : لا . . كل ما هناك . . أنه منذ أن ذهب أندريس وأدولفو ليلة أمس لم ينطق بكلمة .

بيـــدرو : انه لن ينطق بعد الآن . لقد عثرت عليه في الغابة . شنق نفسه في شجرة .

لويس : ماذا ؟ تقول أنه ! هل مات ؟

بيـــدرو : نعم ، على بعد حوالى خمسين مترا من هنا . شنق نفسه في شجرة . لمحته وأنا قادم الى البيت . . . كان يتأرجح . انها لنهاية محزنة لهذا المسكين خابيير . كان عليّ أن أقتلع الشجرة من جذرها لكى أفك الحبل من حول عنقه . . انه هناك .

لويس : مشنوق !

بيـــدرو : لم تكن لديه الشجاعة الكافية لكى يستمر . لا بد أنه ظل يفكر في ذلك . . والآن وقد اقترب ميعاد مجيء الدورية ، فلا بد أن الاستمرار قد بدا له أمرا بلا معنى . . أو لعل الخوف قد تملكه . . وبما أن النهاية هي نفسها في كلتـــا الحالتين فقد قرر . . أن ينتهى بيده . .

لويس : لكنه ليس نفس الشيء . أن ينتهى المرء هكذا . . هذا أســـوأ شيء . . انه يبدو بمثابة ادانة ذاتية .

بيـــدرو : كان يشعر قبل ذلك بأنه مدان . كان يظن نفسه ملعونا .

يفكر أكثر ممـــا ينبغى ، وقد دفعه ذلك الى . . . الى الانتهاء هكذا .

لويس : (بصوت خائف) يبدو أن هذه الفصيلة ملعونة في الواقع يا بيدرو . ترى ماذا يحدث لأدولفو وأندريس الآن ؟ تراهما ذهبا الى بعيد ؟

بيـــدرو : (يرفع كتفيه) أتركهما . يبدو كما لو كانت الأرض قد ابتلعتهما . لقد ضيعا نفسيهما .

(فترة صمت)

لويس : إننا الآن وحيدان يابيدرو . وحيدان في هذا البيت . ما الذى سيحدث لنـــا ؟

بيـــدرو : أنا أيضا سأختفى يالويس . أنت الوحيد الذى سيعيش .

لويس : لا يابيدرو ، أنا لا أريد أن أعيش اذا كنتم جميعا ستتركوننى . ليس هناك سبب يجعلنى أستثنى . أريدك يابيدرو أن تقول : كان لويس معنا ليلتها ، وقتل هو الآخـــر .

بيـــدرو : لا . ستبقى أنت في هذا العالم . ربما يكون هذا هوعقابك. البقاء ، والاستمرار في الحياة ، والاحتفاظ في أعماق القلب بذكرى هذه الحكاية . .

لويس : لكننى لن أستطيع أن . .

بيـــدرو : نعم ، ستستطيع . ستنتهى الحرب ، وستعود أنت الى الحياه . ستجد أصدقاء آخرين . وستقع في حب امرأة . . ستتزوج . . عليك أن تقبل كل شيء ، ولن يعرفوا هم لمـــاذا يبدو عليك الحزن لحظة . . كما لو كنت تتذكر .

وعندئذ ستكون أنت مستغرقا في التفكير في العريف ،
وفي خابيير ، وفي أدولفو ، وفي أندريس ، وفي أنا . .
لا ينبغي عليك أن تحزن يالويس من أجلنا . . احزن من
أجل نفسك . . . من أجل فترة العقاب الطويلة التي
لا يزال عليك أن تعيشها . . وهي حياتك .

لويس : ولمـــاذا كل ذلك يابيدرو ؟ ترى ماذا فعلنا من قبل ؟
متى حكم علينا بكل ذلك ؟ هل نستحق يابيدرو كل
ذلك ؟

بيـــدرو : باه . ليس علينا أن نتساءل . لمـــاذا ؟ ليست هناك اجابة.
الانسان الوحيد الذى كان في مقدوره أن يتكلم قـــد
صمت ، وغدا ستأتي الدورية لا محالة . والآن فلننم .
وسأقوم أنا بالحراسة هذه الليلة .

لويس : لا . نم أنت يابيدرو . سأقوم أنا بالحراسة .

بيـــدرو : اذن . . سنقوم بالحراسة معا . . . سنتحدث . . وسيكون
لدينا الكثير ممـــا يقال . يبدو أنها آخر ليلة لنا هنا . نعم ،
انتهى كل شيء .

لويس : (الذى ظل ينظر الى بيدرو بتركيز) هل تعرف ؟ قلما
أتحدث . . لا يعجبني أن أقول الكثير من الأشياء . . .
لكنني اليوم ونحن نشعر بكل هذه الوحدة ، أريد أن
أقول لك أنني معجب بك ، وأنني أحبك كثيرا . أحبك
كما لو كنت أخي الأكبر .

بيـــدرو : هيا ياولد . . انك تبكي . . لا ينبغي عليك أن تبكي . .
ليس هناك مايستحق العناء . . (يخرج علبة دخان فيها

سيجارتان) أنظر . . سيجارتان . انهما آخر سيجارتين معى . هل تريد أن تدخن ؟

(يخرجهما ويضغط على العلبة بأصابعه)

لويس : لا . . لم أدخن أبدا .

بيـــدرو : لتكن هذه هي أول مرة (يشعلان السيجارتين ويدخنان) هل تعجبك ؟ (يرد بالايجاب بينما يجفف دمعه الذى يبدو وكأنه جاء نتيجة للدخان . ينظر اليه بيدرو بحنان) انها سيجارتك الأولى . . . لن تنساها أبدا . . وعندما يكون كل ذلك قد انتهى ويبدو لك كما لو كان حلما ، أو كما لو لم يحدث قط . . عندما تريد أن تتذكر . . ذات يوم ، ربما بعد سنوات طويلة . عندما تريد أن تتذكرني ، أشعل سيجارة ، وسيعود هذا البيت الى حيز الوجود كلما تذوقتها ، وستكون جثة خابيير قد أنزلت من الشجرة أمامك ، وسأكون أنا أيضا أمامك ، أنظر اليك . . هكذا . .

(تخيم الظلمة بينما يسـدل ببطء)

الســـــتار

الكمامة

(دراما في ست لوحات وخاتمة)

تأليف: الفونسو ساستري
تقديم: د. صلاح فضل
ترجمة: د. احمد يونس
مراجعة: د. احمد هيكل

العنوان الاصلي للمسرحيه

LA MORDAZA

DRAMA EN SEIS CUADROS
Y UN EPILOGO

DE

ALFONSO SASTRE

EDICIONES
ALFIL

PREMIO NACIONAL DE TEATRO, 1959.

شخصيات المسرحية

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى مدريد على خشبة مسرح رينا فيكتوريا ، وذلك فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٤ وقد قام باخراجها خوسيه ماريا دى كينتو .

انطونيا	الام	Antonia
ايساياس كرابو	الاب	Isaias Krappo
لويسا	زوجة خوان	Luisa
خوان	الابن	Juan
أندريا	خادمة	Andrea
خاندرو	ابن	Jandro
تيو	ابن	Teo
الغريب		
روش	المفتش	Roch
شرطى		

تقـــديم بقـلم المؤلف

تجد هذه المسرحية جذورها على نطاق ضيق فقط فى أحداث لورس ، وهى الأحداث التى تحدثت عنها صحافة العالم كله . ولم يحاول مؤلف هذه المسرحية ان يستعلم عن تفاصيل هذا الموضوع . ولا عن شخصية ومزاج « جاستون دومينيك وعائلته ، فلم يكن غرضه هو وضع مجموعة من الاحداث فى اطار درامى . وكانت حكاية لورس تلك مجرد سبب أدى ببساطة الى كتابة هذه المسرحية ، ولا تسعى شخصياتها الى أن تحل محل الشخصيات الواقعية . وقد تخيل الكاتب الاحداث بحرية مطلقة ، وهو لا يقصد القاء الضوء أو مجرد الاخبار بمجموعة من الأحداث ترجع عملية التحرى فيها ـ أو لعلها رجعت بالفعل ـ الى الشرطة الفرنسـية والى المفتش م . سابيل على وجه التحديد . فالاستعداد للجريمة والبـواعث التى دفعت اليها ، فضلا عن شخصيات الضحايا ، كلها تدخل فى دائرة الابداع الدرامى . ولابد للبحث عن واقع هذه المسرحية من ارتياد دروب أخرى .

المـؤلف

أ . س

اللوحة الأولى

غرفة تستخدم كحجرة للجلوس والطعام في نفس الوقت داخل بيت ريفي واسع ، يبدو من طريقة بنائه أنه كئيب يبعث على الاحساس بالوحشة . هناك مصباح كبير مؤقد ، لكنه ليس كافيا ليضيء جميع أنحاء الغرفة . النوافذ مفتوحة ، وقد أطفأت المدفأة الكبيرة . الوقت ليلة حارة من شهر أغسطس .

يترأس ايساياس كرابو العجوز المائدة التي يلتف حولها أفراد العائلة وهم يتناولون عشاءهم . ينتهي كل من أنطونيا ، لويسا ، وخوان وخاندرو من تناول عشائهم صامتين . يشعل ايساياس غليونه ، وتتحرك أنطونيا — وهي امرأة مسنة شبه عمياء — بقلق ، وتحاول أن تتجسس على ما يجرى ، وهي تحدق ببصرها في وجه العجوز .

أنطونيا : (بصوت خافت مرتعش) لا أظن أنه سيتأخر كثيرا . لابد أن شيئا ما قد شغله . (لايقول ايساياس كرابو شيئا) وأنا أرى أن الولد يشعر بالقلق منذ مدة ، كما لو كانت لديه بعض المتاعب . ولا أعرف ماذا يمكنني أن أظن به . (يلتزم العجوز الصمت) أليس كذلك يا ايساياس ، ألست على حق ؟ ألا تلاحظ ذلك أنت

. . . ؟ (يبدو أنه شارد الذهن) ألم تلاحظ ذلك أنت؟

ايسايياس : لماذا لم يأت للعشاء في الوقت المحدد ؟ هذا ما أود أن أعرفه . هذا هو الشيء الوحيد الذى يهمنى في هذه اللحظة .

أنطونيا : لابد أن شيئا ما قد . . .

ايسايياس : اسكتى . تشعرني بالاشمئزاز محاولتك تلك لايجاد الأعذار له حتى الآن . مايفعله معنا لايمكن أن يغتفر . اننا مجتمعون كلنا هنا حول المائدة . وهو نوع من الاهانة يوجه نحو العائلة (تهمس لويسا بشيء وهى محنية على طبقها) هل تقولين شيئا يالويسا ؟

لويسا : لا . . أعنى أننى لا أشعر بأن اهانة من أى نوع قد وجهت الى . . بسبب تأخر تيو هذا المساء .

ايسايياس : لست أنت يالويسا بالذات الانسانة التى من حقها أن تقرر متى نشعر نحن بالاهانة . هذا شيء يخصنى أنا . واذا كان ما يضايقك هو طريقتى في الحياة ، فقد كان في وسعك أن تتجنبى تحملى . وكان يكفى ألا تنتسبى الى هذه العائلة التى تضايقك على مايبدو كثيرا .

لويسا : لقد تزوجت خوان وليست لى عائلة غيره . وليس هناك – اذا كنت تريد أن تعرف ذلك – من له الحق في توجيه الأوامر الى سواه .

خوان : (بصوت خافت تبدو عليه العصبية) أسكتى . أسكتى الآن .

ايسايياس : لو كان خوان رجلا لما تحدثت بهذه الطريقة يالويسا .

انهم يشتمون أباك ياخوان . ألا تدرك ذلك ؟ واذا لم يكن في وسعك أن تكبح جماحها ، فسيكون عليّ أن أفعل ذلك أنا يوما .

لويسا : ماذا تريد أن تقول ؟

خوان : (يأخذها من ذراعها ويتمتم من بين أسنانه) هل ستصمتين الآن ؟

لويسا : (تتخلص منه) لا تتحرك ، انك تؤلمني .

ايساياس : اتركها ، فان بها مساً من شيطان . ألا تراها ؟ في جسدها مائة قطة (١) شرسة ومن المؤسف أنك لم يكن لك بصر أقوى عندما اخترت زوجتك ياخوان ، العالم ملىء بالنساء الحقيرات ، النقيات المطيعات .

خوان : (بصوت منخفض) أبي .

ايساياس : ماذا تريد ؟

خوان : (بصوت ذليل) لاتقل هذه الأشياء عن لويسا ، فأنا سعيد بزواجي منها .

ايساياس : لا يدهشني منك ذلك (بلهجة بها إلى حد ما عذوبة ساخرة) فأنت ولد قليل الموهبة جدا ياخوان . وقد وصل الأمر إلى أنك قد بدأت تثير فينا أنا وأمك الانزعاج عندما كنت صغيرا . كنت كحيوان بليد . وقال لنا الطبيب أن السبب في كل شيء هو أعصابك . لم تكن قوي الذاكرة ، وكنت تتحدث بصعوبة . . كان الكلام

---

(١) تعبير اسباني يقصد به ان الشخصية المشار اليه لا يمكن ترويضه . المترجم

يتطلب منك جهذا كبيرا . . . وليس في استطاعتك أن تقدر مدى الحزن الذى اعترانا ، ونحن نكتشف أننا قد أنجبنا طفلا هذا حاله . أليس كذلك يا أنطونيا ؟ ابننا البكر سبب لنا كثيرا من الحزن .

خوان : (وقد أطرق برأسه) لم يكن عليك أن تحكى كل تلك الأمور أمام الجميع يا أبى .

ايسايياس : لماذا ؟ ليس هناك ما يخجل ابنا لى . واذا كنت أحدثك عن ذلك ، فهذا لكى لاتنسى أبدا ما الذى فعلناه من أجلك في هذا البيت . . . وأننا بالتضحيات في سبيلك والانشغال عليك ، استطعنا أن ندفع بك الى الأمام ، وأن نجعل منك رجلا لا يثير ضحك الناس في هذه القرية (فترة انتقالية) ذلك أنه . . . من المؤلم حقا أن يرى المرء كيف أنكم تنسون كل شيء ، كل مافعلناه من أجلكم ، وألاّ تحترسوا من توجيه الاهانة الى شيخين مسكينين . أحيانا أفكر في أننا قد ربينا مجموعة من الغربان . لقد ربينا يا أنطونيا مجموعة من الكائنات الغريبة التى سينتهى بها الأمر الى اقتلاع عيوننا

أنطونيا : دعك من هذا ! يا أغرب ماتتحدث عنه . كيف تستطيع أن تفكر . . ؟ أبناؤنا طيبون . الأولاد يحبوننا ، وهم على استعداد لأن يفعلوا أى شيء من أجلنا . واذا كان هناك شيء يجعلنى أشعر بالسعادة في هذه الحياة ، فهو أننى قد أنجبت أبناء ، وأنا أحس بالراحة بينهم . وعندما يذهبون أدرك مدى الوحدة التى أشعر بها .

ايسايياس : حسن يا أنطونيا . . يعجبنى أن تستغرقى في الأحلام ،

فليس في وسعك الآن أن تفعلى شيئا آخر . . وعلينا أن نغفر لك لحظات الضعف الصغيرة هذه . . . يالك من امرأة مسكينة يا أنطونيا . . . كيف وصلت الى هذا المستوى ؟ انك لاتستطيعين حتى أن ترى بوضوح . . وأنت تتحركين بين الظلمات . . لاترين سوى أجساد تتحرك . . هذا هو العالم بالنسبة لك . . أجساد تتحرك حولك ، وأنت عاجزة عن التمييز بينها . . انكتشعرين بالقلق عندما ترتجف هذه الأجساد لأنك لاتعرفين ماالذى سيحدث ، ويبدو لك دائما أن شيئا سيئا سيقع . تنظرين الينا . . تحاولين أن تنظرى الينا لكى تعرفى ما إذا كنا نشعر بالحزن أو أن وجوهنا قد بدتواجمة . . تتصنتين . وعندما تسمعين صوتا قويا تبدئين في الارتجاف . . انك خائفة . ما الذى يخيفك يا أنطونيا ؟ ليس عليك أن تشعرى بالخوف وأنت بيننا .

أنطونيا : أنا لست خائفة . . كيف يمكننى أن أشعر بالخوف وأنا بين أبنائي ؟ فقط من حين لآخر ،عندما تغضب أنت مع أحد الأولاد — عندما تغضب منه وأنت على حق طبعا — أشعر بأننى لا أريدك أن تغضب الى هذا الحد . . وأكون عصبية . . نعم ، علىّ أن أعترف بذلك . . اننى أكون في هذه اللحظة عصبية . . . لايعجبنى أن أسمعكم تتشاجرون .

ايساياس : ومع ذلك فان من الضرورى أن تستمعى الينا يا أنطونيا، وأنت نفسك لابد أن تساعدينى في تربية أبنائنا . . لكنه ليس في استطاعتى أن أعتمد عليك في أى شيء . .

منذ مدة . . موقفى محزن الى حد ما ، وأنتم تحيطون بى . . مجموعة من الضعفاء المرضى . أنا أكبركم سنا ، وعلىّ مع ذلك حتى الآن أن أعطيكم دروسا في القوة والشجاعة . . . (ثم يضيف بمرارة) مجموعة من الكائنات الطفيلية ، هذا هو الشيء الذى أراده الحظ لايساياس كرابو العجوز لكى يعزى به نفسه فيسنواته الأخيرة . . . . . (يبتسم بسخرية) مجموعة يشعر نحوها بالحب بالرغم من كل شيء . . (يفرغ غليونه وينهض . يتجه ناحية احدى النوافذ) الجو حار للغاية هذه الليلة . وليس في استطاعة الانسان أن يتنفس (تنهض لويسا ، وتبدأ في رفع المائدة . دخلت أندريا الخادمة صامتة . تشترك لويسا وأندريا في حمل الأطباق والمفرش . يقترب ايساياس من خاندرو ، وهو أصغر الأبناء ، ويضربه على قفاه مداعبا) هيا ياخاندرو . . ماذا بك ؟ انك لم تفتح فمك طيلة الليل . وأنت واجم للغاية .

خاندرو : لا شيء ياأبي . لدى رغبة قوية في النوم ، فقد تعبت كثيرا في المساء في الحقل ، وكان هناك عمل كثير لدرجة أن . . .

ايساياس : انك لا تزال صغيرا ، والعمل بالنسبة لك صعب حتى الآن ، لكن عليك أن تبدأ في التعود على ذلك . وعندما تكبر فسوف تشكر لى هذا . والآن اذهب ونم اذا شئت .

(ينهض خاندرو)

خاندرو : (متثائبا) الى اللقاء في الغد يا أبي (يلتفت ناحية الجميع) الى اللقـــاء في الغد .

(يردون تحيته . يذهب خاندرو ، ويملأ ايساياس غليونه مـــرة أخرى) .

ايساياس : كيف يبدو لك الولد يا أنطونيا ؟ انني سعيد به . ليس قويا ، لكن لديه ما ينقص الآخرين . لديه قوة ارادة .

أنطونيا : خاندرو ولد كما ينبغي أن يكون الأولاد (تتنهد) أوف ، ليست هناك نسمة تتحرك هذا المساء ، ونحن نعيش صيفا سيئا للغاية . انه لا ينتهى أبدا . أشعر بأنني أختنق . أفضل الشتاء . في استطاعة الانسان أن يشعر بالراحة بجوار النار . لكننا في الصيف . . الصيف فصل سيء . وفيه ترتكب الجرائم . يخرج الرجال خناجرهم لأتفه الأسباب وتجرى الدماء . كل الجرائم تحدث أثناء الصيف . تجرى دماء الرجال في عروقهم وليس في استطاعتهم أن يفكروا . حرارة الجو تعميهم ، ولا يهمهم أن يقتلوا انسانا ما . وهم بعد ذلك في الشتاء ، عندما يفكرون فيما فعلوا ، يعجزون عن فهمه . لا يجدون تبريرا يفسر لهم لمـــاذا تصرفوا هكذا . ذلك أن الذنب لم يكن ذنبهم . . كانت حرارة الجو هى التى تخنقهم ولا تتركهم يتنفسون .

(انتهت لويسا وأندريا من رفع المفرش والأطباق وانصرفتا) .

ايساياس : اسكتى يا أنطونيا . أية حماقات تقولين ؟ أى هذيان هـــذا ؟

أنطونيا : ليست هذا هذيانا . انها الحقيقة . لقد هرمت كثيرا . لكننى أعرف كيف أتذكـــر الأشيـــاء . كنت لا أزال طفلة عندما اكتشفتْ جثتا امرأتين ميتتين في بيتهما . . قتلوهما بالفئوس . كان الأمر بشعا حقا . لا أحد يعرف من الفاعل . لم يعرف هذا أحد أبدا . حدث ذلك في أغسطس . وكنا في فترة الخطوبة حين تشاجر رجلان في القرية ، وقتل أحدهما الآخر . ألا تذكر ؟ حدث ذلك في الصيف . وكنا قد أنجبنا خوان وتيو عندما خنقت خوليا زوجة الحداد طفلها . ولم يكن الذنب ذنبها . كان الجو حارا . والجميع يعرفون ما الذى حدث في القرية آخر سنوات الحرب . . . حوادث القتل التى وقعت ، وكيف تعارك الرجال بعضهم مع بعض .

ايساياس : (بوجوم) كان من الضرورى القيام بكثير من الأشياء ذلك الصيف . لم يكن هناك حل آخر .

أنطونيا : لكننى أرى . . أنا أرى بكل تواضع ، أن هناك دائما حلاً آخر . لابد من عمل كل شىء قبل الوصول الى القتل . هذا ما يأمر به السيد المسيح .

ايساياس : لم يكن يشغلنا سيدك المسيح نحن الذين كنا نكافح من أجل الوطن أثناء الاحتلال ، نحن الذين كان فيمقدورنا أن نقتل بالرشاشات الجنود الأجانب والخونة الذين يحمونهم .

أنطونيا : (تهز رأسها علامة عدم الموافقة) لا ، لا ياايساياس .

أتركني أقول لك في هذا الصدد أنك مخطيء . . علينـــا دائما أن نفكر في السيد المسيح .

ايساياس : (ضاحكا) أهذا كل ما يعلمونك في الكنيسة ؟

أنطونيا : اننا نصلي أيضا . وأنا أصلي كثيرا من أجلك ياايساياس أصلي من أجل خلاص روحك .

ايساياس : (وقد ارتسمت على وجهه امارات السخرية) أشكر لك ذلك يا أنطونيا . أقول هذا جادا . . أشكر لك ذلك (يحدث شخص ما بعض الضجة في الخارج . انه تيو الذى يصل . يدخل متّرددا)

تيـــو : لقد ت . . تأخرت قليلا مع الأصدقاء . سامحاني .

ايساياس : من أين أنت قادم ؟

تيـــو : كنا . . في الحانة . شربنا القليل من أقداح النبيذ . كنا نغني . وكنت أريد أن أعود ، لكنهم قالوا لى أن أبقى. كانوا يمزحون معى ويقولون لى . هل أنت خائف من أن يوبخك أبوك ؟ . فبقيت معهم لكى يروا . .

(تعود لويسا وهى تسير بجوار خوان الذى يضع ذراعه على كتفها ويلف سيجارة بقلق . يتابعان المنظـــر)

ايساياس : لكى يروا ماذا ؟

تيـــو : لكى يروا أننى رجل ، وأننى لا أفزع لأى ســـبب . وهكذا فقد بقينا هناك ، وظللنا نتسلى بعض الوقت . لكننى كنت أرغب في العودة يا أبي .

ايساياس : كنا جميعا نجلس حول المائدة . الأسرة كلها مجتمعة

لتناول طعام العشاء كما ينبغي . . وقد وصل الأمر إلى أننا انتظرناك قليلا . . كنا نرغب في أن نكون جميعا معا كالعادة . هل تعرف أهمية ذلك بالنسبة لنـا . . انك تعرف ذلك ، لأنني ربيتك بهذه الطريقـة . . لكنك كنت في تلك الساعة . . في تلك الساعة المقدسة بالنسبة لنا ، كنت تسكر في الحانة . . انه لأمر محزن .

تيــو : لم يكن في نيتي أن أضايقكم لهذا الحد .

ايسايياس : (وقد التمعت عيناه) هذا هو الشيء السيء ، انك لم تكن ترغب في مضايقتنا . هذا هو الشيء السيء . . انكم تفعلون أسوأ الأشياء دون أن ترغبوا في ذلك . لو كنت ترغب في مضايقتنا ، وفعلت هذا لكـــي تضايقنا ، ولكي ندرك مدى احتقارك لنا ، لبدا الأمر بطريقة مختلفة . . لبدا معركة ، لادليلا على سلطـة الأب . . كنا سنعرف في هذه الحالة في أى طريـــق نحن سائرون . . وكان كل شيء سيظهر جليـا . . لكن هذه المواقف مضحكة . . اذهب . . اذهب ونم . . دعني في حالى . لا أريد حتى أن أراك . يصيبني الاشمئزاز عندما أراكم هكذا .

تيــو : الى اللقاء في الغــد .

أنطونيا : الى اللقاء في الغد ان شاء الله ياولدى .

(يخرج تيــو)

ايسايياس : ساعد أمك ياخوان . . رافقها الى غرفتها .

أنطونيا : لا أعتقد أنه سيكون في وسعى أن أنام في جو حـار كهذا . لم أنم الليلة الماضية ولا دقيقة واحدة .

أيساياس : افتح لها جميع النوافذ ياخوان .

(يبدأ خوان في اصطحابها ويخرجان . سكتة . يشعل ايساياس غليونه) .

انطونيا : لكن نسمة واحدة من الهواء لا تدخل . . لاتدخـــل نسمة واحـــدة . .

ايساياس : لا ينبغى عليك أن تكوني قاسية معي الى هـــذا الحـــد يالويسا . يجب عليك أن تحترميني أكثر مما تفعلين الآن. في استطاعتنا أن نكون صديقين طيبين لو أردت أنت ذلك .

لويسا : انك لاتبـــدو لى خفيف الظـــل ، وهذا مالا أستطيع تَجَنُّب الاحساس به .

ايساياس : لقد أرغمتنى على أن أقول لك أمام الجميع أشياء غير لطيفة . وكان عليّ أن أفعل ذلك لكى لايكتشفوا هم أى نـــوع من الضعف في نفسى نحوك . لو لم أفعـــل لضعت تماما . لكنك تعلمين أنـــه لم يكن في نيّتى أن أسيء اليك . قلت لك ماقلته لكى يسمعوه هم . لكنك تعلمين أنني أحس نحوك بعاطفة قوية .

لويسا : عاطفتك لاتّهمنى لافي قليل ولا في كثير .

ايساياس : انك جافة معى . . وقاسية جدا . . ماذا فعلت لك حتّى تعاملينني بهذه الطريقة ؟

لويسا : لم تفعل شيئا . ليس من الضرورى أن تفعل لى شيئـــا حتّى أشعر نحوك بهذا الـ . . هذا النفـــور . . قلت لك إنني لا أستطيع تلافي هذا الاحساس .

ايساياس : حاولت منذ البداية ، منذ أن أحضرك خوان الىالبيت ، أن أكون صديقا لك . . لكنك رفضت ذلك دائما . . تعبسين في وجهى ، وتتجنبيننى . . أو تختلفين معسى أمام الجميع ، ولا تحترميننى . . لماذا أنت هكـــذا ؟ انك لا تريدين أن تقولى لماذا . لكننى أعرف السبب . هل تعتقدين أننى لا أعرف ؟ لقد قصوا عليك بعض الأشياء عنى قبل أن تأتي الى البيت . . وحذروك منى . . هؤلاء الناس السيئون . . ماذا قالوا لك عنى ؟

لويسا : لا شيء . لم يقل لى أحد شيئا .

ايساياس : تكذبين . قالوا لك أننى رجل شرير . . وأننى عجوز سيء المراس . أليس كذلك ؟ (يضحك) اننى عجوز يرفض أن يكون كذلك ، واننى لا أزال أبحث عن اللذات . وربما قالوا لك أننى أحاول أن أمتع نفسى مع الفتيات الصغيرات . وأننى أتتبع الخادمات . وأننى لن أعتق حتى امرأة ابنى . ألم يقولوا لك ذلك ؟ أنا أعرف أهل هذه القرية . . وأعرف أساليبهم الملتوية وحسدهم الذى تميزوا به دائما . . . انهم لا يغفرون لى أننى لا أزال قويا . وأننى أملك المـــال . . المـــال الذى كسبته بهاتين اليدين . وأنا أعمل كما لو كنت دابة . وماذا أيضا ؟ وماذا ؟ قالوا لك عنى أيضا ؟ أننى كنت قاسياً أثناء الحرب . وأننا ارتكبنا فظائع في قرى المقاطعة . . اننا كنا نهاجم قطارات ونضع قنـــابل . . وأننا قتلنا كثيرين من الناس . . ومن الذى قال لك ذلك ؟ واحد من هؤلاء الجبناء الذين كانوا في بيوتهم .

بينما راحت تتوالى كل تلك الأحداث . . بينما كنـــا نحن نكافح من أجل حريته ومن أجل الكرامة التى يفتقر اليها هو .

لويسا : انك مخطىء . لم يحدثنى أحد عنك قبل أن آتي الى هذا البيت .

ايسايياس : هل تظنين أننى لا أعرف ما يقال عنى في القرية ؟

لويسا : انى لم أعبـــأ أبدا بما يقال في القرية . كان من الممكن أن تكون علاقتى بك طيبة بالرغم من تلك الأشياء التى ربما أكون قد سمعتها في القرية . . تلك الأشياء التى سمعتها دون أن يقولها لى أحد .

ايسايياس : كلهم يقصون نفس الحكايات على لسان شخص آخر دائما . انهم يخافوننى ، ويهاجموننى من موقعهم في الظلام . انهم ســـلالة من الزواحف الطرية اللزجة . ســـلالة من الجبناء .

لويسا : هناك من يتحدث عنك بالخير . . بل هناك من هم معجبون بك .

ايسايياس : انهم رفاق المقاومة القدامى . . هؤلاء الذين اشتركوا في المعركة . أعرف ذلك . كانت تلك أيام رائعة لن يستطيع أحد منا أن ينساها .

(تصدر عن لويسا حركة تدل على الاعياء والاحساس بحرارة الجو . تفك أحد أزرار البلوزة ، وتمسح جبينها بيدها) انك تشعرين بالحر الشديد . أليس كذلك ؟

لويسا : نعم ، الجو حار جدا . آه لو هب الهواء قليلا . . لكن الأمر هكذا لا يمكن تحمله . .

ايساياس : لايزال هذا البيت فُرناً في الصيف ، ولم أحقق شيئا باحاطته بالأشجار . يؤسفني أن تشعرى بالحر الى هذه الدرجة يالويسا ، بالرغم من أنه يناسبك . . (يقترب منها) هذا الحر . . يناسبك . .

(تراقبه لويسا باشمئزاز وهو يقترب . ويظهر خوان على الباب)

خوان : في وسعنا أن نذهب لننام اذا شئت يالويسا .

(يلتفت ايساياس ناحية ابنه)

ايساياس : هل تذهبان الآن ؟

لويسا : (تنهض) نعم . علينا أن نستيقظ مبكرين غدا (تتجه نحو خوان) .

خوان : طابت ليلتك يا أبي .

ايساياس : الى اللقاء ياولدى . طابت ليلتكما .

يخرج كل من خوان ولويسا ، ويبقى ايساياس كرابو بمفرده . يعود فيتناول الغليون شارد الذهن ويشعله . يتجه ناحية أحد الدواليب ويخرج زجاجة خمر .يشرب ويترنم بلحن أغنية معينة . يفك أزرار القميص ويمسح وجهه بالمنديل . (لا يزال يغني . يشرب كأسا آخر . تسمع دقات عنيفة على باب الشارع يسمعها ايساياس بدهشة . تسمع الدقات مرة أخرى) أندريا . . اذهبي وافتحى .

(سكتة . تدخل أندريا)

أندريا : انه سـيد يسأل عنك .

ايساياس : سـيد ! من يكون ؟

أندريا : لا أعرفه . انه ليس من أهل القرية ، ولم يأت الى هنا قبل الآن أبدا .

ايساياس : وماذا يريد في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

أندريا : يقول أنه يريد أن يتحدث معك .

ايساياس : (يرفع كتفيه) لا أستطيع أن أتخيل من يمكن أن يكون قولى له أن يدخل (تخرج أندريا وتعود بعد قليل ومعها رجل نحيف ، شاحب اللون . له عينان قلقتان زائغتان . يتأمله ايساياس وقد قطب جبينه) ماذا تريد ؟ عم تبحث في هذه السـاعة ؟

الغريب : أنت . . أنت ايساياس كرابو أليس كذلك ؟

ايساياس : نعم .

الغريب : كنت . . كنت أريد أن أتحدث معك .

ايساياس : ألم يكن في وسعك أن تنتظر حتّى الصباح ؟

الغريب : الأمر أن . . . أننى وصلت الآن فقط . وقد تركت سيارتي على الطريق الرئيسى . قضيت سبع سـاعات وأنا ألف وأدور حتّى استطعت الوصول الى هنا . اننى متعب للغاية .

ايساياس : فسر لى الأمر اذا استطعت . . أو اذا شئت فـ . . .

الغريب : كنت أرغب في التحدث معك منذ مدة طويلة . لكننى

لم أستطع تحقيق ذلك قبل الآن .

ايساياس : لمـــاذا ؟

الغريب : كنت (يحاول أن يبتسم) كنت عاجزا عن الخروج مدة من الزمن . . كنت في السجن . أقولها هكذا بصراحة دون لف ولا دوران . وقد أفرجوا عنى هذا الصباح مبكرا . بعد . . هل تعرف ؟ بعد ثلاث سنوات طويلة . ثلاث سنوات طويلة . هل تدرك معنى ذلك ؟ قضيت ثلاث سنوات دون أن أتحدث مع أحد . كنت أفكر وأنتظر لحظة الخروج لكى أجوب في هذه القرى التى لدّى فيها بعض الذكريات . . الذكريات المرعبة . هل تسمح لى بالجلوس ؟ أشعر بالدوار .

ايساياس : اجلس .

الغريب : لعلك أدركت الآن حالتى . أتعذب كثيرا بأعصابي ، ولا أستطيع أن أستغرق في النوم . وهكذا فانني مريض . . . ويائس . لست أدرى ماذا سأفعل . لكننى آمل في أن أهدىء من روعى عندما أفعل . . . ما أنوى عمله . . عندما أقتل رجلا لا يستحق الحياة . . (يبدو أنه يفقد القدرة على التنفس) على ظهر هذه الأرض ... أعنى في هذا العـــالم .

ايساياس : عما تحدثنى ؟ هل جننت ؟ أم ماذا جرى لك ؟

الغريب : ربما أكون قد بدأت أجن . . كان الأمر أكثر ممـــا أستطيع تحمله . والآن فان من المستحيل بالنسبة لى أن أنام ، وأنا لا أستطيع حتى أن أستريح .

ايساياس : (وقد بدأ يتسلى بالموقف) وما علاقتي أنا بكل ذلك ؟ ليتك تخبرني اذا أردت .

الغريب : من الصعب التحدث عن بعض الأشياء . لعلك قد تصورت الآن لماذا كنت في السجن . . منذ ثلاث سنوات . . منذ أن انتهت الحرب على وجه التحديد .

ايساياس : أعتقد أنك تعاونت بود مع قوات الاحتلال .

الغريب : بالضبط . تعاونت معها . . وبود . لهذا كادوا يقتلونني حكموا عليّ بالموت . ثم ظهر من يعطف عليّ ، وظللت ثلاث سنوات في زنزانة . ثلاث سنوات طويلة كما قلت لك . ثلاث سنوات أدت الى تحطيم أعصابي نهائيا . لكن أسوأ مافي الأمر كان قد حدث لى قبل ذلك بالفعل أثناء الحرب . ربما تكون أنت على علم بذلك . لهذا جئت أتحدث معك . وهذا هو أول شيء أفعله بعد أن غادرت السجن . أن آتي لأتحدث معك . ربما تكون على علم ب . . .

ايساياس : كيف عرفت اسمى ؟

الغريب : اسمك ؟ انى لم أنسه قط . لم أكن أستطيع أن أنساه بطبيعة الحال .

ايساياس : هل تذكره . . . من أيام الحرب ؟

الغريب : نعم .

ايساياس : (وقد بدأ يفقد أعصابه) فلنتكلم اذن . تكلم اذن اذا شئت .

الغريب : (وهو ينظر اليه بثبات) كنت أحدثك عن شيء مؤلم

للغاية . . عن شيء حدث لى أثناء الحرب . . وفي هذه المنطقة بالذات ، على بعد خمسة كيلو مترات من القرية تقريبا . أتذكر ذلك كما لو كان قد حدث بالأمس . كان الأمر فظيعا الى درجة أنه لم يكن في استطاعتي أن أنساه . وأنا أتذكر حتى وجود الأشخاص الذين اشتركوا فيه .

ايساياس : استمر .

الغريب : كنا نشغل سيارتين . كنت أنا في السيارة الأولى مع . . شخصية مرموقة في . . . نعم ، في جيش الاحتلال . . وفي السيارة الأخرى كانت هناك زوجتانا وابنتى . . ابنتى التى كانت في الثانية عشرة من عمرها ، وكما قلت لك فقد هاجمتنا على بعد خمسة كيلو مترات من هذه القرية احدى مجموعات ! المقاومة . . التى تتألف من الوطنيين . هؤلاء الذين كنا نحن نسميهم بالارهابيين . . هاجمتنا مجموعة اساياس كرابو .

ايساياس : هل أنت متأكد ؟ أنا لا أذكر . لا أعرف شيئا عما تحدثنى .

الغريب : وقعت النساء في أيدى . . الوطنيين . . وقد أصابت الجنرال الذى كان معى رصاصة في صدره ومات بعد ذلك بساعتين . حاولت لحظة الهجوم أن أذهب لنجدة النساء . لكن الفكرة الوحيدة التى خطرت على بال السائق هى أن يخرج من نطاق النيران . وقد استطاع أن يحقق ذلك . لم ينج الا أنا وهو . وبعد أيام قليلة

ظهرت جثتا المرأتين وجثة الطفلة في أحد المنخفضات. كنا نعد حملة تأديبية. لكن الوقت لم يسعفنا، فأرجأت العملية، وها أنذا آت اليك الآن.

ايساياس : لماذا جئت ؟

الغريب : لكى آخذ القصاص.

ايساياس : لكى تبحث عن الشخص الذى قتل زوجتك وابنتك ؟

الغريب : لقد عثرت على هذا الشخص بالفعل.

ايساياس : (ضاحكا) هل تظن أننى هذا الشخص ؟

الغريب : لا تضحك. أعرف أنك أنت هذا الشخص. ياله من أمر غريب. عندما كنت في طريقى الى هنا، ظننت أنه لن يكون في وسعى أن أحتفظ بهدوئي وأنا في مواجهة ايساياس كرابو. ظننت أننى سأنقض عليه وأقتله. وها أنا ذا الآن هنا أرى أن هذا ليس حلا. وتخطر على بالى (يبتسم بشرود)... افظع وأكبر وسائل الانتقام.

ايساياس : كل هذا ليس سوى نوع من الهذيان الذى أصابك. وأنا لا أذكر شيئا مما تقوله. وليس لدى ما أخافمنه.

الغريب : هذا ما سوف نراه.

ايساياس : والآن اذهب من بيتى.

الغريب : سأذهب هادئا ودون أن أتعجل الأمر.. اذا سمحت لى بذلك. وسوف تسمح لى لأنه ليس في صالحك.. ليس في صالحك بأية حال أن تطردني بطريقة سخيفة.

أنت تعرف ماذا يحدث . لديك عدو شرير ، وهو يائس ومطلق اليدين . . مطلق اليدين تماما ، وفي النهاية . . . قد يصل الأمر الى أن هذه الحقيقة تحرمك من النوم . وأنا لا أعدك ياصديقى كرابو ، أنا لا أعدك بأنك ستعيش طويلا بعد الآن . . وقد تموت أيضا بطريقة فظيعة بعد أن تكون قد عشقت أيامك الأخيرة بشكل بشع . . .

ايساياس : (بصوت معدني) (١) اذهب . اذهب من هنا .

الغريب : لم يعد الموت يهمني . ألا ترى ذلك ؟ أما أنت فانك تتمنى . . تتمنى بكل حرارة أن تعيش سنوات كثيرة أخرى . . وستكشف بنفسك أينا سيتعذب أكثر من الآخر من الآن فصاعدا . . . (يضحك بعصبية) التفكير في الأمر يبدو مسليا كذلك . . والآن فانني سأنصرف ياسيدى . في وسعك أن تنام هذه الليلة . أعدك بذلك (يضحك) طابت ليلتك .

(يذهب ، وبمجرد أن يخرج ، ينهض ايساياس ويتجه ناحية دولاب صغير يخرج منه مسدسا ، يحشوه بالرصاص ويخرج مسرعا . سكتة . تصل لويسا وهى ترتدى الروب ، وتبدأ في البحث عن أنبوبة أقراص في احدى قطع الأثاث . تتناول واحدا مع كوب من الماء ، ثم تطل شاردة الذهن من احدى النوافذ . يدوى طلق نارى في الخارج . فتحاول لويسا بقلق أن تطل لترى ماذا حدث . وفجأة تصرخ في اتجاه الخارج)

---

(١) المقصود هنا هو أن الصوت بارد وثابت فى نفس الوقت . المترجم .

لويسا : هه ؟ أنت ؟ (تبتعد عن النافذة وتتجه ناحية الباب في اللحظة التي يدخل فيها ايساياس) ماذا فعلت ؟ ماالذى فعلته بالضبط ؟

ايساياس : أسكتي . أسكتي . أنا لم أفعل شيئا ، وأنت لم تـــرى شيئاً والا سأقتلك ! ما الذى تفعلينه هنا في هذه الساعة المتأخرة ؟ اذهبي ونامى ! بهدوء ! أنت لم ترى شيئا . اذهبي ونامى !

(تنصرف لويسا فزعة للغاية . يطفىء ايساياس الضوء ويتجه ناحية النافذة . نرى خياله على خلفية السمـــاء . يشعل غليونه . وتغمر الظلمة المكان شيئا فشيئا .)

اللوحة الثانية

نفس المنظر . صباح اليوم التالى . يجلس ايساياس الى مائدة الافطار ، بينما ينظر خاندرو من النافذة العريضة الى الخارج .

ايساياس : هل هم آتون الى هنا ؟

خاندرو : نعم .

ايساياس : كم عددهم ؟

خاندرو : اثنان . أحدهما يرتدى الحلـــة الرسمية .

ايساياس : انها الشرطة ! سيجيئون ليروا ما اذا كنا نعرف شيئا . هل سمعت أى طلق نارى ؟

خاندروأ : أنا لم سمع شيئا وقد علمت بما حدث عندما جاءت أندريا يحكى عنه هذا الصباح . ولم تسمع أمى شـــيئا هي الأخرى . ولا تيو . هذا شىء غريب جدا . ألا يبدو لك الأمر كذلك يا أبي ؟ يبقى أن نعرف ما اذا كانوا قد أحضروه ميتا بالفعل ، وألقوا به هنا . هذا محتمل . أليس كذلك يا أبي ؟

ايساياس : (يرفع ايساياس مابين كتفيه) من يدرى ؟ كمن يدرى ماالذى حدث بالضبط ؟ أين تيو وخوان ؟

خاندرو : ذهبا الى الحقل . لم يكونا ليتّركا عمليهما لهذا السبب . واذا سمحت لى فاننى أريد أن أذهب أنا أيضا . لن أفقد النهار هكذا .

ايساياس : لا . ابق أنت اليوم . ربما نحتاجك هنا .
(تدخل أندريا)

أندريا : (وقد بدا عليها أنها عصبية) يريدان أن يتحدثا معك .. أعنى رجال الشرطة .

ايساياس : فليدخلوا . . فليدخلوا .
(تخرج أندريا . ويتابع ايساياس تناوله طعام الافطار بهدوء . تعود أندريا ومعها المفتش روش الذىيصطحبه أحد رجال الشرطة ، ولا تلبث أن تنصرف) .

المفتش : صبـــاح الخير .

ايساياس : (وهو يتناول افطاره) صباح النور . تفضل . اجلس لو شئت .

المفتش : السيد ايساياس كرابو . أليس كذلك ؟

ايساياس : نعم .

المفتش : أنا المفتش أدولفو روش من المركز الاقليمى .

ايساياس : يشرفنى أن أتعرف عليك .

المفتش : (الى الشرطى) انتظر أنت في الخارج (يخرج الشرطى) أظن أنك تعرف ما حدث ؟ .

ايساياس : كانت احدى خادماتنا هي التى اكتشفت ال . . الجسد .

المفتش : تعنى الجثة . أليس كذلك ؟

ايساياس : جاءت الخادم ، وقالت لنا أن هناك رجلا ميتا بالقرب من الطريق الرئيسى . . لكننى فكرت في أنه لا يمكن أن يكون ميتا بالفعل .

المفتش : انه ميت فعلا (مشيرا الى خاندرو) هل هو ابنك ؟

ايساياس : نعم .

المفتش : ليس من الضرورى تماما أن يظل معنا الآن . سأتحدث معه في وقت آخر .

ايساياس : لعلك سمعت يا خاندرو . اذهب وتمشى قليلا . ولا ينبغى أن يخطر على بالك أن تقترب من . . من هـــذا الشىء .

المفتش : لن يدعوه يقترب . لاتقلق لهذا السبب .

ايساياس : هيـــا .
(يخرج خاندرو . سكتة)

المفتش : هل في استطاعتك أن تساعدنا بشكل ما ؟

ايساياس : أخشى جداً ألا يكون ذلك في استطاعتى .

المفتش : ألم تسمع عيارا ناريا أثناء الليل ؟

ايساياس : لا . لم أسمع شيئا على الاطلاق . كنت موجودا هنا في هذه الغرفة حتّى ساعة متأخرة جدا .

المفتش : الى متّى بالضبط ؟

ايساياس : ربما الى منتصف الليل . كنت أشرب بعض كئوس الكونياك ، وقد غلبنى النعاس على هذا المقعد . وعندما استيقظت كانت الساعة فيما أعتقد . . نعم ، كانت الساعة حوالى الثانية عشرة . وعندئذ ذهبت لأنام . وعندما نهضت هذا الصباح تلقيت لأول مرة خـــبر الـ . . الحادث الغريب .

المفتش : من الذى يعيش في البيت غيرك ؟

ايساياس : زوجتى وأبنائي الثلاثة . . وزوجة ابنى الأكبر . . وخادمتان ، وخادم آخر لاينام في البيت .

المفتش : أين ينـــام ؟

ايساياس : في القرية .

المفتش : كم تبعد القرية عن البيت ؟

ايساياس : حوالى . . . ستمائة متر .

المفتش : أليس هناك في الطريق من هنا الى القرية بيت أو كوخ . . ؟

ايساياس : لا . لاشيء من هذا . اننا نعيش منعزلين قليلا . هذه هي الحقيقة ، وهو أمر يشعر النساء أحيانا بالخوف ، خاصة في الشتاء .

المفتش : (يخرج علبة سجائر) هل تريد أن تدخن ؟

ايساياس : لا . شكرا . سأدخن بغليوني (يملأ الغليون) كل هذا غريب الى حد ما . ألا يبدو لك الأمر كذلك ؟ لا أحد في البيت ، فيما أعرف قد سمع العيار النارى الذى تتحدث عنه .

المفتش : هل كنت أنت آخر شخص يذهب الى الفراش ؟

ايساياس : نعم .

المفتش : لابد أن نفترض اذن أن الجميع كانوا نائمين عندما انطلقت الرصاصة .

ايساياس : لكن عيارا . . من مسافة كهذه . . ألا تظن أنه قد أحضر ميتا فعلا ؟ خطرت هذه الفكرة على بالى ، كما خطرت على بال ابنى عندما قال لى منذ لحظة أنه يسمع شيئا هو الآخر .

المفتش : علينا أن نفترض اذن أن شخصا ما قد أحضر الجثة في السيارة . وأنه قد تركها هنا وذهب . الى أين ؟ وفي أى اتجاه ؟

ايساياس : ماذا يمكننى أنا أن أقول لك ؟ ما افترضناه لا يعتمد على أى دليل . . بدا لنا شيئا يستعصى على التفسير ألا نكون قد سمعنا العيار النارى .

المفتش : ليس هذا هو الشيء الذى يفوق في غموضه ماعداه . رصاصة من مسدس من عيار ٦,٣٥ يصعب أن توقظ أحدا من مسافة كتلك التى تقع بين الطريق وهذا المكان .

ايساياس : آه ! هل قتل بمسدس صغير . ؟

المفتش : نعم . رصاصة صغيرة للغاية مصوبة باحكام الى القلب . انها لعملية تتميز بالمهارة حقا . طلقة رائعة من الظهر . هل لديك ما أشعل به سيجارتي ؟ لقد نفد ما معي من الكبريت (يشعل له ايساياس السيجارة) تبدو يدك ثابتة بالرغم من سنك . فضلا عن أنك في هذه اللحظة تواجه (يبتسم) تحقيقا بوليسيا .

ايساياس : انني متعود على عمليات الاستجواب البوليسية أيها المفتش روش . والحقيقة أن واحدة من عمليات الاستجواب تلك لم تكن على هذا القدر من اللطف . كنت أحد زعماء جيش المقاومة في هذه المقاطعة . وقد وقعت في قبضة الشرطة أكثر من مرة . ولا ينبغى أن أخبرك بأنهم قد عاملوني بأقل قدر من اللطف .

المفتش : لا ينبغى أن نخلط بين الشرطة وتلك المنظمة الارهابية .

ايساياس : كانوا هم أيضا يسمون أنفسهم بالشرطة .

المفتش : أعرف ذلك . عانيت أنا أيضا منهم في الشمال . كنت أعمل ضابط اتصال بين العاصمة وجماعات ! الساحل . وقد القى القبض علىّ مرة واحدة . لكنها كانت كافية . ضربوني بقسوة . وبعد الحرب أجريت لى عملية جراحية حساسة . وقد ظلت معي ذكرى جميلة من « رجال الشرطة » هؤلاء : أعيش برئة واحدة . وكما تستطيع أن تدرك فانني لا أشعر بعاطفة حارة نحو هؤلاء الناس .

ايساياس : كنت أنا أكرههم من كل قلبي . كانوا يشعرونني بالاشمئزاز ، ولا أعرف لماذا .

المفتش : كانوا مجموعة من الأشرار . (سكتة) هل تعرف أن القتيل كان واحدا منهم ؟

ايساياس : ماذا ؟

المفتش : كانت الجثة تحتوى هذه المرة على أوراق رسمية .

ايساياس : أى نوع من الأوراق الرسمية ؟

المفتش : لم يمض على خروجه من السجن أكثر من أربع وعشرين ساعة .

ايساياس : هل كان ينتمى الى المليشيا ؟

المفتش : كان منصبه أهم من ذلك . كانت له رتبة عسكرية .

ايساياس : لا يدهشني أن يكونوا قد قتلوه في هذه المنطقة . لايدهشني ذلك الآن . هؤلاء الناس لايجدون هنا من يتعاطف معهم . قاموا بثلاث عمليات تأديبية خطيرة بما فيه الكفاية هنا في المقاطعة . كانوا يقتلون النساء والأطفال ، فالأمر يستوى بالنسبة لهم . ويمكن أن يكون القاتل أى شخص . . أى شخص من سكان القرية أو من الأماكن المحيطة بها . لكن ما الذى أتي به الى هنا ؟ هل جاء يبحث عن الموت ؟ هل جاء لينتحر ؟ لا أجد تبريرا لذلك . ربما كان من اليائسين .. أو أن لديه مايؤرق ضميره . . وأنه قد جاء يبحث عن العقاب على أيدى ضحاياه . كانت هذه أيها المفتش روش ، واحدة من المناطق التى عانت أكبر

قسط من العمليات الانتقامية . والفلاحون يتمتعون بذاكرة قوية .

المفتش : هل تظن أن يكون قد قتله أى شخص ؟

ايساياس : أنا أعرف أهل هذه الأرض . نحن بطبيعتنا لا ننسى الاساءة . ولا نتخلى عن الثأر . واذا كان الرجل قد جاء بحثا عن حتفه ، فان ذلك لم يكن بالأمر العسير عليه . يكفى أن يتوجه الى أى بيت . . . أى بيت شريف ومسالم ، وأن يقول أنه كان في تلك الأيام الفظيعة بالنسبة لنا واحدا من هؤلاء الذين راحوا يحرقون منازلنا ويحصدون أبناءنا بالرصاص .

المفتش : هل تفكر أن أى شخص يمكن أن . . . أنت نفسك مثلا ؟

ايساياس : أنا رجل عجوز . ومن المحتمل ألا يكون في استطاعتى أن أقتله . لكننى كنت سأشعر بالسعادة لو أن أى واحد من أبنائي قد فعل .

المفتش : مع ذلك فلم تسنح الفرصة ، لأن هذا الرجل لم يأت الى البيت . أليس كذلك ؟

ايساياس : أول نبأ تلقيناه عنه ياسيادة المفتش هو أنه قد مات .

المفتش : أنى آسف . لكن هذه الحكاية اللعينة ستتسبب لكم من الآن فصاعدا في بعض المضايقات . سيكون عليكم أن تجيبوا على الأسئلة أثناء التحقيق . وأن تتحملوا لبعض الوقت مساوئنا .

ايساياس : إننا تحت أمركم . مايؤسفنى هو أن تقوموا بكل هذا

العمل لكى تعثروا على . . « قاتل » رجل كهذا . كان ينبغى أن يسمح بقتل هذا النوع من الناس كما لــو كانوا كلابا .

المفتش : (وهو يهز رأسه) لقد تلقى هذا الرجل عقابه ،وليس هناك من مخرج يحول دون اعتباره مواطنا محترما بكل مايعنيه ذلك (تدخل لويسا ، ويدهشها أن ترى المفتش فتحاول الانصراف) هه ، ياآنسة . لاتذهبى (الى ايساياس) من تكون ؟

ايساياس : زوجة ابنى الأكبر (تعود لويسا فزعة) انه المفتش روش يالويسا . وقد كلف باجراء التحريات عن جريمة الليلــة المــاضية .

المفتش : يشرفنى كثيرا أن أتعرف عليك ياسيدتي (تحنى لويسا رأسها بحركة بلهاء) قولى لى لو تكرمتِ ، هل سمعت الليلة المــاضية عيارا ناريا ؟

لويسا : هل سمعت . . . ؟

المفتش : عيار نارى أثناء الليل (سكتة . ينتظر ايساياس الــرد وقد تقلصت عضلات وجهه بتوتر) حاولى أن تتذكرى هل سمعت عيارا ناريا ؟

لويسا : نعم .

المفتش : في أية ساعة تقريبــا ؟

ايساياس : هل سمعت طلقا ناريا يالويسا ؟ وكيف قلت لى من قبل أنك لم تسمعى شيئا ؟ لمــاذا أخفيت عنى الحقيقة ؟ ليس للأمر أهمية . لكن لمــاذا تخفين عنى شيئا

كهذا ؟ هل لديك ماتخافين منه ؟ طبعا لا . لمـــاذا اذن . . . .

لويسا : ذلك أنني . . لم أكن متأكدة تمـــاما . ظننت أنني سمعته في الحلم . وبعد ذلك فكرت في الأمر بطريقة أفضل ، واكتشفت أنني سمعت عيارا ناريا . . .

المفتش : في أية ســـاعة تقريبا ؟

لويسا : (بعصبية) لا أعرف . كيف يتأتي لى أن أعرف ذلك ؟ لم أنظر الى الساعة . فزعت لسماعه فاختبأت تحت الملاءة . ثم نمت .

المفتش : حسن . اذا سمحتما لى فسوف ألقى نظرة على المنطقة المحيطة بالبيت . على أن أقوم بالاجراءات الروتينية التى تتطلبها مهنتى . لكننى أريد قبل أن أذهب أن أتحدث مع زوجتك .

ايساياس : لعلها جالسة خلف البيت في الظل . هل تريد أن يرافقك أحد الى هناك ؟

المفتش : لا . ليس هذا ضروريا . الى اللقاء فيما بعد .
(يخرج ويقترب ايساياس بسرعة من لويسا وبصوت منخفض يكاد يكون همسا يقول لها) :

ايساياس : حمقاء ؟ كنت على وشك أن تفسدى كل شىء . ما الذى جرى لك ؟

لويسا : انني عصبية للغاية ، وليس في استطاعتى أن أسيطر على أعصابي .

ايساياس : (يتحدث بسرعة وطلاقة) لست الآن عصبية . لايمكن

أن تكوني عصبية . ليس هناك ما يجعلك تخافين . كان من حقى أن أفعل ذلك . هل تعرفين ؟ سنتحدث عن الموضوع فيما بعد . لابد أن يظل الأمر سرا بيننا . أندريا تعرف أن الرجل كان هنا في البيت . ألم تعرفى أنت ذلك ؟ نعم . كان هنا ، وقد هددني بالقتل . لكن أندريا لن تقول شيئا . انها صديقة طيبة لى . ، وأنا أقدم لها الهدايا في السر من حين الى آخر . . . لاتنظرى إلىّ هكذا . ليس من حقك أن تنظرى إلىّ هكذا . لست انسانا متوحشا . انني عجوز مسكين يحبكم ، ويضحى بنفسه من أجلكم . . لا تقولى شيئا لخوان . بالذات خوان . فانه سيموت من الألم لو عرف . وهو يحبني كثيرا هذا المسكين . لاتقولى له شيئا . سأتحدث الآن مرة أخرى مع أندريا . انها فتاة طيبة ، لكنها بلهاء . الى اللقاء يالويسا . تشجعى (يغمز باحدى عينيه) لا يستحق الأمر كل هذا . سترين كيف أننـــا سنضحك في خلال شهر واحد من كل هذه الصعوبات تشجعى يالويسا . الى اللقاء .

(تظل لويسا بمفردها ، وسرعان ماتجهش في البكاء بعصبية . ظلام) .

اللوحة الثالثة

غرفة نوم لويسا وخوان . تجلس لويسا على السرير وتقرأ احدى الصحف . يدخل خوان ، فتنتفض لويسا

خوان : ماذا بك ؟

لويسا : أفزعتني . كنت أقـــرأ عن الجريمة . وبما أنك قـــد فتحت الباب فجأة فقد . . .

خوان : ما الذى كنت تقرأينه ؟

لويسا : عن الجريمة .

خـــوان : ماذا تقول الصحيفة ؟

لويسا : تقول أن كل الصحف اليومية في البلاد قد علقت على الحادث بإسهاب .

خـــوان : وماذا أيضا ؟

لويسا : وأنه « بعد خمسة أيام من التحريات » (تقـــرأ) « لايزال الموقف غامضا كما كان في اليوم الأول . لم يعثروا على شيء » .

خـــوان : سمعت أنهم لم يجدوا أثرا للجريمة نظرا الى أن الأرض كانت جافة . ويبدو أن الشرطة لاتستطيع أن تكتشف شيئا اذا لم تجد أثر الجريمة . وكذلك لم يعثروا على المسدس . هل تتحدث الصحيفة عنا اليوم ؟

لويسا : نعم . اليوم أيضا . كان في استطاعتهم أن يتركونا في ســـلام .

خـــوان : دعيهم وشأنهم . هذا شيء لايضايقنا . مادام ليس لدينا مانخافه . . .

(ســـكتة)

لويسا : انهم يبحثون عن المجرم في جميع أنحاء المقاطعة .

خـــوان : حدثني الناس في القرية عما تفكر فيه الشرطة . أن

المجرم أو المجرمين جاءوا بالسيارة معه . وأنهم قــد أطلقوا عليه الرصاص قبل أن يصلوا . قبل أن يصلوا بقليل الى المكان الذى توقفت فيه السيارة ، وهو مايفسر أنك قد سمعت العيار النارى ينطلق . . أنا لم أسمع شيئا . . وأنهم قد غادروا السيارة واجتازوا الغابة حتى وصلوا الى الطريق الرئيسى حيث كانت في انتظارهم على مايبدو سيارة أخرى يفرون فيها . لكن ما هى الأسباب التى دفعتهم الى قتله ؟ لايعرف أحد شيئا عن هذا الموضوع بالذات .

لويسا : لا . لايعرف أحد شيئا . الحقيقة أن أحدا لايعرف شيئا

خــوان : ماذا تريدين أن تقولى يا لويسا ؟ فقد ارتسمت على وجهك امارات الغموض . هل تعرفين شيئا ؟ الحقيقة أنى ألاحظ أنك قــد تغيرت قليلا منذ أن وقعت الجريمة . هل تعرفين أنت شيئا ؟ فيما عدا ذلك كل شىء في البيت كما هو الا أنت . هل معنى ذلك أنك تعرفين شــيئا ؟

لويسا : لا ياخوان . لا أعرف شيئا .

خــوان : انك لن تخفى علىّ شيئا . أليس كذلك يالويسا ؟ لن تخفى علىّ شيئا .

لويسا : لا .

خــوان : ذلك أنك لو أخفيت علىّ شيئا ذات يوم ، فانه لن يكون في استطاعتى أن أغفر لك ذلك . هذا هو الشىء الوحيد الذى ليس في وسعى أن أسامحك عليه . قلت لك هذا مرارا وتكرارا .

لويسا : (بعصبية) حسن ، حسن . لقد سمعتك . هل لك أن تدعنى في هــدوء ؟

خــوان : ولا أريد من ناحية أخرى أن تغضبى . . سامحينى .

لويسا : (تنظر اليه بحنان) لكننى لم أغضب منك ياخوان . كيف يكون في وسعى أن أغضب منك ؟

خــوان : (يبتسم ويطالبها بعناد صبياني) قولى اذن أى شيء تعرفينه يالويسا

لويسا : هل تريد حقا أن تعرف كل شيء ؟

خــوان : نعم .

لويسا : لا زالت لديك الفرصة لكى تتراجع ياخوان . وقــد قال لى أبوك أن ذلك سيمثل بالنسبة لك ألما فظيعــا ، وأنك قد تموت من الألم .

خــوان : ما الذى يمكن أن يؤلمنى الى هذا الحد ؟

لويسا : انى أخشى أن أتحدث .

خــوان : لا تخافي وتكلمى .

لويسا : أعرف أنى سأسبب لك كثيرا من الألم ، لكننى أنانية ، ولا أستطيع أن أتحمل هذا العبء وحدى (وقد غمرت الدموع عينيها) ساعدني .

خــوان : هذه هى مهمتى يالويسا . ليس لدى ما أفعله فضلا عن ذلك في الدنيا .

لويسا : الأمر يتعلق بالجريمة ياخــوان .

خــوان : تكلمى .

لويسا : لم تكن مجموعة من المجرمين هى التى جاءت بالسيارة وتركت الرجل ميتـــا هناك . لقد جاء الرجل بمفـــرده وكان موجودا هنا في هذا البيت .

خـــوان : هل كان موجودا هنا في البيت ؟

لويسا : (تأتي بحركة تدل على موافقتها) وعندما كان في طريق عودته إلى السيارة كان أبوك هو الذى قتله .

خـــوان : (وقد فتح عينيه عن آخرهما ، واكتسب صوته رنة مرتعشة) كيف علمت بذلك ؟

لويسا : لأننى رأيت .

خـــوان : كيف استطعت أن ترين ذلك ؟

لويسا : لم يكن في مقدورى أن أنام فهبطت لآخذ قرصا . ولم تشعر أنت بشيء . كنت نائما .

خـــوان : من أين رأيت ذلك ؟

لويسا : من النافذة الموجودة في الطابق السفلى .

خـــوان : هل قتله أبي ؟

لويسا : نعم . كان هو القاتل .

خـــوان : لكن . كيف يمكن أن يحدث شيء كهذا ؟ من كان هذا الرجل ؟

لويسا : لا أعرف .

خـــوان : انه لأمر فظيع يالويسا كل ما قلته لى . أمر فظيع (يرتجف وتصيبه رعشة واضحة) انه لأمر فظيع كل ماقلته لى .

لويسا : تنظر اليه فزعة لهذا لم أجروء على أن أخبرك بالأمر ياخوان .

خـــوان : أبي ليس مجرما يالويسا . لقد قاتل أثناء الحرب ككل الناس ، لكنه ليس مجرما .

لويسا : أعرف ذلك ياخـــوان .

خـــوان : انه حاد المزاج ، وتستطيعين أن تقولى عنه ماشئت ، لكنه ليس مجرما .

لويسا : طبعا . لابد أن شيئا ماقد حدث له تلك الليلة لكي يفعل ذلك .

خـــوان : نعم . لابد أن ما أصابه أقرب مايكون الى النوبـــة العصبية . شيء كنوبة جنونية .

لويسا : قال لى أبوك أن هذا الرجل قد هدده بالقتل .

خـــوان : انتابه الخوف اذن . انتابه خوف جارف ، فقتله لكى يدافع عن نفسه ضد الخوف . . . في لحظة جنـــون . لابد من أن نسامحه على ذلك . أنا أغفر لأبي ، وهـــو بالنسبة لى ليس مجرما . وبالنسبة لك يالويسا ؟ (تظل لويسا صامتة) كان الجو حارا . أمى دائما تقول : أن الأيام الحارة تحمل الشر في طياتها . . كان أبي عصبيا . . فما رأيك في هذا ؟ (تظل لويسا صامتة) ها أنـــا أرى أنك لن تغفرى له يالويسا ، ومع ذلك فلابد من أن نسامحه . لابد أن نسامح أبيعلى كل شيء . لقد هرم كثيرا ،وعلينا أن نكون طيبين معه في هذه اللحظات .

لويسا : انني لا أريد أن أزيد من آلامك ياخوان . لكن أباك قد قتل رجـــلا . أطلق عليه الرصاص من الخلف ، وتركه هناك في الحقل ميتا ، ثم عاد الى البيت هادئا ، وقد بدا عليه حتى شيء من البهجة . وهو لايـــزال

يعيش بيننا ، ويقوم بأعماله اليومية كما لو كانشخصا شريفا كغيره من الناس . وفي هذه الأثناء هم يبحثون عن المجرم في جميع أنحاء المقاطعة . ولابد أن تكون الشرطة قد ضربت أكثر من عابر سبيل برىء لكى يتكلم عن شىء يجهله . علينا أن نأخذ في الاعتبار كل هذا ياخـــوان .

خـــوان : أنا لا أستطيع أن آخذ هذا في الاعتبار . أنا لاأستطيع . وتيو ؟ ماذا يعرف هو ؟ هل يعرف شيئا ؟

لويسا : لا . أندريا هى الشخص الوحيد الذى يعرف ماجرى.

خـــوان : ولمـــاذا أندريا بالذات . ؟

لويسا : لأنها هى التى فتحت الباب لهذا الرجل .

خـــوان : لابد أن نخبر تيو بالأمر .

لويسا : وسيعرف كل من في البيت الأمر ؟

خـــوان : نعم . هذا أفضل . لابد على الأقل أن يعرف أخى تيو ماحدث . لايهمنى أن تعرفي أنت ، لأنك لست ابنته .

لويسا : اذا علمنا جميعا بالأمر فان الموقف سيكون أصعـــب على التحمل .

خـــوان : لابد أن يعرف تيو ماحدث . قولى له أن يأتي .

(تخرج لويسا ، بينما يسير خوان جيئة وذهابا بعصبية. يلف سيجارة . تعود لويسا)

لويسا : سيأتي حـــالا .

خـــوان : عليك أن تفهمى يالويسا . لابد أن يعرف تيو .

لويسا : كما تريد . لكن اذا عرف أبوك أننى أخبرتك بالأمر فأظن أنه سيقتلنى .

خـوان : لايالويسا ، لاتقلقى . لن يعرف ذلك (يدخل تيو)تيو.

تيـو : ماذا تريد ؟

خـوان : لابد أن أخبرك بشىء فظيع بالنسبة لنا . شىء كنت أتمنى ألا يكون علىّ أن أخبرك به .

لويسا : لا تتحدث بصوت مرتفع هكذا . قد يسمعنا .

خـوان : (يخفض من صوته) الأمر يتعلق بأبينا .

تيـو : قل ماشئت .

خـوان : أبونا هو المجرم الذى يبحثون عنه .

(ينتظر رد الفعل عند تيو الذى يظل هادئا)

تيـو : (قائلا ببساطة) كنت أتوقع ذلك .

خـوان : ماذا ؟ كنت تتوقع ذلك . . . ؟

تيـو : (بهدوء) نعـم .

خـوان : لماذا ؟ كيف كان في استطاعتك أن تتوقع. . . ؟

تيـو : أخبرني بعض رفاقه من المسنين في المجموعة عـن شخصية الميت .

خـوان : من هـو؟

تيـو : (يبتسم بطريقة فيها شىء من السخرية) لقد قتل أبونا العزيز زوجته وابنته أثناء الحرب . هذا مالا تعرفـه الشرطة . وليس هناك من هو على استعداد لأن يخبرها به . القرية مليئة بشركاء أبينا في الاجرام ، ومـن

الصعب أن تلقى الشرطة القبض عليه اذا لم يتكلم أحد منـــا .

خـــوان : قتل . . . ؟ هل قلت أنه قتل . . . ؟

تيـــو : (يأتي بحركة تدل على الموافقة) سقطتا في أيديهـــم أثناء احدى الهجمات وهما في سيارتين رسميتين . زجوا بهما في أحد الأكواخ . وقد ذهب أبونا مخمورا ليلتها الى هذا الكوخ وحاول أن يغتصب المرأة . هل تتخيل أبانا في هذا المنظر الجميل ؟ بدأت الطفلـــة في الصراخ ، فتملكت أبي احدى نوباته العصبية ، وقتل الطفلة حتى لا تعيقه ، ثم قتل المرأة لكى لا تستطيع أن تقص ماجرى . . وألقى التهمة على واحد من المتهورين كما كانوا يطلقون عليهم عندئذ . . . ولم يحـــدث شيء . وجاء هذا الرجل لينتقم .

خـــوان : لكن كل هذا ياتيـــو أمر فظيع .

تيـــو : ألم تكن تعرف أن أبانا قد ارتكب بعض الفظائع أثناء الحرب ؟

خـــوان : لم تكن نراه نحن شهورا طويلة ، ولم يكن يجرؤ أحد على أن يقول لنا شيئا .

تيـــو : هذا الرجل هو أبونا . انه أشبه ما يكون بالشيطان الذى يعذبنا .

(ســـكتة)

خـــوان : انك لاتحب أبانا اطلاقا . أليس كذلك ؟

تيـــو : لا .

خـــوان : هل تكرهــه ؟

تيـــو : (بنظرة زجاجية) أظن ذلك .

خـــوان : لمـــاذا ؟

تيـــو : (بتكاسل) أغلب الظن أن لدّى مجموعة من الأسباب.

خـــوان : قل لى ســـببا واحدا .

تيـــو : انه يسىء معاملة أمنا . وأنا لا أستطيع أن أتحمل اللهجة التى يخاطبها بها .

خـــوان : هل هذا هو كل شىء ؟

تيـــو : هذا أمر مهم للغاية . انه يهينها أمامنا جميعا . وهو لايحبها .

خـــوان : وماذا أيضا .

تيـــو : (يخفض بصره) ليس في استطاعتى أن أنسى مافعله معى عندما كنت أحب خوليا .

خـــوان : ماالذى فعله معك ؟

تيـــو : سخر منى أمامها ، وتسلى بي ، وعندما أردت أن أعارضه ضربنى . . . ولم أجرؤ على أن ألقاها بعد ذلك أبدا . لقد عاملنى بمنتهى القسوة . وكان يتسلى بتعذيبى ، وبـ . . (ساخرا) وبالاستعراض أمامها على حسابي ، هذا العجوز الذى يبعث على الغثيان ! . لم أعرف كيف أدافع عن نفسى .

خـــوان : لاتتحدث عن أبينا هكذا ياتيو .

تيـــو : لا أستطيع أن أتحدث عنه بطريقة أخرى . أعرف أن هذه خطيئة ، لكننى أكره أبي من كل قلبي .

لويسا : (بصوت حزين) هل كنت تحبها الى هذا الحد ياتيو ؟

تيــو : (وقد خفض رأســه الى أقصى درجة ، وبدا أنه خجل) نعم ، كثيرا .

(ســكتة)

خــوان : ألم يخطر ببالك أن . . . تبلغ عن أبينا ؟

تيــو : لا . وليس السبب أنني لازلت أشعر نحوه ببعض الحب. في استطاعتكما أن تتأكدا من ذلك .

خــوان : لمــاذا اذن ؟

تيــو : لأنني أخافه . لأنني عندما أراه أرتجف كما لو كنت امرأة . لأنني أعرف أنه لوترامى الى سمعه أنني أبلغت عنه ، وأن في امكانه أن ينفرد بي دقيقة واحدة أكون فيها في متناول يده ، فانه لن يتردد في حنقي . انني أخاف أبانا جدا ياخوان (ثم بمرارة) ولم يكن ينبغي عليّ أن أكون هكذا . أليس كذلك ؟ (ينهض) سأهبط . اذا عرف أبي أنني هنا معكم ، فقد يشــك في الأمر . طابت ليلتكما .

لويسا : طابت ليلتك ياتيو (تفتح له الباب فيخرج تيــو ويبقى خوان مستغرقا في التفكير . سكتة) فيما تفكر ياخوان؟ لاتفكر في شيء الآن . حاول أن تنام .

خــوان : الأمــر أن . . .

لويسا : (برقة) هيا . استلق كما لو كنت على وشك أن تنام ..

(يستلقي خوان)

خـــوان : أفكر في تيو ، وفي أبي ، وفي الأشياء الّتى حدثت لنا ، وفي تلك الّتى ستحدث لنا في المستقبل ، وأشعربالأسى .

لويسا : ألن تسكت ياخوان ؟

خـــوان : في الأشياء الّتى حدثت لنا . . .

لويسا : أسكت .

خـــوان : وفي تلك الّتى . . . .

(تهبط الظلمة شيئا فشيئا)

اللوحـــة الرابعـــة

نفس النظر الذى ظهر في اللوحتين الأولى والثانية . يقرأ خاندرو بصوت مرتفع احدى الصحف لأمه .

خاندرو : « الشيء الثابت أنه بعد سبعة أيام من ارتكاب الجريمة لم يتم اكتشاف أى شيء على الاطلاق من الناحيةالعملية . ونأمل ونحن على أبواب الأسبوع الثاني أن تأخذ الشرطة على عاتقها بمزيد من الجدية مهمة كشف النقاب عن شخصية القاتل » (يرفع رأسه عن الجريدة) هكذا ينتهى التعليق . (تهز أنطونيا رأسها مستغرقة في التفكير . يترك خاندرو الصحيفة) الجو حار الليلة أكثر من أى وقت مضى . أليس كذلك يا أمى ؟

أنطونيا : نعم ، حرارة الجو تنذر بالعاصفة . لنر ماذا كانت ستهب في النهاية . سيشعرنا هذا بالهدوء ، وسترى ذلك عندما تبدأ العاصفة ، وينهمر المطر فوق الحقول . ألا تقول الصحيفة شيئا آخر ؟

خاندرو : ماذا ؟

أنطونيا : كنت أسألك عما اذا كانت الصحيفة تقول شيئا آخر .

خاندرو : لا .

أنطونيا : كل شيء كما هو عليه اذن . انهم لايتقدمون قيد أنملة . ما رأيك أنت في الجريمة ياخاندرو .؟

خاندرو : انهم سيكتشفون المجرم آجلا أو عاجلا . (دخل الآن ايساياس كرابو الذى سمع كلمات خاندرو الأخيرة) وأن عليهم عندئذ أن يعلقوه مشنوقا في ساحة القرية ليعطوا بذلك مثلا ، فلا يجرؤ أحد بعد الآن على ارتكاب جريمة كتلك .

ايساياس : وماذا أيضا يابنى ؟

خاندرو : (يلتفت فيرى أباه) مساء الخير يا أبي .

ايساياس : وماذا أيضا ؟ وماذا تفعل فضلا عن ذلك بالمجرم القطيع يا خاندرو ؟ ها أنـــا أرى أن لديك أحاسيس عادلة جدا ، وان كانت . مفتقرة إلى الرحمة . . ماذا تفعل به أيضا ؟ هيا قل .

خاندرو : لا أسمح لأحد بأن يدفنه في قرافة القرية .

ايساياس : لمـــاذا ؟

خاندرو : لأنها أرض مقدســـة .

ايساياس : أين تسمح اذن يابنى بأن يُهال التراب على عظامـــه المسكينة ؟

خاندرو : في طريق عام ، لكى يدوس الجميع على قبره ، ولا تكون لديه لحظة واحدة يستريح فيها .

ايساياس : هل تظن أن بهذه الطريقة سيظل يعاني بعد موته ؟

خاندرو : نعم .

ايساياس : لكن ، ألا تشعر بأنك قادر على أن تعفيه من هـــذا العذاب الأخير ؟

أنطونيا : (بعصبية) فلتسكت يابنيّ الآن . ودعك من الحديث عن هذه الفظائع .

ايساياس : لمـــاذا لا يكون من حقه أن يتحدث يا أنطونيا ؟ لمـــاذا لا يتحدث ؟ خاندرو وأنا نتجاذب أطراف الحديث بهـــدوء ، ولا ينبغى أن تقاطعيننا .

أنطونيا : أعذرني يا أيساياس ، أعذرني ، فأنا عصبية .. بسبب حرارة الجو هذه (يسمع على البعد دوى الرعد) ها هى العاصفة تقترب .

(يسمع دوى الرعد الذى يستمر مدة أطول هذه المرة . ترسم أنطونيا على صدرها علامة الصليب . سكتة) .

ايساياس : لكنّ أمك على العكس منك ستشعر نحوه بكثير من الشفقة . أليس كذلك ياأنطونيا ؟

أنطونيا : نعم . لقد أصبحت أشعر نحوه فعلا بكثير من الشـــفقة يا ايساياس .

ايساياس : انك على استعداد لأن تبذلى جهدك لكيلا يعاقبوه .

أنطونيا : انى على استعداد لأن أبذل جهدى لكيلا يعاقبوه .

خاندرو : لمـــاذا يا أمى ؟

أنطونيا : لأن الرب قد حـــرم علينا القتل .

خاندرو : ولكن ، اذا حكمت عليه العدالة بالموت . . .

أنطونيا : (تهز رأسها بالنفى) ليست هناك عدالة سوى تلك التى يأمر بها السيد المسيح . لا ينبغى عليك أن تنسى هـذا أبدا يابنى .

خاندرو : ماذا يمكن أن نفعل به اذن ؟

ايساياس : سأقول لك أنا . علينا أن نحاول أن نعيده الى طريق الهدى . هه ؟ أنطونيا ؟ أليس الأمر كذلك ؟

أنطونيا : نعم .

ايساياس : لاتعبأ بشىء ممـا تقوله أمك ياخاندرو . انك على حق . لابد من أن نكون أقوياء وأشداء . علينا أن نعرف كيف نطبق العقاب ، لىوكيف نتلقاه . هذه هى الطريقة الوحيدة للتقدم في الحياة .

أنطونيا : (بصوت يشوبه الحزن والذل) أعتقد أن علينا أن نكون . . عطوفين . . ودعاء ومتواضعين من صميم قلوبنـا .

ايساياس : أنت كذلك بالفعل يا أنطونيا . كنت هكذا دائمـا فهل منحك هذا السعادة ؟

أنطونيا : (وهى تحاول أن تنظر الى ايساياس بعينيها شـبه الضريرتين) لا أظن أن في استطاعتنا أن نكون سعداء تمـاما في هذا العـالم .

ايساياس : انك مخطئة . لقد كنت أنا سعيدا بالفعل . ولا أزال كذلك يا أنطونيا . ولست نادما على شىء ممـا فعلت لكى أكون سعيدا ، ولكى أستمتع بالحياة .

(يدوى الرعد مرة أخرى على البعد . دخل تيو)

تيـــو : هل نذهب للعشاء الآن يا أبي ؟

ايساياياس : نعم (يعود تيو فيخرج . ويتجه ايساياياس ناحية النافذة العريضة) المطر ينهمر . وهذا يحمل الخير للجميع . علينا أن نبتهج بالمطر (تدخل أندريا وهي تحمل المفرش وتضعه فوق المـــائدة . وخلال المشهد التالى ستدخل وتخرج أندريا مرات عدة خلال عملية إعداد المائدة) هل تعرف ماذا أريد أن أفعل الآن ياخاندرو ؟ أريد أن أتمشى طويلا تحت المطر ، وأن أترك جسدى كله يبتل . . ألا تحب أن تفعل ذلك يا خاندرو ؟ سينعشنا ذلك في حرارة الجو هذه . وسنعود الى البيت وقـــد تشربت ثيابنا بالمـــاء ونحن نضحك . ألا تحب أن تفعل ذلك ؟

خاندرو : نعم . أحب أن أفعل يا أبي .

(يعود تيـــو)

تيـــو : سيأتي خوان ومعه لويسا الآن .

(يتجه الى ركن منعزل ويجلس)

ايساياياس : ازداد انهمار المطر الآن . أنظر .

(ينظر كل من ايساياياس وخاندرو الى المطر . يسمع دوى الرعد الذى يبدو أقرب من ذى قبل . يصل كل من خوان ولويسا) .

خـــوان : مســـاء الخير .

(لا أحد يجيب . تساعد لويسا أندريا)

ايساياس : العاصفة تقترب . وبعد لحظات قليلة سنكون فوقنا هنا
(يسمع دوى الرعد ، وقد ازداد عنفا . يقترب ايساياس من المائدة ثم يجلس . وعندئذ يقترب الآخرون أيضا ، ويحتلون أماكنهم في صمت . يساعد تيو أمه . جلس كل واحد في مكانه . يقطع ايساياس الخبز ويوزعه) ماذا يقال في القرية ؟ هل سمعتم شيئا ؟ ماذا يقال عن الجريمة ؟ (سكتة . يخفض كل من خوان وتيو من بصريهما) انني أسألكم . هل نسيتم الكلام ؟

خوان : أنا لم أسمع شيئا . لم أسمع . . شيئا على الاطلاق . . كنت في القرية ، لكنني لم أسمع شيئا . نعم . . أذكر الآن . انهم لم يعثروا بعد على السلاح . كان الناس يعلقون على ذلك في الساحة .

تيو : يقولون أنهم سيرسلون مزيدا من رجال الشرطة . . من العاصمة .

(سكتة)

لويسا : أما أنا فقد سمعت أن المفتش روش لديه أثر .

ايساياس : أثر ؟ أى نوع من الآثار ؟

لويسا : لست أدرى . يقول آخرون إنه يعرف بالفعل من المجرم .

ايساياس : وماذا ينتظر حتى يقبض عليه ؟

لويسا : ينتظر أن يحصل على أدلة الاثبات . أو لعله ينتظر بلاغا يقدمه شخص ما .

ايسايياس : بلاغ يقدمه من ؟

لويسا : (ترفض أن تخفض بصرها أمامه) بلاغ يقدمه شخص ما كان لديه ، ولا يزال لديه من الأسباب التى لانعرفها ما يحمله على الصمت . من يدرى !

ايسايياس : لا . أغلب الظن ألا يكون هناك أى شاهد . واذا كان هناك شاهد فعلا وقد صمت حتى الآن ، فلا أعتقد أنه سيجرؤ على الكلام ، لأنه سيكون متهما هو الآخر بالمشاركة في ارتكاب الجريمة . ما رأيك أنت ياتيو ؟ (الى تيو الذى كان على وشك شرب المـاء لولا أن الكوب قد سقط منه وتكسر . يسمع دوى الرعد) ماذا بك ؟

تيـو : (يحاول أن يبتسم) اجتاحنى الفزع . . .

ايسايياس : لا أعرف ما الذى جرى لكم في تلك الأيام المـاضية . انكم عصبيون ومهملون في العمل . . ما الذى حدث لكم ؟

تيـو : لا شيء . ماذا يمكن أن يحدث لنا ؟

خـوان : وأنا أيضا لا يحدث لى شىء . لا شىء يحدث لى . كانت حكاية الجريمة تلك شيئا غير مستحب اطلاقا . ذلك أن ظهور بيتنا في الصحف شىء . . . فضلا عن زيارات الشرطة المتكررة . . كل هذا يشعر الانسان بالضجر والضيق . . وهم ينتهون باصابة المـرء بالجنون .

ايسايياس : (بسخزية هادئة) مسكين ياخوان ، ها أنا أرى أن الأمر كان أكثر ممـا تحتمل .

خـوان : نعم ، يا أبي . هذا حق . كان الأمر أكثر ممـا أحتمل

ايساياس : وأكثر ممـا يحتمل تيو أيضا ؟

تيـو : (بعصبية) لا تسألني يا أبي . لاتسألني (برق) ليست لدى رغبة في الحديث . أشعر بأنني لست على ما يرام . (يسمع دوى الرعد) هذه العاصفة الملعونة ! ستحطم أعصابي !

ايساياس : أسكت . لاتصرخ على مائدة الطعام . ماذا ظننت نفسك ؟ هل هذه هي الآداب التي علمتها اياك ؟

تيـو : (بانطلاق) هذا لأنه ليس في استطاعتي تحمل العاصفة يا أبي . ويبدو لى أن الله سيعاقبنا فجأة بأن يرسل لنـا صاعقة تهدم بيتنا (يظهر من خلال النافذة وميض البرق الذى يلقى الضوء على كل الوجوه) ألا ترى ؟ ألا ترى ؟ (دوى الرعد) .

ايساياس : لاتقل هذه الحماقات . من الذى سيعاقبنا ؟

تيـو : (برعشـة) لا تتحدث هكذا يا أبي . تسـأل عمن سيعاقبنا ؟ انه الله . الله موجود . ألا تراه ؟ ليس علينا أن نجدف ياأبي . ليس علينا أن نجدف .

ايساياس : (ينهض . بغضب) لكن ما الذى يخيفك ؟ لمـاذا يعاقبوننا ؟ (بشك رهيب) لمـاذا ؟

تيـو : (فزعا) ماذا ؟ لا ، أنا لم أقل . . لم أكن أريد أن أقول . .

ايساياس : لمـاذا يعاقبوننا ؟ لمـاذا ؟ هل لدينا مانخجل منه ؟

تيـو : لا . . طبعا لا . . لاشيء .

ايساياس : (بثبات) ماالذى أردت أن تقوله اذن ؟

تيـــو : (على وشك البكاء) لا شيء . . لا شيء . .

(تنهض لويسا)

لويسا : كفى . انه لأمر يبعث على الاشمئزاز ماتفعله بتيـــو . يبعث على الاشمئزاز .

ايساياس : أسكتى أنت يا لويسا . أسكتى .

لويسا : لا أريد أن أسكت . عليّ أن أجيبك أنا . انه دورى في الكلام . نعم . من الملاحظ أن شيئا ما قد تغير في خوان وتيو منذ يومين . ولديهما من الأسباب مايجعلهما يتصرفان هكذا .

خـــوان : لا يالويسا . أسكتى .

لويسا : قال تيو أنه يشعر بالخوف في هذا البيت وأنهم سيعاقوننا. وأنا أيضا لايدهشنى أن يعاقبونا .

ايساياس : هيا تكلمى ! قولى ماتريدين أن تقولى ! ها أنت تفقدين أعصابك كما هى عادتك .

لويسا : (صارخة بصوت أعلى) نعم . هل تريد أن تعرف ؟ لقد تحدثت معهما . وحكيت لهما كل شيء .

ايساياس : لكن ، ماذا تقولين ؟ ما الذى حكيته لهما ؟

لويسا : نعم ، حكيت لهما كل شيء . كان الأمر الملقى على عاتقى صعبا . أن تقول لرجلين أن أباهما قاتل . والآن فاننا جميعا نعرف كل شيء .

أنطونيا : (باكية) لكن ، ما هذا الذى تقولونه ؟ ما هذا الذى تقولونه ؟ أى نوع من الجنون هذا ؟ .

ايساياس : (وقد راحت عيناه تدوران في محجريهما) لقد تكلمت قلت لك ألا تفعلى .

أنطونيا : هل صحيح مايقولونه يا ايساياس ؟ هل صحيح مايقولونه ؟ (يجهش خاندرو الذى أصابه الفزع بالبكاء) .

ايساياس : قلت لك ألا تتكلمى . سأقتلك .

(يضربها في وجهها)

خـــوان : أترك لويسا يا أبي . أتركها .

لويسا : (تصرخ بجنون) هذا رجل قاتل . ألا ترونه ؟ وفي وسعه أن يقتلنى حتّى هنا .

خـــوان : لا يالويسا . لاتقولى هذا عن أبينا .

تيـــو : (صائحا الآن) لمـــاذا لا يكون في استطاعتها أن تقول ذلك ياخوان ؟ انها الحقيقة . انك ستسمع الحقيقة مرة في حياتك ياأبي . ستسمع ما لم أقل لك أبدا . لقد خفتُ اليوم الى حد يجعلنى الآن لا أشعر بأى شيء على الاطلاق انك ستسمعنى . انا أكرهك . هذا كل ما أردت أن أقوله لك . لكننى لا أكرهك منذ الآن فقط . اننى أكرهك من قبل أن تقتل هذا الرجل المسكين . ولا علاقة لكراهيتى لك بجريمتك تلك . وكنت سأكرهك بنفس القدر لو لم يحدث شيء كهذا . وحتّى لو كنا قد تجمعنا هنا هادئين نتناول طعام العشاء ، حتّى لو نظرت اليك كما هي العادة وبنفس الخوف وكان يسيطر علىّ نفس الفزع الذى ينتابنى دائما . . فاننى كنت سأكرهك .

(شوهد برق ضعيف ، وعلى البعد يدوى رعد . يسود الصمت لحظة . يتحرك ايساياس ، ويبدو كما لو كان قد هرم فجأة ، وعليه مسحة من الحزن والإحساس بالضياع) .

ايساياس : إذن هل ستتركون شيخاً مسكيناً بمفرده ؟ هل ستتركوننى بمفردى ؟

(لا أحد يجيب . ينسدل الستار ببطء)

اللوحة الخامسة

نفس المنظر . احدى أمسيات الخريف . نرى من خلال النافذة بعض الأشجار العارية . خوان ينظر وحده الى الخارج . تصل لويسا ، فيلتفت اليها .

خوان : كيف حاله ؟

لويسا : كما هو . حرارته عالية .

خوان : ماذا يقول ؟

لويسا : لا شيء . يبدو أنه يريد أن ينام . يظل مغمض العينين . لكن من الواضح أنه لايستطيع . انه قلق .

خوان : هل تظنين أنه بعد هذه المدة وبسبب هذا المرض قد بدأ يراجع نفسه فيما فعل ؟ هل هذا هو الشيء الذى يقض مضجعه ؟

لويسا : لا . انها الحمى . فضلا عن أنه في حالة خطيرة ، وهو يعرف ذلك جيدا . هذا هو الشيء الذى يؤرقه .

خوان : انه يخاف كثيرا من الموت . هذا صحيح . وليلة البارحة ، عندما لاحظ أن حالته تتأخر راح يصدر عنه صراخ فظيع . لكنني ظننت أن ما أرعبه في الحقيقة هو أن يموت مدنسا بالخطيئة .

لويسا : مافعله هذا الصيف لايبدو له خطيئة ، بالاضافة الى أنه لايؤمن بأن هناك حياة أخرى بعد هذه . مايفزعه هو ببساطة أنه سيموت .

خوان : (يهـز رأسه بمرارة) لم يؤمن أبي بأى شيء .

لويسا : نعم ، لقد آمن ياخوان . آمن بالحياة . كل الحب الذى نوزعه نحن بين الحياة وبين معتقداتنا . . أو تلك الخرافات التى نؤمن بها . . قد أعطاه هو للحياة . ليس أمامه شيء آخر يعتمد عليه لكى يعيش . انه يعتمد فقط على الحياة . . .

خوان : الحياة بالنسبة لأبي كافية . . لكى يعيش . . أما نحن ففى حاجة الى أشياء أخرى توجد هناك بعيدا . . نحن في حاجة الى أسرار أصول الدين . . في حاجة الى أن نؤمن بأشياء لانراها . . لأن الحياة بدون ذلك تبدو لنا مريرة أكثر ممـا نطيق . أما أبي فقوى الى حد أنه ليس في حاجة الى شيء . . وعندما يموت فلن يكون في الدنيا كلها شيء واحد لم يفعله . ولا لذة واحدة لم يذقها ، ولا شعور واحد لم يداخله ، ولا احساس بالخزى لم يسيطر عليه . . سيكون هو قد جرب كل شيء . . سيكون قد تمتع بكل شيء وقاسى كل شيء. أين أمى ؟ هل هى معه ؟

لويسا : نعم .

خـوان : مسكينة يا أمي . . لم تترك مكانها بجواره طوال الليل .

لويسا : انها الآن تبكي بحرقة . . لأن أباك لا يريد أن يعترف بذنوبه للقس . . وقد تميز غضبا عندما قالت له أمك ذلك . . أراد حتى أن يطردها من الغرفة . . وأمك تقول أنها تبكي لأن روحه لم تخلص أبدا . . وان كان يبدو لها أن الذنب في قتل الرجل لايقع عليه وحده . . تقول أن الجو كان حارا للغاية . . وأن العاصفة كانت تقترب . . دون أن تهب بالفعل ، وأن جوا كهذا يصيب الرجال بالجنون . وقد هبت العاصفة بعـد أسبوع ، وعاد الهدوء الى الرجال . . لكن الأوان كان قد فات بالنسبة له . . كان هو قد ارتكب فعلا جريمة القتل . . هذا ماتقوله أمك .

(يصل تيو من الخارج)

تيـو : ماذا عن أبي . ؟

خـوان : كما هو .

تيـو : تسبب في أن تكون الليلة المـاضية غير محتملة بالنسبة لنا . لنرى ما اذا كان سينام الليلة ويتركنا ننـام .

(يلف سيجارة) رأيت المفتش في القرية .

خـوان : هل عاد مرة أخرى ؟

تيـو : نعم . ولن يتردد في زيارتنا كما هي عادته . ويبدو لى أننا بهذه الطريقة سنبدأ في التعود على سحنته .

خـوان : (بعصبية) ماذا يريد هذه المرة ؟

تيــو : لاشيء . كما هي العادة . سيأتي ليلقى نظرة ويتحدث معنا . ويواصل البحث عن المجرم .

خــوان : هل تظن أنه يشك فينا ؟

تيــو : لو لم يكن الأمر كذلك ، لمـــا جاء الينا .

خــوان : ألن يتخلف عن المجيء الينا أبدا ؟ هل سيكون معنا هنا دائمـــا ؟

تيــو : الى أن يكتشفوا القاتل .

خــوان : الى أن يلقوا القبض على أبينا ؟

تيــو : نعم . الى أن يلقوا القبض على أبينا ، أو على شخص بريء لديهم ضده ما يكفى من الأدلة . وعندئذ ستحفظ الشرطة ملف القضية ، ولن نرى المفتش روش بعد ذلك أبدا . والى أن يحدث ذلك فسيكون علينا أن نتحمل ابتسامته ومعاملته اللطيفة . لا تظن أنهم سيشعرون بالملل . لدى الشرطة الكثير من الصبر .

خــوان : هل تظن أن المفتش روش يشك في أبينا ؟

تيــو : انه في الوقت الحاضر يشك فينا جميعا . .

خــوان : وهو يأتي ويتظاهر بأنه صديقنا ، لكى يتصيدنا .

تيــو : هذه هى مهنته .

خــوان : وهل سيكون علينا نحن أن نلوذ بالصمت دائما ؟

تيــو : نعم ، لسبب أو لآخر سنظل جميعا صامتين دائما .

خــوان : لست أدرى ما اذا كنا ستستطيع أن نتحمل ذلك . نحن

في هذه الحالة منذ شهرين . لكن ، هل سيكون في استطاعتنا أن نتحمل هذا مدى الحياة ؟

تيــو : سيكون علينا أن نتحمل مدى الحياة اذا كان ذلك ضروريا .

خــوان : بودك أنت لو تكلمت . بودك لو أبلغت عن أبينـــا . أليس كذلك ياتيو ؟

تيــو : نعم .

خــوان : ولمــاذا لا تتكلم ؟

تيــو : بسبب الخوف . . . أشعر كما لو أن كمامة تسد فمى . . انه الخوف .

خــوان : وأنت يا لويسا ؟

لويسا : بودى أنا أيضا لو تكلمت .

خــوان : لكنك لاتفعلين من أجلى . لأنك تحبينى وتعلمين أننى سأتعذب كثيرا لو فعلت .

لويسا : لهذا السبب فقط . أنا لست خائفة .

خــوان : انها كمامة من نوع آخر . . ويستمر الصمت . . أنا لا أتكلم لأننى أشعر بالشفقة على أبينا ، لأنه يثير في احساسا بالعطف ، ولأننى لا أستطيع أن أنسى أنه أبي . كمامتى هي الشفقة . . وفي هذا البيت ليس هناك منـــذ شهرين سوى الصمت . . صمت فظيع .

لويسا : الأمر كما تقول ياخوان . . صمت فظيع .

خــوان : أما أمنا وخاندرو فهما لايجرؤان على الكلام لأنهما

يعتقدان أن أية كلمة يمكن أن يستفاد منها ليساق أبونا
الى ساحة الاعدام . . وأندريا وفية وهى تسكت . .
كلنا نسكت . . كلنا . .

لويسا : هناك صمت في البيت . يبدو وكأن شيئا لا يحدث في الداخل ، كما لو كنا جميعا هادئي البـــال ترفرف علينا السعادة . هذا بيت بلا مشاكل ، بلا أصوات تعلن عن مدى يأسها ، بلا صرخات تشى بالعذاب أو الغضب . هل معنى ذلك اذن أن شيئا لا يحدث ؟ أى شيء ؟ لكننا نشحب يوما بعد يوم . . ويزداد الحزن في قلوبنا مع كل يوم يمـــر . . نحن مجموعة من الهادئين الحزانى . . لأنه ليس في وسعنا أن نعيش .. وتلك الكمامة تخنقنا ، وبما سيكون من الضرورى أن نتكلم ، وأن نصرخ . . هذا طبعا لو كانت لدينا يومها القوة الكافية لذلك . . وسيكون هذا اليوم مليئا بالغضب وملطخا بالدم . . لكننا حتى يأتي هذا اليوم سنظل نلوذ بالصمت . أليس كذلك ياخوان . . قال لىأبوكما « سأقتلك لو تكلمت » . . هذا هو الصمت الطيب .

(يدخل ايساياس وقد بدا أن لونه قد شحب كثيرا ، وأن حالته قد ساءت ، ويتبعه كل من خاندرو وأنطونيا اللذين لم يستطيعا أن يمنعاه من أن ينهض) .

ايساياس : عما تتحدثون هنا ؟ ما هي المؤامرة التى تحيكونها فيما بينكم ؟

خـــوان : لا شيء يا أبي .

ايساياس : لاينبغى أن تتكلموا عن أى شيء حتى فيما بينكم .

خـوان : كيف نهضت يا أبي ؟

ايساياس : هل تفضلون أن أظل في الفراش ؟ أليس كذلك ؟ أن أموت ؟

خـوان : لا يا أبي . كيف يكون في استطاعتك أن تفكر في شيء كهذا ؟

ايساياس : أتركوني في هدوء . عليّ أن أخرج لأرى ما الذى يحدث في البيت . ليس في امكانكم أن تفعلوا شيئا . عليّ أن أرعى كل شيء بنفسى . . ترى ماذا سيحدث لكم عندما أموت أنا ؟ هل ستسيرون كالمجانين في البيت دون أن تعرفوا الى أين أنتم ذاهبون ولا ماذا أنتم فاعلون ؟

خـوان : عليك أن تنـام يا أبي .

ايساياس : لا أريد أن أنام ! لا أريد أن أنام بينما تحاك هنـا المؤمرات ضدى . هل تظنون أننى أبله ؟ أعرف ذلك جيدا . انكم تحاولون أن تسلمونى للشرطة . انكم تحاولون أن تسلموا أباكم ! تستغلون أننى مريض بعض الشيء لتدبروا ذلك . لكننى أصبحت على مايرام الآن . وقد انتهى كل شيء . لم أعد أشكو من الحمى ، وعليه فلا تحاولوا خداعى . لست شيخا أعياه المرض .. لا أزال قويا . . هل تريدون أن تصارعوني ؟ في استطاعتى أن أنتصر عليكم جميعا وأطرحكم أرضا اذا أردت أنا ذلك . . هل تريد أن تجرب أنت ياخوان ؟ هل تريد أن تصارعنى على سبيل المزاح ؟ هيا ، هيـا نتصارع .

(يمسك بخوان من ذراعه ويحاول أن يجعله يترنح)

خـــوان : الحمى تلهبك ياأبي . حرارتك عالية جدا . وســـتسوء حالتك .

ايساياس : سأعطيك علقة ياخوان ! ساعطيك علقة ! لقد رفعت صوتك عليّ وسأعطيك علقة . ماذا ظننت نفسك ؟

(يرفع يده فيمسك خوان بها)

خـــوان : لاتضربني يا أبي ؟ أنا لم أفعل شيئا .

ايساياس : أتركني ! أتركني ! (يتركه خوان) لقد حاولت أن تؤذيني . لقد ضغطت على يدى بقوة ، لكنك لم تحقق شيئا . ماذا كنت تنتظر ؟ أن أصرخ كما لو كنت امرأة ؟

خـــوان : أمسكت بك لكى لاتضربني ياأبي .

ايساياس : انني مريض بعض الشيء . هذا صحيح . لو لم أكن كذلك لعاملتك كما تستحق الآن . سنتحدث عندما أتحسن ياخوان . مافعلته مع أبيك المريض لايمكن اغتفاره . أشعر الآن بأنني مريض . أشعر بذلك الآن أشعر فجأة أنني عاجز عن الرؤية . وعندما أتحسن سأقتلكم جميعا ! أشعر بالبرد الشديد . وأنا متعب للغاية . يبدو لى أننى على وشك أن أسقط . ساعدوني . (لايتحرك خوان ولا لويسا ولا تيو . تتحرك أنطونيا بقلق دون أن تجرؤ على مـــد يد المساعدة له . يتجه خاندرو نحوه ويساعده على الاحتفاظ بتوازنه) هذا هو خاندرو الطيب . . الذى يؤمن بالعدل ولا يشعر بالرحمة . .

خاندرو : (يتواضع) سامحني على ذلك ياأبى .

ايساياس : « فليعلقوه في ساحة القرية . . ولا يدفنوه في الأرض المقدسة . . فليدفنوه في الطريق لكى يدوس الناس جميعا على قبره ، ولا تكون لديه لحظة واحدة يستريح فيها » . أهذا ماكنت تقوله عنيّ يابنيّ ؟ (يحرك خاندرو رأسه بالنفى وهو يبكى) رافقنى يا ولدى . خذني الى فراشي . أنا متعب بعض الشيء اليوم . . متعب بعض الشيء . . (يبدأ في الانصراف يقوده خاندرو . وعندما يصل الى الباب يلتفت ويقول للجميع) . انني لا أخافكم . أرى أنكم جميعا قد أصبحتم ضدى . لكن هذا لايهمني . أنا أتحداكم . لن تقولوا شيئا للشرطة لأنكم لاتجرؤون على ذلك .سيكون هذا بالنسبة لكم أفظع ممـا تتحملونه . ها أناذا أرى أنه ليس . . في وسعى أن أعتمد على حبكم لى . انكم لاتحبوننى . سأعتمد فقط على خوفكم . لايهمنى . الأولاد سيلتزمون الصمت . أليس كذلك (يضحك بسخرية) اذا تجرأ أحدكم على الكلام فسوف يندم . أقسم لكم على ذلك . ولن يغفر له الآخرون هذا أبدا . لن يكون في استطاعة أى منكم أن يكون سعيدا بعد ذلك . أقسم لكم على ذلك أيضا (الى خاندرو وهما يخرجان) هيا بنا يابنيّ . هيا بنا .

(يخرج مع خاندرو . فترة صمت)

خوان : هل سنظل هكذا دائما ؟

تيو : نعم ، دائما .

خـــوان : وماذا فعلنا نحن حتى نستحق هذا العقاب ؟

تيـــو : لاشيء . لم نفعل شيئا .

(تسمع طرقات على باب البيت . سكتة . يصل المفتش روش مبتسما)

المفتش : مساء الخير (لا يجيبه أحد . يتقدم المفتش) جئت لأتمشى قليلا في القرية ، وكما هي العادة فانني قـــد مررتُ لأزوركم . هل أنتم على مايرام ؟

أنطونيا : نعم ياسيادة المفتش .

المفتش : والسيد كرابو كيف حاله الآن ؟

أنطونيا : لايزال مريضا . انه يقضي أياما غاية في السوء .

المفتش : (يشعل سيجارة) هل من جديد هنا ؟ هل هناك أخبار ؟ أليس لديكم ماتقولونه لى ؟ (يتململ خوان) أنت ياخوان ؟ هل اكتشفت شيئا يمكن أن يقودنا الى دليل ؟ لاتتردد في أن تقول لى أى شيء وان بدا لك غير ذى بال . لا شيء في مثل هذه الحالات غير ذى بال (لايرد خوان) أم أنه ليس لديك ماتقوله لى ؟

خـــوان : الأمر أن . . (ينتاب الجميع صمت مشبع بالتوقع المرير . يتردد خوان) لا ياسيادة المفتش . (يهـــز رأسه بالنفى) لا . ليس لدى شيء أقوله لك .

(ظـــــلام)

اللوحـــة السادسة

نفس المنظر . لويسا بمفردها تنظر من خلال النافـــذة العريضة . ويبدو عليها القلق . يخيل لها أنها ســـمعت صوتا فتنتفض . ومن خلال النافذة تشير الى شخص ما بأن يسرع . تتجه ناحية باب الغرفة وتفتحـــــه . يدخل المفتش . روش .

المفتش : قالوا لى أنك تريدين أن تتحدثي معى .

لويسا : نعـــم .

المفتش : هل حدث شيء بعد أن كنت هنا آخر مرة منذ خمسة عشر يوما ؟

لويسا : لا . لم يحدث شيء جديد .

المفتش : واذن ؟

لويسا : علىّ أن أتحدث معك .

المفتش : أين بقية الأسرة ؟

لويسا : انهم يعملون خارج البيت . لهذا تجرأت واستدعيتك .

المفتش : كنت أفكر في أن أجيء لأزوركم كما هى العادة .

لويسا : كان لابد أن تأتي في هذه اللحظة بالذات ، فأنا هنـــا وحدى وفي وسعنا أن نتحدث .

المفتش : قولى ماتريدين .

لويسا : لا أعرف ما اذا كنت أتصرف بطريقة صائبة . لكننى قررت أن أتكلم . لا أستطيع أن أتحمـــل بعد الآن

ما يجرى في هـــذا البيت . ليس بيننا من يستطيع من يتحمله . لكن أحدا لا يتكلم لسبب أو لآخر . سأكون أنا من يفعل .

المفتش : حسن ، تكلمى . ما الذى يجرى في هذا البيت ؟

لويسا : (بعصبية) هل تريد أن ترى ما اذا كان هناك قادم ؟ من فضلك .

(ينهض المفتش ويتجه ناحية النافذة العريضة . ينظـــر الى الخارج . ثم يتجه ناحية الباب ويعود)

المفتش : (مبتسما بطريقة مطمئنة) ليس هناك أحد . تستطيعين أن تتكلمى بدون خوف .

لويسا : اننا جميعا في هـــذا البيت نعرف من الذى قتل ذلك الرجـــل .

المفتش : هل تعرفون . . . ؟

لويسا : نعم ، اننا نعرفه ، ولم نقل لأنه واحد منا .

المفتش : (يشعل سيجارة) انه ايسايياس كرابو العجوز . أليس كذلك ؟

لويسا : (بدهشة) كيف عرفت ؟

المفتش : كنت أشك في ذلك . لكن لم تكن لدينا أدلة ضده . هل لديك أنت دليل على أنه هو القاتل ؟

لويسا : لقد رأيته .

المفتش : كنت مستيقظة . . . في تلك الليلة .

لويسا : نعـــم .

المفتش : ومن أين رأيته ؟

لويسا : من هذه النافذة .

المفتش : ولماذا لم تقولى ذلك في اليوم التالى ؟

لويسا : لأنه هددني .

المفتش : ثم ؟

لويسا : ثم بدأوا يعرفون الحقيقة واحد اثر آخر . وقد كونا فيما بيننا طبقة غريبة ومرهقة من الصمت . . .

المفتش : أشكرك على أنك قد تكلمت . كنت أنتظر هذه اللحظة . كنت أعرف أنها آتية لا محالة . لم يكن في استطاعتكم أن تصمتوا مدى الحياة . كان هذا أكثر مما يحتمل .

لويسا : كنت تنتظر اذن . . . ؟

المفتش : نعم .

لويسا : كنت واثقا اذن من أن العجوز هو القاتل ؟

المفتش : كنت واثقا تقريبا .

لويسا : لماذا ؟

المفتش : (مبتسما) أنا رجل شرطة . وقد تعودت الى حد ما على تشمم المجرمين . الشيء الصعب هو العثور على الأدلة .

لويسا : كنت تتجسس علينا كل تلك الفترة ؟

المفتش : لا ، كنت ببساطة أجيء لأزوركم .

لويسا : كنت تأتي مبتسما ، وتعاملنا بلطف وبدون كلفة أيضا . لكنك كنت في الواقع تتجسس علينا .

المفتش : كان لابد أن تشعروا بالهدوء والثقة في وجـــودى . هذا مايقتضيه أسلوب العمل .

لويسا : هل هناك أساليب أخرى ؟

المفتش : أوه ! هناك أساليب كثيرة . لكن في هذه الحالة كان الانتظار كافيا . وبمجيئى ، عجلت بعـــض الشىء بالأمر . لكنكم كنتم ستبحثون عنى في مركز ادارة الشرطة عاجلا أو آجلا . ولو لم أكن أنا موجودا في هذه اللحظة فانكم كنتم ستسألون عن أى شرطى آخر . أو أنكم كنتم ستأتون يوما بعد آخر حتى تجـــدوني . لكن كان من الضرورى أن نعجل قليـــلا بعمليات التحـــرى .

لويسا : هل كنت تأتي اذن لكى تعطينا فرصة الكلام ؟

المفتش : بالضبط .

(سكتة . تنظر لويسا الى المفتش باحتقار)

لويسا : مهنتك تبدو غير مستحبة بما فيه الكفاية . ألا يبدو لك الأمر كذلك ياسيادة المفتش ؟

المفتش : نعم ، غير مستحبة اطلاقا . . في بعض الظروف .

لويسا : لست نادمة لأننى تكلمت . كان علىّ أن أفعل . لكننى لا أشعر نحوك بأى نوع من التعاطف . لابد أن تعرف ذلك .

المفتش : يؤسفنى هذا . لكننى قمت بواجبي .

(ســـكتة)

لويسا : والآن ماذا تفكر أن تفعل بالعجوز ؟

المفتش : سأقبض عليه بمجرد أن أحصل على السيارة الخاصة بذلك .

لويسا : (بخوف) ألا تستطيع أن تقبض عليه الآن حالا ؟

المفتش : لا .

لويسا : (صارخة) لابد أن تلقى القبض عليه في الحال . كيف تتركه هنا الآن ؟ أنت لا تعرفه . قال أنه سيقتلنى لو تكلمت .

المفتش : ليس هناك ما يجعله يعرف أنك قد تكلمت حتى أجيء أنا ، ومعى التصريح بالقبض عليه .

لويسا : (بعصبية) سيلاحظ ذلك على . سيلاحظ أننى تكلمت

المفتش : هيا . اهـدئي .

لويسا : أشعر بالبرد . انى أرتجف . سيلاحظ ذلك عليّ .

المفتش : عليك أن تهدئي . عليك أن تكوني شجاعة الآن . . . شجاعة الى النهاية .

لويسا : لا أستطيع . لا أستطيع . سيلاحظ ذلك عليّ . انـه قادر على أن يكتشف كل شيء . انه للشيطان بعينه . كم من الوقت ستتأخر ؟

المفتش : ربما يكون في استطاعتي أن أجيء بعد ساعتين ، وقد لا أستطيع أن آتي قبل الغد .

لويسا : لا .

المفتش : سأحاول أن أعود في أقرب وقت ممكن .

لويسا : لا ! ليس في استطاعتك أن تذهب . أنا متأكدة من أن كارثة ستقع لو ذهبت ! صدقني ! لاتذهب ياسيادة المفتش ! لاتذهب ! تستطيع أن ترسل شخصا آخر غيرك .

المفتش : لابد أن أذهب بنفسي . آسف .

لويسا : ستتركني وحدي اذن ؟

المفتش : ابق مع زوجك . وإذا حدث شيء ، فلن يكون هناك مايدفعك الى الخوف . هناك أكثر من رجل في البيت .

لويسا : انك لاتعرف هؤلاء الرجال ياسيادة المفتش . لن يجرؤوا على الدفاع عني . انهم يشعرون بالرعب من العجوز . يشعرون بالرعب منه .

(يدخل ايساياس كرابو . يظل عند الباب . ينظر مرة الى لويسا وأخرى الى المفتش . تبكي لويسا بعصبية . ينظر اليها ايساياس بثبات ويقترب منها . يمسح بيده على رأسها ، بينما يراقب رجل الشرطة . يداعب رأس لويسا التي يزداد بكاؤها حرقة . يرفع ايساياس وجهه ناحية المفتش) .

ايساياس : لقد قالت لك كل شيء . أليس كذلك ؟

(يتردد صوته عذبا هادئا)

المفتش : نعم .

ايساياس : لم تستطع المسكينة أن تسكت أكثر من ذلك . كان الأمر أكبر من أن تتحمله . ألا تعتقد ذلك ياسيادة المفتش ؟

المفتش : نعم . كان الأمر أكبر ممـــا تتحمل .

ايساياس : كان ينبغى أن ينتهى الأمر على هذا النحو . أدركت ذلك منذ البداية . وفي اليوم التالى كنت قد فهمت أننى أخطأت عندما قتلت ذلك الرجل . لم يكن قتله ضروريا زوجتى تقول أن الليالى الحارة تصيب الرجال بالجنون . انها على حق . لقد ارتكبت كل حماقاتي الصغيرة في أيام حارة . لست أدرى لمـــاذا . انه لأمر غريب . هـــه ؟

المفتش : وما دمت قد اكتشفت منذ البداية أنك خسرت المعركة ، فلماذا لم تسلم نفسك ؟

ايساياس : (ضاحكا) لا . كيف كنت سأفعل أنا شيئا كهذا ؟ كنت دائما أستمتع بالكفاح . ولم أستسلم للهزيمة أبدا . وكانت هذه بالنسبة لى مباراة مسلية لأنها صعبة . فضلا عن أننى في فترة الصراع تلك استمتعت بالحياة على نحو رائع . عشت يوما بيوم . كما لو كانت كل لحظة هى الأخيرة في حياتي . كان الأمر رائعا .

المفتش : هل تريد أن تصطحبنى الى المدينة ؟

ايساياس : أتريد أن تقبض علىّ ؟

المفتش : ليس بعد . ليس في استطاعتى الآن الا أن أرجوك أن تصطحبنى .

ايساياس : (يضحك) لا ياصديقى العزيز . المعركة لاتزال مستمرة في الوقت الحاضر . عليك أن تحضر تصريحا بالقبض علىّ . ماذا كنت تظن ؟ أن الأمر سيكون سهلا بالنسبة لك الى هذا الحد ؟

المفتش : أستطيع أن أعود بعد ساعتين ومعى التصريح بالقبض عليك .

ايسايياس : افعل . من الذى يمنعك من أن تفعل ؟ سيكون لدى متسع من الوقت حتى أودع أسرتي .

لويسا : لا . لاتذهب . لاتذهب .

ايسايياس : هيا ، يالويسا . لمـــاذا تقولين ذلك ؟ سيفكر السيد المفتش في أنني أنوى الحاق الأذى بكم . وماذا في استطاعتى أن أفعل أنا لكم . . ؟ (ينتفض ويهمس) في هذا الجو البـــارد . .

(فترة انتقالية . يرفع بصره ويظل ينظر الى المفتش بثبات وفضول) انه لأمر غريب هذا الذى حدث لنا . أليس كذلك أيها المفتش ؟ أكتشف الآن أن الأمـــر غريب جدا .

المفتش : ماذا تقصد ؟

ايسايياس : أقصد أننا كنا رفيقين ، وأننا قد حاربنا من أجل نفس القضية . والآن يبدو كما لو أن كل ذلك ليس أكثر من حلم . أليس كذلك أيها الرفيق ؟ كما لو لم نكن رفيقين أبدا . هل تسمح لى بأن أدعوك ولو للحظة باسم الرفيق ؟

المفتش : نعم . كنا كذلك بالفعل .

(سكتة)

ايسايياس : (يضحك) يضحكني التفكير في الأمر .

المفتش : التفكير في ماذا ؟

ايساياس : أنى لو كنت قد قتلت هذا الرجل منذ أربع سنوات فقط ، لغمرتك السعادة . وبنفس الطريقة التى أصبحت بها الآن مجرما ، كنت سأصبح حينئذ بطلا . (يضحك) ألا يضحكك الأمر ؟ الانسان اما بطل واما مجرم ، حسب الظروف . مع أن القتيل هو نفس الشخص في كلتا الحالتين . (يضحك من جديد) .

المفتش : دعك من التفكير في هذه الأشياء . (سكتة يقول بعدها ببطء) لماذا لم تقتله في الوقت المناسب ؟ كانت تلك هى غلطتك ، وعليك الآن أن تدفع الثمن .

ايساياس : لم أقتله في الوقت المناسب ! هل سمعت يالويسا ؟ لم أقتله في الوقت المناسب .

المفتش : لم تقتله عندما كان هو مجرما .

ايساياس : طبعا . لم يعد مجرما . أهذا ماتريد أن تقوله ؟

المفتش : كان قد مر بالسجن . كان قد عذب . وكان من حقه أن يعيش من جديد مع الناس الشرفاء .

ايساياس : حسن ، هذه حكاية انتهت . انتهى كل شيء .يسعدني أن أرى أننا على الأقل قد تعاملنا كرفيقين ، وأننا رفعنا الكلفة فيما بيننا . كان سيعذبنى كثيرا أن تسىء معاملتى في هذه اللحظات . . أعنى باستبداد ، كما هى عادتكم . . كلا . لقد استطعت بالفعل أن تتعرف على رفيق قديم .

المفتش : لم أرك أبدا . لكننى تذكرت من خلالك العديد من رفاق تلك الأيام . لديك نفس النظرة الحزينة ، نفس الايماءة المعوجة .

ايساياس : كنت أنت في تلك الأيام رجلا عصبيا وسريعا . أليس كذلك ؟ عرفت كثيرين مثلك . كان يبدو أنك غير قادر على التحكم في أعصابك ، وكانت حتى سيقانك ترتجف لكنك في اللحظة التي كان ينبغي عليك فيها أن تعمل ، في اللحظة التي كان عليك فيها أن تضع القنبلة أو تغرس الديناميت على شريط القطار ، كنت تحتفظ بهدوئك الى حد يثير الاعجاب ، كما لو كنت رجلا بدون أعصاب . . لكنك في تلك الليلة لم تكن تقدر على النوم.

المفتش : (بصوت حاد) هذا حق .

ايساياس : كان النظر اليك في هذه اللحظات يبعث على الخوف . وعندما لم يكن هناك ماتفعله ، كنت تشرب لكي تنسى مافعلت آخر مرة . كنت تشعر بالندم على آخر قطار تسببت في تدميره ، على آخر ميت بلا جدوى . كنت تسكر .

المفتش : نعم ، هذا حق . كيف عرفت ؟

ايساياس : لقد قاتلت جنبا الى جنب مع رجال مثلك . وقد شعرت بهم يرتجفون الى جوارى .

المفتش : ألم تكن أنت ترتجف ؟

ايساياس : لا . أنا لا . (سكتة) والآن ماذا سيحدث لى ؟ ماذا ستفعلون الآن ؟ (بوجوم وقد اكتسب صوته مسحة من عدم الثقة) لقد قتلته دفاعا عن النفس . جاء ليقتلني

المفتش : هل يمكن اعتبار رصاصة من الخلف دفاعا عن النفس ؟

ايساياس : هددني بالقتل .

المفتش : كان لديه من الأسباب مادفعه الى ذلك (ينظر اليه بثبات) هل تذكر ؟ (سكتة) والآن سيتهمونك بارتكاب ثلاث جرائم . سيكون الأمر محزنا للغاية ....

ايساياس : هل سيحكمون عليّ بالموت ؟

(يرفع المفتش كتفيه . سكتة . ويبدو أنه يستيقظ من حلم وينهض) .

المفتش : لابد أن أقبض عليك ياسيد كرابو (يتجه ناحية الباب وينادى الى الخارج) أيها الشرطى ! (يدخل شرطى ويؤدى التحية العسكرية أمام المفتش) راقب السيد ايساياس كرابو حتّى أعود . واحتفظ بمسدسك على أهبة الاستعداد . كن حذرا . الى اللقاء .

(يخرج المفتش . يحشو الشرطى مسدسه ويضعه في جيبه ولا يخرج يده . سكتة . يقترب ايساياس من لويسا)

ايساياس : هل كنت تفكرين حقا يا ابنتى في أننى يمكن أن ألحق بك الأذى ؟

لويسا : قلت لى . . . أنك ستقتلنى .

ايساياس : كان لابد لى من أن أرهبك بشكل ما حتّى لاتبلغى عنى . انتهى الآن كل شىء وكل ما أريده هو . . ألا ترفضينى في آخر لحظة . . (يعانقها ويضمها الى صدره) ليكن عندك لى كلمة طيبة ، ونظرة حنون .. هل هذا بالشىء الكثير عليك ؟ هل هذا بالشىء الكثير عليك ياابنتى ؟

(تحاول لويسا أن تفلت من بين ذراعيه . لكن ايساياس يستبقيها . يتشابكان بعنف)

لويسا : دعنى ! دعنى !

(يتدخل الشرطى ويبعد ايساياس . ثم يلقيه بوحشية على أحد المقاعد . يحاول ايساياس أن يتململ لكن الشرطى يصوب المسدس نحوه)

الشرطى : لاتتحرك ، أو عليك أن تكون مسئولا عما يحدث .

(يظل ايساياس بلا حراك . تضحك لويسا عندئذ بعصبية . تضحك من ايساياس . تنظر اليه وتضحك).

ايساياس : لاتضحكى يالويسا . لاتضحكى ! . ماالذى يضحكك هكذا (يسد أذنيه) لاتضحكى هكذا .

(ظـــــلام)

خـــاتـــمة

نفس المنظر . الوقت ليل وقد أشعلت المدفأة . يجلس حول المائدة كل من أنطونيا ولويسا وتيو وخاندرو . انهم يتناولون عشاءهم في صمت .

خاندرو : لست جائعا . ليس في استطاعتى أن آكل (يــترك الملعقة ويمسح باحدى يديه على عينيه)

أنطونيا : ولا أنا .

(سكتة)

تيـــو : بدأ خوان يتأخر .

لويسا : (وقد أخفضت عينيها) نعم ، كان لابد أن يكـــون هنا الآن .

خاندرو : لماذا استدعوه ياترى ؟هل يكون أبي فيحاجةالى شيء ؟

تيـــو : اذا كان يريد أن يذهب أحدنا لرؤيته فانى لنأذهب.

خاندرو : أنا أريد أن أذهب .

أنطونيا : انك لن تذهب يا خاندرو . سيظل كل شيء اذا ذهبت حيا في ذاكرتك . ولن تستطيع أن تنساه أبدا . كيف يمكنك أن تراه الآن ؟ عليكم أن تتذكروا أباكم في لحظات أخرى من الحياة (تقول ذلك وهى تبكى) .

تيـــو : لاينبغى عليك يا أمى أن تبكى من أجله . انه لايستحق أن تبكى من أجله . لقد أساء دائما معاملتك . وأنـــت يالويسا ليس عليك أن تحزني ، فقد تصرفت كمـــا

ينبغي . كان يجب علينا أن نفعل هذا من قبل . لم يكن في استطاعتنا أن نتحمل أكثر من ذلك .

لويسا : لم يكن ينبغي عليّ أن أفعل . انني نادمة . وخوان لايريد أن يكلمني . سيكون عليّ أن أغادر البيت .

تيو : لماذا تغادرينه ؟ سترين كيف أن كل شيء سيتحسن عندما يدرك خوان من كان أبونا في الواقع ، والى أى حد كان يحتقرنا جميعا . فهو طيب الى درجة أنه لا يعرف ذلك حتى الآن . لكنه سيعرف يوما .

(سكتة)

أنطونيا : هل تعرفون بماذا أشعر منذ أن أخذوا أباكم . أشعر أنني انسانة شريرة .

تيو : لماذا ؟

أنطونيا : لأنني على الرغم من الألم الشديد الذى كان ينبغي أن أشعر به لأنه فعل كل تلك الأشياء الرهيبة ، ولأنه يعيش الآن هذه المحنة ، على الرغم من هذا الألم الذى كان ينبغي أن أشعر به ، فانني أحس اليوم وفي النهاية بهدوء كبير ، وسكينة عظيمة . انني أشعر بالهدوء اليوم بينكم . ولا ينتابني الخوف . اليوم أعرف أنه لن يحدث شيء سيء في البيت .

تيو : أنا لا أشعر بأى نوع من الألم . أنا على مايرام هكذا . أذهب الى حيث أريد ، وأعرف أن أحدا لن يبحث عني لكي يعذبني . وبالتالى فانني سعيد بأنهم قد أخذوا أبي .

خاندرو : لا ينبعى عليك أن تقول هذا ياتيو ، ولا حتى على سبيل المزاح . لا ينبغى عليك أن تقول شيئا كهذا .

تيـــو : هذا هو رأيي .

خاندرو : أنا أعرف أقل منكم عن كل شيء . أنا أصغر منكم ، ومع ذلك فانني أرى أن أبي كان يستحق بالرغم من كل تلك الأشياء الفظيعة التي ارتكبها أن نحترمه كأبناء . هذا هو رأيي . ليس في استطاعتنا الآن أن نقف جميعا ضده . . الآن وقد انهزم . وأنت يالويسا ، انـــنى لا أسامحك . . لا أسامحك . . لن أستطيع أن اغفر لك أنك قد . . .

(سكتة)

لويسا : أنا آسفة ياخاندرو .

خاندرو : لن أغفر لك هذا أبدا .

لويسا : سيكون عليّ أن أحكى لك مزيدا من الأشياء عن أبيك ، وقد تستطيع عندئذ أن تفهم ، وأن تدرك أى نوع من الرجال كان أبوكم .

خاندرو : ماالذى يمكنك أن تقولى عنه ؟

لويسا : لا . انه لأمر قـــذر للغاية ، وإذا عرف خوان فسوف يتألم كثيرا . أفضل ألا يسامحنى هو أيضا على أن أحكى له ذلك .

خاندرو : ما هو ؟

لويسا : لاشيء .

خاندرو : هيا ، تكلمى . عليك الآن أن تتكلمى .

لويسا : هل تريد حقيقة أن تعرف ؟

خاندرو : نعم .

لويسا : هذا أمر مضحك . انه لأمر مضحك .

خاندرو : تكلمى .

لويسا : كان أبوكِ ياخاندرو يغازلنى . ألا تتسلى بالتفكير في هذا ؟

خاندرو : كذب . كل شيء يقع الآن على رأسه . الآن لأنه لايستطيع أن يدافع عن نفسه .

لويسا : ماقلته حقيقى . أقول لك أنه حقيقى ياخاندرو ! (تسمع جلبة عند الباب . وصل خوان . يتوقف عند البــاب كما لو كان لايجرؤ على الدخول (خوان !) لايجيبها خوان (خوان ! ماذا حدث ؟

خــوان : انتهى انتهى كل شيء . هل تسمعون ؟ انتهى كل شيء الى الأبد . لم يعد هناك شيء يمكن أن يحدث بعد الآن . نستطيع أن نعيش في هدوء . مــرَّ كل شيء .

لويسا : ماذا تريد أن تقول ؟

خــوان : بودى لو لم أخبركم بشيء اليوم . بودى لو لم آت الى هنا . ليتنى مت في الطريق . وددتُ أن يحدث أى شيء الا أن آت اليوم الى هنا .

تيــو : هيا تكلم ياخوان . هذا يكفى . هل حدث شيء ؟

خــوان : لمــاذا تريدون أن تعرفوا ؟ كان يجب عليكم أنترفضوا الاستماع الىّ . كان ينبغى عليكم أن تسدوا آذانكم .

هاأنتم مجتمعون هنا تصغون الىّ ، وليس في استطاعتكم اليوم أن تستمعوا الا الى مصيبة هائلة .

لويسا : لكن ، ماذا جرى لك ياخوان ؟ ما الذى جرى لك ؟

خـوان : قتلوا أبى . لقد قتلوه . أما أنا فلم يحدث لى شيء . قتلوا أبى .

(سـكتة)

تيـو : هل قتلوه ؟

خـوان : نعم .

تيـو : كيف حدث ذلك ؟ ما الذى حدث حتى يقتلوه ؟

خـوان : لقد أطلقوا عليه النار في ساحة السجن ، وقد استدعوني لكى يعلموني بالنبأ . كان مجرد الاستماع الى النبـأ شيئا فظيعا .

(نهضت لويسا من مقعدها)

لويسا : هل قتلوه ؟ كيف حدث ذلك ؟

خـوان : (يمسح باحدى يديه على عينيه) حاول أن يهرب . كان يصرخ في الزنزانة أثناء الليل . لم يكن في وسعه أن يظل سجينا هناك . قالوا لى : إن سماع صراخه كان يبعث على الخوف . هرب وراح يصرخ كما لو كان مجنونا ، فأخذوا يطلقون النار عليه . وقد استمر في الجرى حتى بعد أن كانوا قد أصابوه بالفعل . أطلقوا عليه مزيدا من الرصاص فسقط على الأرض . وحتى عندئذ استطاع أن ينهض مقاوما الموت بكل قوة . لكنه سقط من جديد ، وحتى في هذه اللحظة

ظل أحدهم يطلق النار عليه . مزقوه اربا اربا . هـــذه كانت نهاية أبينا .

(لحظة صمت رهيبة . تسمر الجميع في أماكنهم . يجهش خاندرو بالبكاء)

تيـــو : (يمسكه من كتفيه ويجعله يقف) اسكت ياخاندرو . لاتبكِ ، فهذا مايريده هو .

خاندرو : (بفزع) دعني . دعني . انك تخيفني .

تيـــو : لكن . ألا تدركون ؟ ان هذه هي طريقته في الانتقام . ألا تذكرون ماذا قال : « اذا جـــرؤ أحدكم وتكلم ، فانه سيندم . ولن يغفر له الآخرون ذلك أبدا . لن يكون بينكم من يشعر بالسعادة بعد ذلك ألا تذكرون ؟ وها هو قد انتقم . لم يكن يريد أن يهرب . كان يعرف جيدا أنه لن يستطيع . كما أنه لم ينطلق جريا لأنه قـــد جن . لا . فعل كل هذا لكي ينتقم . انطلق جاريا لكي يطلقوا عليه النار ويموت في هذا المكان بالذات ، لكي يترك لنا هذه الذكرى ، لكي نشعر بالرعب ، لكي يشحب لونك ياخوان كما حدث الآن بالفعل ، لكي يجهش خاندرو بالبكاء على نحو يائس . لهـــذا تركهم يقتلونه .

خـــوان : (بصوت يشوبه الخوف) هل تؤمن بكل ذلك . . . . حقيقة ؟

تيـــو : نعم ، وعلينا أن ندافع عن أنفسنا . علينا أن ننساه ، وأن ننسى الطريقة التي مات بها . علينا أن نعيش . أن نعيش بالرغم من كل شيء . . .

خـــوان : (بصوت بطيء ، عميق تغمره الوحشة) الأمر اذن . . لو كان هكذا . . لو أن كل شيء كما تقول ، لو كان أبي قد ترك نفسه يموت لكي ينتقم ، لأصبح الأمـــر أكثر بساطة . لمـــا كان علينا أن نتعذب . لدافعنا عن أنفسنا . لكان ردنا على انتقامه هو نسيانه . وهو العمل، والبحث عن السعادة . لكن كيف يتأتى لنا أن نعرف ذلك ؟ واذا لم يكن الأمر هكذا ؟ ولذا كان ماحدث هو أنه قد مات ، وهو يقاسي من أجلنا ، وقد تملكه اليأس والحزن عندما رأى أن أبناءه لم يذرفوا عليه دمعة واحدة ، وأن الأمر قد وصل بهم الى أنهم قـــد سلموه الى الشرطة ؟ من يدري ماذا خطر على باله في آخر لحظة ؟ سيكون علينا أن نفكر مدى الحياة في ذلك. ولن نعرف أبدا شيئا ، ولن نستطيع أبدا أن نكون سعداء (ينهض ويتجه ناحية النافذة ، وهو يسحب نفسا عميقا) ومع ذلك . . وبالرغم من كل شيء . . هذه الليلة بالذات . . ياله من احساس بالطمأنينة . . ياله من احساس عميق بالطمأنينة . وعلى كل حال فاننا لانبكي وانما نشعر بالهدوء . قد يكون من الصعب علينا أن نعترف بذلك . لكننا على مايرام . الجو لطيف ، ويبدو أن العام المقبل سيكون حسنا . واذا ظل كل شيء كما هو الآن ، فستولد القرية من جديد بالرغم من كل المصائب . سيكون هناك كثير من الأعياد كما كان الأمر فيما مضى . وسيشعر الناس بالبهجة في كل المقاطعة . وسنكون نحن معهم ، وسنشعر بالبهجة معهم . أظن أن في استطاعتنا أن ننظر الى المستقبل بثقة.

كل شيء يسير بشكل مرض والحمد لله . ليس هناك ما يجعلنا نشكو . أليس صحيحا أنه ليس هناك مايجعلنا نشكو ؟ أليس صحيحا؟ (لا أحد يجيبه . ينظر حوله حزينا ، ويحدق في أمه) انني حزين جدا يا أمي . انني حزين جدا . ويبدو لى أنني أيضا سأبكي .

أنطونيا : لا . ليس علينا أن نبكي . لا بد لنا أن نشعر بالشفقة عليه . لكن ليس علينا أن نبكي . ينبغي على أحدنا أن يصلي من أجل روحه . . لكن دون بكاء . . . أتركوني أنا أفعل ذلك في البيت . . ولا تهتموا بتركي وحيدة لأصلي . فأنا لا أصلح لشيء آخر يا أبنائي . . لاتحزنوا اذا رأيتموني صامتة مكتئبة في ركن صغير من البيت . . لا يزال الأمل يراودني في انقاذ روحه ، في اخراجها من هناك . . لدى العجوز المسكينة ماتفعله حتى الآن . . أتركوها . . « العجوز تصلي » في استطاعتكم أن تقولوا ذلك لمن يسألكم عني وأنتم في طريق عودتكم من العمل يا أبنائي ! لأنكم ستعودون.. وستنتظرون من جديد الى السماء بقلق لأنها لا تمطر . . وستتحدثون عن أسعار الأشياء . . وعن صعوبة الحياة . . وستجتمعون كل ليلة من ليالى الشتاء حول المدفأة ، كما لو أن الحياة قد بدأت اليوم يا أبنائي . أما ماحدث فلن يكون سوى حلم محزن . . لابد من مواصلة الحياة . . هذا آخر شيء تطلبه منكم أمكم قبل أن يأتي اليوم الذى لن تستطيعوا فيه الاعتماد عليها . . . . قبل . . أن تبدأ الصلاة .

(يتخشب جسدها كما لو كانت تصلى . سكتة . يقترب تيـــو من خوان)

تيـــو : ها أنت تستعيد هدؤك . أليس كذلك ؟ ها أنت على مايرام الآن ؟

خـــوان : نعم .

تيـــو : وأنت ياخاندرو ؟

خاندرو : (برعشة خفيفة) الجو بارد الى حد ما . لكن حالتى ليست ســيئة للغاية .

(ســكتة)

تيـــو : لم يبدأ البرد الشديد بعد هذا الخريف .

لويسا : (بصوت ذليل وحزين) كان الجو أكثر برودة في نفس هذا الوقت من سنوات مضت . أليس كذلك ؟

خـــوان : (يهـــز رأسه بالموافقة وهو شارد الذهن ، ودون أن ينظر ناحيتها) أوه ، نعم . . كان الجو في نفس هذا الوقت تقريبا من سنوات مضت . . .

(بدأ الستار ينسدل ببطء)

النطحة

مسرحية مكونة من افتتاحية، وفصلين وخاتمة

تأليف: الفونسو ساستري
ترجمة: د احمد يونس
مراجعة: د احمد هيكل

العنوان الاصلي للمسرحية

LA CORNADA

DRAMA EN UN PROLOGO, DOS ACTOS Y UN EPILOGO, ORIGINAL DE

ALFONSO SASTRE

ESCELICER

وفيما عدا ذلك لم يكن هناك سوى الموت ،
ولا شيء إلا الموت ، وكانت الساعة عندئذٍ
هي الخامسة مساء » فيديريكو جارسيا لوركا

تقـديم بقـلم المؤلف

لدى الانطباع بأن الدراما التى كتبتها تعالج علاقة ، الصفة السائدة فيهـا الى حد بعيد هى ظاهرة أكل لحوم البشر : شيء يشبه معالجة معينة لاسـطورة اله الزمان (١) وهى الاسطورة التى أجدها لسوء الحظ حية فى هذا المجتمع . وبطبيعة الحال فان فظاعة الموقف لم تكن نتيجة لحكاية مبنية فعلا على ظـاهرة أكل لحوم البشر ، كما هو الحال فى لوحة جويا (٢) التى تمثل اله الزمان وهو يلتهم أحد ابنائه (اذا أردنا أن نتحدث عن لوحة أشير اليها فى النص) ولا عـن تيستيس (٣) لسينيكا (اذا كنا نريد أن نتحدث عن المسرح) . كما أنهـا لم تكن نتيجة لتلك الاساليب المختلفة التى عولجت بها أخبار الرواة عن سعلاة البحر اذا كنا نريد أن نتحدث عن الأدب بصفة عامة) وانما كانت نتيجة ــ حســب ما اعتقد ــ لحادثة من هذا القبيل . الأمر اذن متعلق بشخص ما يلتهم أطفاله ، شخص ما ، أو ربما شيء ما ، يعتمد فى حياته على خنق مخلوقاته .

---

(١) أحد آلهة الاغريق ، واسمه باليونانية القديمة خرونوس ، وهو ابن اورانوس اله السماء وجى الهة الأرض ، وزوج كيبيليس الهة الزراعة ، أنجب منها جوبيتر ونبتون وبلوتو وخونوس . وكان قد نذر لتيتان الذى يرمز الى الجبروت بأن يلتهم أبناءه فى المهد . لكن كيبيليس وضعت له حجرا بدلا من جبيتر الذى استطاع عندما كبر أن يطرده من الاوليمب ، فعاش فى ليسيوم ، وهى ايطـاليا الحالية ، وعلم الناس الزراعة . ويصف الرواة هذا العهد بأنه العصر الذهبى .
المترجم

(٢) اسمه بالكامل فرانسيسكو خوسيه جويا ايي لوسينتس وهو رسـام اسبانى شهير ولد فى قرية فويندیتودوس بمقاطعة ثاراجوثا المعروفة فى العـربية بسرقسطة ٣٠ مارس ١٧٤٦ . ومات فى بوردو بفرنسا فى ١٦ ابريل ١٨٢٨ . وأغلب لوحاته موجودة فى متحف البرادو بمدريد .
المترجم

(٣) شخصية يونانية استلهمها الكاتب الرومانى سينيكا فى احدى مآسيه ، وهو ابن بينيلوبى وابيداميا . وقد اشترك مع أخيه أتريو فى قتل شقيقهما الاصغر كريسيفوس بسبب ايثار أبيهما له . وبعد خلاف نشب بين الشقيقين يتظـاهر اتريو الذى أصبح ملكا بالعفو عن تيستيس ، ويقيم له مأدبة يقدم فيهـا اليـه أشلاء ابنيه بانتالو وفليستينيس ويجعله يأكلهما .
المترجم

وفى هذا الصدد أذكر الحقيقة . لكننى أذكرها بنفس المحاذرة التى يذكر بها الانسان شيئا مبالغا فيه . والحقيقة التى أريد أن أذكرها هى ان الشخصية ليست صورة لأى انسان يعيش فى عالم الواقع ولا لأى مهنة بعينها . وفيما عدا ذلك فان هناك ما يجمع هذه الدراما بالاحتفال الوطنى (٤) ، وهى التى ترتكز بشكل ما على هذا الاحتفال . لكنها ليست وثيقة عنه ، ولا يقصد بها أن تكون احتجاجا على تقاليده السيئة ، على نمط ما تحقق بواسطة السينما من تنقية للتقاليد المهنية فى الملاكمة أو فى رياضات أخرى . ولنقل أن هدف هذه المسرحية أكثر شمولا .

المؤثرات الصوتية

تلفت الانتباه الى أهمية التسجيل الصوتى الذى لا بد أن يكون الشخصية الرئيسية فى المسرحية تقريبا : (الجو السائد . الرياح . المطر . دوى الرعد . النفخ فى النفير والقرع على الطبول . التصفيق . صرخات الرعب الجماعى ... الخ) . ويجب أن تكون لهذه المؤثرات الصوتية نوع من التكوين الموسيقى ، ومن الممكن الاستفادة من التجارب التى أجريت فى حقل الموسيقى البحتة وتطبيقاتها الدرامية .

عبارات

يرمز الى صيحات الناس الذين يريدون أن يطمئنوا من الممرات على حالة المصارع أثناء العرض بكلمة « همهمات » .

١ – اتركنى ادخل . سأستعلم عن الأمر .

٢ – على أن أرى الدكتور سانشيس . انه يعرفنى .

٣ – ماذا حدث) هل الأمر خطير ؟

٤ – المسألة مهمة من فضلك . قل لى ...

١ – أنظر الى اذن المرور . سأقدم شكوى الى المؤسسة .

٢ – على أن أرى الدكتور . أنه امر عاجل .

---

(٤) كثيرا ما يطلق الشعب الاسبانى صفة الاحتفال الوطنى على مصارعة الثيران .

المترجم

٣ ــ سل انت واخبرنا عما حدث .

٤ ــ لدى رسالة الى الدكتور سانشيس . سأنتظره هناك فى الداخل ■

١ ــ اننى فى حاجة الى التقرير الطبى . على أن أتصل تلفونيا .

٢ ــ اتركنى ادخل .

٣ ــ اننى صديق لألبا .

٤ ــ زميلك يعرفنى .



شخصيات المسرحية

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى مدريد على خشبة مسرح « لارا » يوم ١٤ يناير ١٩٦٠ ، وقد قام باخراجها أدولفو مارسيياك .

الشخصيات :

جابرييلا	زوجة خوسيه ألبا	Gabriela
أليسيا	صديقة خوسيه	Alicia
خادمة فى الفندق		
ماركوس	المتعهد	Marcos
خوسيه ألبا	مصارع الثيران	José Alba
دكتور سانشيس	طبيب الحلبة	Sànchez
رافائيل باستور	مساعد المصارع	Rafael Pastor
خيمينيس	مساعد طبيب الحلبة	Jimenez
المفتش بيلتران	ضابط بوليس	Beltran
خوان	حامل السيوف	Juan
موظف فى الحلبة		
ممرض		
شحاذ		

الاحـداث والديـكور

تدور الأحداث فى مدينة كمدريد . الافتتاحية فى غرفة ملحقة بجناح التمريض فى حلبة الثيران . فى مؤخرة المسرح باب يفضى الى الممر . وعلى اليمين مدخـل غرفة العمليات . كما أن هناك بابا آخر . اما الخاتمة فهى ليست فى حاجة الى ديكور ، الأحداث تجرى داخل حانة ، ويمكن اعطاء هذا الانطباع بواسطة خلفيـة موحية . وتستخدم المؤثرات الضوئية فى ابراز قطع الأثاث والاشياء التى لا غنى عنها ، ويرى بوضوح مصباح أحمر . أما بقية الأحداث فتقع فى جناح فنـدق حيث ينزل يوم المصارعة كل من ماركوس وخوسيه ألبا . ويفترض أن الممـر المؤدى الى الجناح يظهر فى الكادر الاول . وفى هذا الكادر من ناحية اليمين ، أى من ناحية المتفرجين يوجد باب المصعد الذى سيشار الى حركته بالضوضاء التى يحدثها ، وأيضا بالانعكاسات الضوئية التى ستظهر من خلال زجاج الباب المصنفر . فى الكادر الاول من الناحية اليسرى يوجد الباب الذى يؤدى الى الجناح . وهذا الجناح — فى الجزء المرئى بالنسبة للمتفرج — يتكون من رقعة واسعة معـدة لكى تكون غرفة جلوس حيث ستجرى غالبية الاحداث ، ومن مكان يمكن الذهاب اليه بصعود درجة سلم وله هيكل باب . وهذا المكان هو المدخل ، وفى نهايته باب يفضى الى دورة المياه التى لا نراها ، وباب آخر يؤدى الى غرفة النوم التى لا نراها أيضا . ومن الضرورى أن تكون هناك فى غرفة الجلوس مرآة بالحجم الطبيعى مركبة فوق قطعة أثاث . كما ان من الضرورى ان تكون هناك اريكة يظهر مسندها الخلفى فى الكادر الاول ، وقد وضعت بحيث يكون ظهرها للجمهـور . وفى المدخل مرآة تعطى بعض الانعكاسات لالبا وهو يرتدى ملابسه . انه يوم يشوبه الغمام ، وقد بدأ الخريف يقترب .

افتتاحية

غرفة ملحقة بجناح التمريض في حلبة مصارعةالثيران . يتسرب من خلال النافذة ضوء عكر وتترامى الى الأسماع همهمات جمهور الناس وقد خفتت كثيرا . لكنها سرعان ما تتعالى ، وبعد أن يرتفع الستار بقليل، يسمع انهمار المطر . يعد الدكتور سانشيس ،وهو رجل مسن تبدو عليه مظاهر المرح ، لوحة شطرنج ويرتب القطع ثم يخفيها في أحد الأركان . يفرك يديه ولا يلبث أن يتجه ناحية اناء كهربائي صغير لصنع القهوة . يصله بالتيار ويسعل . يتحسس جبهته بيده ، كما لو كان يريد أن يتأكد من درجة حرارته ،ويفتح دولابا يبدو أنه خاص بالأدوية ، فنرى في الداخل بعض زجاجات الجين والكونياك . يخرج أنبوبة ويخرج منها قرصا . وفي هذه اللحظة تسمع دقات على الباب الآخر الذى سبقت الاشارة اليه ، فيجيب الدكتور في الحال .

الطبيب : (بحيوية) أدخل . . أدخل .

(يفتح الباب ، ويدخل منه خيمينيس ، وهو شاب تظهر عليه علامات السذاجة والانطلاق . يأتي وقد ابتلت حلته ، ورفع ياقة سترته)

خيمينيس : مساء الخير يادكتور .

الطبيب : مساء الخير . أين كنت مختفيا ؟

(يسعل)

خيمينيس : (بلهجة من يطلب المعذرة) وصلت متأخرا بعض الشيء . أليس كذلك ؟

الطبيب : (مبتسما) لا أقصد هذا . . فقد قلت ذلك بسبب الحالة التي تبدو عليها ثيابك . هل المطر غزير الى هذا الحد ؟

خيمينيس : (موافقا) ازداد المطر الآن كثيرا . ومن محطة المترو الى هنا ، فقدت هندامى .

الطبيب : هل أتيت في المترو

خيمينيس : (خالعا السترة ليستبدل بها المعطف الأبيض . أية وسيلة ؟

الطبيب : سيكون عليك أن تشترى سيارة صغيرة ، فهى شيء لاغنى عنه في هذه المهنة .

خيمينيس : لكن . . كيف ؟

(يضحك ، على حين يسمع وسط ضوضاء الجو السائل نفخ في النفير وقرع على الطبول . ومن الآن فصاعدا فسوف نشير الى هذه الضجة بعبارة « نفخ في النفير » (١) . تظهر على وجه الطبيب ايماءة معينة عندما يستمع الى النفير) .

---

(١) من تقاليد حفلات مصارعة الثيران ان يكون بها بعض الضاربين على الطبل وبعض النافخين فى النفير . ويفصل بين كل مرحلة واخرى من مراحل اللعبة بالنفخ فى النفير والدق على الطبل بطريقة خاصة . المترجم

الطبيب : صحيح اذن أنك كنت على وشك أن تصل متأخـــرا بعض الشيء . . هل تسمح لى بأن ألومك قليـــلا ؟ وبما أنك لست سوى مبتدئ فلن يكون أمامك الا ان تحتمل ذلك . . حذار مع الوقت . . وأنت تعرف أن مصارعة الثيران هى الشيء الوحيد الذى يبدأ في اسبانيا في موعــده .

خيمينيس : (يبتسم) أعرف ذلك . . مع أننى لست من الهـــواة المتحمسين . . . .

(انتهى الآن من ارتداء المعطف الأبيض) كنت أفكر وأنا في الطريق الى هنا أنهم قد يلغونها (يسعل الطبيب)

الطبيب : (معترضا) لابد أن يزداد المطر . . وعندما يبـــــدأ المصارعون في الغوص داخل الطين ، فسوف يفكرون في الأمر قليلا . . (صمت) هل فكرت في أن ترى المصارعة ؟ أنا لا أجروء على الخروج اليوم .

خيمينيس : هل تشعر بأنك لست على مايرام ؟

الطبيب : لا أهمية لذلك . انه الجو . . والشيخوخة ، وقليل من الأنفلونزا أيضا .

خيمينيس : يؤسفنى ذلك .

الطبيب : (مبتسما) كنت على وشك ألا آتي الى الحلبة .

خيمينيس : (متأثرا) انني . . أشكرك لأنك جئت ، فلا يــزال الأمر أكبر منى .

الطبيب : خذ الموضوع بهدوء . لقد أثبتت أنه ليس هنـــاك

ما يجعلك تخاف ، وكل ما ينقصك الآن هو الخبرة (صمت) اذن . . ! ستشاهد المصارعة طبعا . .

خيمينيس : (مترددا) لا أعرف . . أعني . . ماذا في وسع المرء أن يصنع في حلبة لمصارعة الثيران باستثناء ذلك ؟

الطبيب : (مبتسما) هناك بعض الأشياء . . (بابتسامة غامضة) قلت لى منذ أيام أنك تحب لعبة معينة .

خيمينيس : آه . . نعم .

الطبيب : (يكشف بحركة شبه صبيانية عن لوحة الشطرنج التى كان قد أعدها) كنت تقصد هذه اللعبة . أليس كذلك؟

خيمينيس : (ضاحكا) نعم .

الطبيب : (وهو يتحرّى رد الفعل الذى تحدثه كلماته في خيمينيس) كنت قد فكرت في أنه قد يكون في استطاعتنا أن نلعب دورا . . وذلك في حالة ما اذا بدا الجو سيئا الى هذه الدرجة . . لاتعتبر الأمر ملزما لك بأى حال من الأحوال .

خيمينيس : (ضاحكا) موافق . ليست لدى أدنى رغبة في أن أبتل هناك في الخارج .

الطبيب : مخبأنا هنا في حلبة المصارعة تحميه قطعة سميكة من الجيش .

خيمينيس : الأمر يستوى عندى .

الطبيب : (يتنفس الصعداء) كنت أثق فيك كما ترى . وقد وضعت القطع في أماكنها بالفعل .

خيمينيس : وما هذا ؟

الطبيب : قهوة . كل شيء معد .

خيمينيس : شكرا . . على كرم ضيافتك .

الطبيب : هذا بيتك بقدر ما هو بيتي ، فقد ارتكبت حماقة الحصول على هذه الوظيفة . . أنت الجاني على نفسك..

خيمينيس : (ضاحكا) أسيِّىء الى هذه الدرجة هذا المكان ؟

الطبيب : ليس تماما . . على أية حال ، سنقضى بعض الساعات من حياتنا معا ، وقد فكرت في أنه من الأفضل . . . أن تقوم بيننا صداقة .

خيمينيس : أرى أن الأمر لن يكون صعبا .

الطبيب : هذا ما أتمناه (يجلس) . تركت في نفسى يوم الأحد الماضى انطباعا حسنا .

خيمينيس : (مبتسما دائما) اكتشفت أعماقي ، هه ؟

الطبيب : فعلت كل ما استطعت . . (انتهى خيمينيس من وضع سترته المبتلة بعناية فائقة على الشماعة ، وجلس في مواجهة الدكتور) هل ترغب في كثير من القهوة ؟

خيمينيس : لا . . من فضلك .

الطبيب : أتخاف من أن تعتريك العصبية ؟

خيمينيس : لا . . لكننى . . أفضل ألا أشرب الكثير منها ، فما من أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث .

الطبيب : الطبيعى أن يسير كل شيء كما سار في المرة السابقة . . لا جديد . .

(يمـــد له فنجانا يتناوله خيمينيس) .

خيمينيس : (وهو يهز رأسه) لكن من المحتمل أيضا أن تحدث كارثة . . هذا ما يخطر على بال الانسان . . على الأقل . . على بال انسان مبتدىء مثلى .

الطبيب : صحيح أنه قد يحدث شيء . . (يشرب قهوته) في استطاعتنا أن نصفه بأنه فظيع . سأبدأ أنا اذا سمحت (يحرك احدى القطع) أنت تعرف أن الجراح التى يسببها قرن الثور تختلف كثيرا فيما بينها . . فكل مكان في جسم الانسان يمكن أن يكون هذه الفريسة . . رأيت أجساد بعض المصارعين وقد امتلأت بالنطحات . . (يبدو أنه يتحدث شاردا ، بسبب انشغاله باللعبة التى بدأ بها) ألفت انتباهك الى أننى لم أمارس هـــذه اللعبة منذ مدة طويلة . . ولكى أكون صريحا . . لم يكن هناك من ألعب معه . . . ماذا كنت أقول لك ؟ آه ، نعم . . انه لأمر مرعب حقا . . صدقنى . . اذا أخذنا نتصوره ف . .

خيمينيس : فعلا . . انه كذلك . . أريد أن أقول . . (يبدو أنه متأثر الى حد ما . يتأهب لشرب القهوة . نفخ في النفير . ينتفض قليلا فيندلق بعض القهوة) أوه . . معذرة .

الطبيب : لا أهمية لذلك . هل ترغب في كأس ؟

خيمينيس : نعم . . شكرا .

الطبيب : (وهو يريه زجاجاته) كونياك ؟ جين ؟ هذا كل ما لدى .

خيمينيس : أفضل قليلا من الكونياك .

الطبيب : وأنا أيضا (يعد كأسين ويعطى أحدهما الى خيمينيس الذى يتناوله . يشتد انهمار المطر ، ويسمع صفير الريح) ياله من جو ، هه ؟

خيمينيس : لا أعرف كيف يمكنهم أن يصارعوا الثيران في جو كهذا ! . . (يحرك إحدى القطع)

الطبيب : لا يمكنهم ذلك .

(تصيبه نوبة سعال)

خيمينيس : (يشرب قليلا ثم يترك الكأس مبتسما) ماذا يفعلون اذن ؟

الطبيب : لقد خرج الثور الآن من توه الى الحلبة . . وهم ينظرون اليه ببعض القلق . . (يحرك احدى القطع) يجذه أحد الصبية من مساعدى المصارع . . مرة . . وأخرى . . حذار . . الى المخبأ . . تنهيدة ارتياح . . ها هو . .

خيمينيس : هذه ليست مصارعة !

الطبيب : بقدر الامكان . . وبصرف النظر عن ذلك ، فهم يعرفون كيف يسترون أمورهم . . وهم ينفذون بذلك عقود عملهم . . هل يبدو لك ذلك قليلا ؟

خيمينيس : بل فيه الكفاية .

الطبيب : يحاولون أن يكسبوا المال لبيوتهم بقدر الإمكان . يقتلون الثيران التى يدفعون بها اليهم . انها مهنة . . . . (يستغرق خيمينيس في التفكير ناظرا الى لوحة الشطرنج) انك تفكر في الأمر . هه ؟

خيمينيس : في اللعبة ؟ لا . . (يحرك أحدى القطع) كنت أفكر في ذلك الشاب الذى يصارع اليوم . قرأت مقالا في الصحيفة . . (نفخ في النفير) وأعتقد أن السطر الواحد قد كلفه الكثير من المـــال طبعا . . كانوا يحاولون أن يضفوا على حياته الصفة الأسطورية الى حد ما . . مات أبواه في غارة جوية أثناء الحرب . . يتيم . . وتولى شخص ما رعايته . . قريب من بعيد يعمل طيارا على قاصفة قنابل . . وكان يشعر بوخز الضمير بسبب بعض الأعمال التى ارتكبها . . أو شيء من هذا القبيل . . وبعد ذلك تأتي الدراسة . هل تعرف أنه كان طالبـــا في كلية الطب ؟

الطبيب : أحقا ؟

خيمينيس : انه يرتدى دائما حـــلة مطرزة باللونين الذهبي والأسود . . هذا مايقوله المقال . فأنا لم أره أبدا .

الطبيب : رأيته أنا .

خيمينيس : هل يصلح ؟ أقصد . . كمصارع .

الطبيب : في رأيى . نعم . لكن هناك أيضا من ينكرون عليه كل شيء .

خيمينيس : كان الناس يقولون في المترو أن من الخطأ المصارعة في أمسية كهذه .

الطبيب : (ضاحكا) مصارعة الثيران خطأ دائما .

خيمينيس : كانوا يقولون ذلك بسبب نيته في مصارعة ستة من الثيران(١) بمفرده .

الطبيب : خطأ يدعو الى الأسف .

خيمينيس : خطأ من أى زاوية ؟ من زاوية المخاطرة ؟

الطبيب : بل كاستعراض . . الناس يبحثون عن كل ما هو جديد . لا . . لاتعتقد أننى محاصَر . . كل ما هناك أننى أفضل التروى قبل اللعب . . ماذا كنت أقول لك ؟ آه . . نعم . . ستة من الثيران . كان هناك في الماضى – حسبما يقولون – مصارعون قادرون على ذلك . قادرون على مواجهة ستة ثيران ومصارعتهم بطريقة تختلف من ثور لآخر . . انه لأمر يستحق المشاهدة . . لم يعد هناك هذا النوع من المصارعين بطبيعة الحال . تنقصهم حتّى القوة البدنية . . وهم يتحملون ثقل السيف في أيديهم بالكاد . . ألم ترى أنهم قد أصبحوا يستخدمون سيفا من الخشب لكى لايتعبوا أنفسهم الى هذا الحد ؟

(يشرب قليلا من القهوة)

خيمينيس : (مبتسما) أرى أنك كنت يوما من هواة المصارعة المتحمسين .

الطبيب : كنت كذلك عندما كانت المصارعة احتفالا يوقظ الحمية . . كان ذلك في الزمن الخالى . . (يحرك احدى

(١) يشترك عادة فى كل مصارعة ثلاثة من المصارعين يقتل كل منهم ثورين وعندما يريد المصارع أن يبرز شجاعته ومهارته فانه يقتل بمفرده الثيران الستة . (المترجم)

القطع . ينهض راضيا عن لعبته الأخيرة) هل تريد سيجارة ؟

خيمينيس : (مستغرقا في التفكير أمام لوحة الشطرنج) لا . . شـــكرا .

الطبيب : لا ينبغي على أن أدخن أنا أيضا (يفتح دولاب الأدوية ويخرج علبة سجائر ويأخذ منها واحدة . يشعلها بلذة واضحة ، ويدخن) كنت تقول صفة الأسطورية . . ليست أسطورة الى هذه الدرجة . . كل ما في الأمر أن المخرج يعطيه أشكالا مختلفة ، حسبما يناسب دعايته . .

خيمينيس : (يرفع بصره عن لوحة الشطرنج) المخرج ؟ ومن يكون هذا ؟

الطبيب : انى لا أتركك تفكر في لعبتك . . هذا صحيح . . أعذرنى . . اننا لا نلعب بطريقة جدية . . الجـــدية في الشطرنج هى الصمت التام . . وأنا أصطدم دائما بهذا العيب . . يعجبنى كثيرا أن أتكلم .

خيمينيس : فلنواصل اللعب فيما بعد اذا أردت ، فما قلته الآن يهمنى . . المخرج ؟ من هو ؟

الطبيب : اسمه خوان ماركوس .. انه متعهد الشاب الذى يصارع اليوم .

خيمينيس : خوان ماركوس ؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل (يسمع من بعيد دوى الرعد . ويبدو أن العتمة قد بدأت تخيم على الغرفة ، فيرتجف خيمينيس) عليهم أن يلغوا مصارعة اليوم . انها جريمة ، في هذا الجو . . (يسمع

صفير الريح ، ويزداد انهمار المطر . صمت) خوان
ماركوس هذا . . أى طراز من الرجال هو ؟

الطبيب : انه انسان حاذق . . وأنا أعرفه منذ مدة .

خيمينيس : انه الوكيل . أليس كذلك ؟

الطبيب : فلنقل أنه متعهده . . عمله يتلخص في اخراج مصارعين جدد . . من الجوع الى الشهرة . وهي قفزة كثيرا ماتكون قاتلة . هل تذكر ريكاردو بلاتيرو ؟

خيمينيس : أعرف أنه كان . . . مصارعا شهيرا .

الطبيب : كان صنيعة ماركوس . . بعض السنوات البراقة ، ثم قضى عليه بطريقة فاضحة . . وعندئذ اكتشف هـذا الولد . . خوسيه ألبـا . . فلنر كم من الوقت سيتحمل معه . . سيقوده الى الفشل كما فعل مع غيره . . انه يطالبهم بأكثر ممـا يملكون في أعماقهم . . وهو يجعلهم يمرضون بالعصبية الشديدة . . انه يصيبهم بالجنون بوعوده . . لديه . . طموح رهيب . أحيـانا أفكر في أنه مجنون . . .

(نفخ في النفير)

خيمينيس : انه طراز غريب من الرجال اذن .

الطبيب : نعم . يمكن القول بأنه هكذا . . ألا تجد في نفسك الحماسة الكافية لكى تحرك احدى القطع ؟ (يلتفت خيمينيس الى لوحة الشطرنج . فترة صمت تسمع خلالها ضوضاء الجو السائد في الخارج ، وصفير

احتجاج على الطريقة التى توضع بها السِّهام(١) . ينهض الطبيب ويقف بجوار لوحة الشطرنج ، ويفكر قليلا وهو يدخن . . ثم يقول شاردا) : هل تعرف بمــــن أشبهه ؟

خيمينيس : ماذا ؟

الطبيب : أقصد ماركوس . . انه تشبيه بلا معنى ، وأنا أعرف ذلك . . انى أتذكر تلك اللوحة التى تمثل الــه الزمان وهو يلتهم واحدا من أبنائه (على البعد يسمع دوى الرعد من جديد ، وعندما يخفت يسمع تصفيق بغير حماس) . لعلهم ثبتوا السِّهام بطريقة حسنة ، والناس يشكرونهم على ذلك . أعتقد أن المتفرجين البـــاقين قليلون الآن . . (نفخ في النفير) حانت ســـاعة الجد . حظا سعيدا يا ولد . . .

خيمينيس : (برجفة خفيفة) أهذه . . هى أســـوأ لحظة ؟

الطبيب : (بهــــدوء) نعم .

خيمينيس : لو كنت هنا وحدى لتضايقت كثيرا .

الطبيب : هذا ماكان يحدث لى أنا أيضا أثناء النوبات الأولى التى قضيتها وحدى . . ثم يتعود الانسان . . . سترى بنفسك (يحاول خيمينيس أن يركز في لوحة الشطرنج . يبتسم الطبيب وهو يراقبه بطيبة . يحرك خيمينيس احدى القطع وقد اعتراه بعض القلق ، وعندئذ يجلس الطبيب

---

(١) جرت العادة على ان يغرس معاونو المصارع بعض السهام فى جسد الثور قبل قتله ويعلن الجمهور عن رأيه فى مدى البراعة التي وضعت بها هذه السهام بالصفير او التصفيق . (المترجم)

في مواجهته ، كأن اللعبة قد بدأت تستعيد جديتها . يسود الصمت في الخارج أيضا . يحاول خيمينيس أن يسمع شيئا ، وتبدو عليه امارات العصبية . يرفع الطبيب بصره عن لوحة الشطرنج) ماذا دهاك ؟

خيمينيس : هذا الصمت !

الطبيب : انه يحدث أحيانا .

خيمينيس : يبدو كما لو كانت الحلبة قد خلت من الناس .

الطبيب : (متسمعا) بالعكس . . عاد الناس الى المدرجات .

خيمينيس : يبدو أن المطر قد توقف .

الطبيب : نعم .

خيمينيس : سأذهب لأرى بينما تفكر أنت في اللعبة .

الطبيب : اذهب . .

خيمينيس : أليس لديك أدنى اهتمام . ؟

الطبيب : (شاردا) اهتمامى كله منصب على أن أقول لك « كش ملك » .

خيمينيس : الى اللقـــاء .

(يخرج من الباب الذى يؤدى الى الممر ، بينما يفكر الطبيب في اللعب . يسود المكان صمت مطبق . توقفت ضجة الجو السائد التى ظلت تسمع باستمرار . يبتسم الطبيب ، ويحرك احدى القطع ثم يهمهم) .

الطبيب : كش ملك . . (فجأة تدوى في الخارج صرخة ذعــر

جماعية . ينتفض الطبيب ناهضا . يتجه الى باب الممر الذى يدخل منه خيمينيس شاحبا) ماذا هناك ؟

خيمينيس : أصابه الثور .

(همسات . يظهر على باب غرفة العمليات أحد المرضين ، وقد ارتدى المعطف الأبيض)

الممرض : هل هي نطحة يادكتور ؟

الطبيب : نعم . هل كل شيء معد ؟

الممرض : نعم ياسيدى .

الطبيب : (يلتفت الى خيمينيس) كيف حدث ؟

خيمينيس : بدا لى أنه قد أصابه في أعلى فخذه . وقد كان يحاول إحدى الحركات الفنية ولكن الرياح عرته (١) و . . .

الطبيب : هذا ماستراه الآن . . اذهب الى غرفة العمليات من فضلك .

خيمينيس : نعم .

(يدخل ويتبعه الطبيب . وفي هذه اللحظة يصل رجال الاسعاف ، وقد حملوا خوسيه ألبا بمساعدة القائمين على خدمته . يظهر أنه يرتدى حلة مطرزة باللونين الذهبي والأسود ، وقد تمزقت وتلطخت بالدماءوالطين

---

(١) المقصود هنا هو حركة من تلك الحركات التي يأتى بها المصارع قبل القتل حيث يمرر الثور عدة مرات فى اتجاهات مختلفة ومع تعريض نفسه بمخاطرة لقرنى الثور وهو يمر ويكاد يمسه والعادة ان يقوم المصارع بتمرير الثور على هذا النحو بواسطة قطعة من القماش الأحمر فى حجم العلم الكبير وهو يخدع بها الثور ويتجنب بها الخطر وحين تهب الريح تطير هذه القطعة من القماش فيعرى جسد المصارع ويكون عرضة للثور . (المترجم)

يبدو أنه غائب عن الوعى ، وقد تدلت ذراعاه . يدخلونه الى غرفة العمليات بمعاونة الممرض . ينغلق الباب . يظل المسرح خاليا لحظة . تزداد ضجة الجو السائد في الخارج ، على حين يبدو أن هناك من يحاولون الدخول من الباب المؤدى الى الممر ، وأن أحد الموظفين الذين يرتدون الزى الرسمى يمنعهم من ذلك) .

الموظف : (متوجها بالحديث الى من بالخارج) الدخول ممنوع (همسات) لا ، الدخول ممنوع . انها أوامر المؤسسة.

(يسمع تصفيق في الخارج ، ويتلوه آخر أكثر عنفا . يفتح باب غرفة العمليات ، ويخرج منها هؤلاء ! الرجال الذين جاءوا بالمصارع . يدلهم الممرض على الطريق ، وهو يقف على باب الغرفة)

الممرض : اخرجوا الى الممر من فضلكم . لاتبقوا هنا .

(يبدأ الرجال الذين تبدو عليهم علامات الجد في الخروج صامتين ، بينما يغلق من جديد باب غرفة العمليات . يسمع مرة أخرى تصفيق حاد في الخارج ، ثم يسود الصمت فجأة ، وسرعان مايترامى الى الأسماع صوت الحماس المجنون من الخارج . نفخ النفير . يعود المطر في الانهمار ، كما يدوى الرعد من جديد ، وقد بدا أنه ازداد قربا هذه المرة . يفتح باب غرفة العمليات فجأة ويخرج منه خيمينيس مضطربا . يتجه نحو الباب المؤدى الى الممر وينادى الموظف الذى يرتدى الزى الرسمى) .

خيمينيس : تعالى هنا من فضلك .

(يدخل الموظف الىالغرفة الملحقة بجناح التمريض) .

الموظف : انهم يريدون أن يدخلوا .

خيمينيس : سأتولى أنا ذلك . اذهب الى مفتش البوليس «بيلتران» ، وقل له عن لسان الدكتور سانشيس أن يأتي . الأمـــر عاجل .

الموظف : لكن . . ما الذى يجرى ؟

خيمينيس : بسرعة . سأغلق أنا الباب .

الموظف : هل الأمر خطير .

خيمينيس : اذهب ، من فضلك . . . (يخرج الموظف ، ويقول خيمينيس محدثا من بالخارج) لا ، الدخول ممنـــوع . (يغلق الباب ويشعل سيجارة كما لو كان في نيته أن ينتظر مفتش البوليس هناك . يخرج الدكتور سانشيس من غرفة العمليات) أليس هناك مايفعل ؟

الطبيب : (بجدية) لاشىء . . هل ذهبوا لاستدعاء المفتش ؟

خيمينيس : نعـــم .

الطبيب : ما أغرب ذلك .

خيمينيس : انها مفاجأة . . فظيعة . هل تسمح لى بكأس ؟

الطبيب : بالطبع نعم .

خيمينيس : (يعد لنفسه كأسا) ألا تريد أنت ؟

الطبيب : لا .

خيمينيس : (يشرب) انني عصبي قليلا .

الطبيب : هل أثر فيك منظر الجرح ؟

خيمينيس : لا ، كل ما في الأمر أنني فوجئت . .

(ترتسم على وجهه علامة باهتة)

الطبيب : لقد فوجئت أنا أيضا بطبيعة الحال .

خيمينيس : ماذا تظـــن ؟

الطبيب : أظن ؟ لاتدخل في دائرة اختصاص الظن حالة كهذه . . الأمر متعلق بالمفتش (تسمع طرقات واثقة عـــلى الباب المؤدى الى الممر) هل تريد أن تفتح من فضلك؟ انه هو .

(يفتح خيمينيس الذى يقف بجوار الباب ، فيدخـــل المفتش بلتّران ويغلق الباب) .

المفتش : مساء الخير . . ماذا هناك ؟

الطبيب : (يحييه) انه . . أمر خطير ياجناب المفتش (مقدمـــا خيمينيس اليه) انه الدكتور خيمينيس ، وهذا هـــو المفتش بلتّران .

(يتبادلان التحية)

المفتش : ماذا في الأمر ؟

الطبيب : هذا الولد ألبا جاء الى غرفة العمليات ميتا .

المفتش : (محركا رأسه) خيل الىّ أن الاصابة كانت بالغـــة الخطورة .

الطبيب : لم تكن الاصابة كذلك .

المفتش : ماذا ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

الطبيب : خدش صغير في احدى ساقيه . هذا كل ما هناك .

المفتش : ثم مـــات ؟

الطبيب : نعـــم .

المفتش : وضح الأمـــر .

الطبيب : كان يصارع وهو جريح .

المفتش : جريح ؟ أى نوع من الجراح ؟

الطبيب : سلاح أبيض في البطن .

المفتش : آه . قل لى ماتعرفه عن الأمر من فضلك .

الطبيب : قام أحدهم باجراء الاسعافات الأولية له قبل أن يأتي الى الحلبة . هذا مالاشك فيه . كانت الاسعافات الأولية جيدة ، وقد أجراها له انسان متمرس لاشك في ذلك.. أحد الممرضين . . أو أحد الأطباء .

المفتش : هل خرج الى المصارعة هكذا ؟

الطبيب : (موافقا) لم يستطيع أن يحتمل . الخدش ، والسقوط ثم الضربة العنيفة . . كل ذلك أدى الى وقوع الكارثة . . نزيف حاد ، ثم توقف القلب . . ربما كان في استطاعته أن يتحمل الى النهاية لولا تلك الاصابة . . لست أدرى . كان الأمر أكثر مما يحتمل . . . ســتة من الثيران . . وفي هذه الحالة .

المفتش : متى تظن أن ذلك قد وقع ؟

الطبيب : بضع ساعات قبل المصارعة . . ربما ساعة واحـــدة . لا أعرف . انه جرح حديث بالتأكيد (يستغرق المفتش في التفكير) ماذا تفكر أن تفعل ؟

المفتش : أولا . . أن أرى الجثة .

الطبيب : حسن . . تفضل بالدخول .

(تسمع في هذه اللحظة طرقات عنيفة على الباب الذى يؤدى الى الممر . يغير المفتش الوجهة التى كان قـــد اتخذها ناحية غرفة العمليات) .

المفتش : فلنرى من ذلك الذى يطرق على الباب بكل هـــــذا الاهتمام .

(يفتح الباب . يدخل رجل له وجه مثلث ، وقـــد بدت عليه امارات الهدوء الذى شابه الانزعاج ، كأن نوعا غريبا من الحمى قد أنهكه . ينظر بعينين منطفأتين . انه عصبى ، لكنه يحاول التظاهر بالهدوء . يتجه ناحية الطبيب .)

ماركوس : ما الذى حدث ؟ (الطبيب لايجيبه. ويبدو أنه لايعرف ماذا يقول) هل الأمر خطير ؟

الطبيب : لم يكن في استطاعتنا أن نفعل شيئا يا ماركوس .

ماركوس : ماذا ؟ (يبدو أنه لم يفهم ماقيل له ، واتخذ وجهه مظهر الغباء ، بينما يراقبـــه كل من الدكتـــور خيمينيس والمفتش . يتفقد ماحوله بحذر) أنا لم أكن في الممر . . لم أر شيئا . فجأة . . سمعت الضوضاء التى أحدثهـــا الناس .

الطبيب : لأنك لم تأت ، ظننت أنك لست موجودا في الحلبة .

ماركوس : (مترددا ، كما لو كان يخاف من أن يجيب) جئت بأسرع مايمكن لأن . . . لا أعرف ما الذى جرى لى ، لكنه لم يكن في استطاعتى أن أراه هذا المساء (يتحدث دون أن ينظر الى عيون الموجودين ، كما لو كان يفر) هذه أول مرة يحدث فيها شيء كهذا لى . كنت أريد أن أذهب بعيدا وأنتظر . كان . . . الأمر يبدو كأنه نبؤة . ياللفظاعة !

(يبدو منهارا . يضع الطبيب يده على كتفه)

الطبيب : هدىء من روعك . . .

(نفخ في النفير . يبدو أن هذا هو الذى استثار ماركوس فجأة ، فراح يصرخ بلا وعى) .

ماركوس : لكن . . ماذا تفعلون ؟ ما الذى تفعلونه ؟ هل ستظلون هكذا ؟ بالطبع لا ! هل انتهى الأمر ! هذه المصارعة ملكى ! على من ستعتمدون في الاستمرار ؟ الصمت ! (يبدو أنه على وشك أن يصاب بنوبة عصبية كأنها الهذيان . يقترب المفتش منه ويضع يده على كتفه)

المفتش : استمع الىّ .

ماركوس : (يلتفت نحوه) من أنت ؟

المفتش : (يريه شارته) رجل شرطة .

ماركوس : ماذا تريد منى ؟

المفتش : هل أنت خوان ماركوس متعهد هذا الولد المسكين ؟

ماركوس : نعـــم .

المفتش : هل كنت معه خلال الساعات الأخيرة ؟

ماركوس : (يتردد في الاجابة . لكنه يجيب في النهاية بثقة)نعم .

المفتش : سيكون عليك اذن أن تجيبني على بعض الأسئلة .

(يبدو أن ماركوس يريد أن يحتج . لكنه يمنع نفسه)

ماركوس : أنا ؟ لــماذا ؟

المفتش : اجلس . من فضلك . انني أطلب منك ألا تغادر هذا المكان قبل أن تكون قد أجبت على أسئلتي بطريقـــة مرضية .

ماركوس : لا ! ما الذى تقصده بذلك ؟ تريد أن تقبض علي ؟ ليس في استطاعتك أن تفعل هذا . والآن أقل من أي وقت مضى ! علي أن أرى خوسيه . انه كل ما كان لدى في هذه الدنيا ! أتركني أدخل .

(يوعز المفتش الى الطبيب بألا يتركه)

الطبيب : (معترضا طريقه (ليس هذا ممكنا الآن . هدىء مـــن روعك .

ماركوس : يجب أن أراه . . (بلهجة لوم حزينة) ألا تتركني . . أنت ؟

الطبيب : ليس الآن يا ماركوس من فضلك .

(يجلس ماركوس منهارا . فترة سكون . ينظـــر الى هؤلاء وأولئك . وفي النهاية ، تلتقى نظراته بنظرات المفتش)

ماركوس : حسن ، سل ماشئت .

المفتش : ما أريد أن أعرفه منك . . (يسمع من الخارج تصفيق حاد . لايصغى ماركوس الى رجل الشرطة . تصفيق حاد آخر . يرتجف ماركوس كما لو كان يستمع الى ضجة جهنمية ، لكن ما الذى جرى لك ؟

(ينظر ماركوس الى رجل الشرطة باستغراب)

ماركوس : هذا . . هذا الولد . . المساعد . . .

المفتش : مـــاذا ؟

ماركوس : اسمه . . يبدو لى أنه يدعى رافائيل باستور . مـــاذا يفعل ؟ (تصفيق حاد آخر . يضع ماركوس بيديه على أذنيه بضيق) ماذا يفعل يا الهى ؟

(تبدو على المفتش علامات نفاذ الصبر)

المفتش : أفضل اذن أن تصطحبنى . هل لديك مانع ؟

ماركوس : (يبدو أنه قد بدأ يشعر بالتحسن نتيجة للصمت السائد فيهمس :) لا .

المفتش : تعالى معى . (الى الطبيب) سأعود فيما بعد . سآمر بألا يدخل أحد الى هنا . . أرجوكم أن تبقوا هنا حـــتى أعـــود .

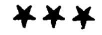
الطبيب : كما تريد ياجناب المفتش .

(يخرج المفتش من الباب الذى دخل منه خيمينيس فى البداية ، ويتبعه ماركوس منهكا . وعندما يصل الى الباب يلتفت ويسأل بحزن :)

ماركوس : هل أستطيع أن أراه فيما بعد؟.... ولا حتى فيما بعد؟

الطبيب : نعـــم.

(يخرج ماركوس. يتنفس الطبيب الصعداء. يتجـــه ناحية لوحة الشطرنج، ويبدو أنه على وشك أن يهدم القطع، لكن شيئا ما يجعله ينظر الى خيمينيس، ويشير له في اتجاه اللوحـــة. يقترب خيمينيس وينظر اليهـــا بجدية ويهز رأسه موافقا. وعندئذ يأخذ الطبيـــب في هدم القطع ببطء، بينما تسود الظلمة شيئا فشيئـــا، وتخفت الموسيقى التي تعزفها الفرقة في الخارج ببـــطء أيضا. لكنها لا تصمت نهائيا الا عندما يشعل الضوء، أو يرتفع الستار ايذانا بابتداء الفصل الأول).





الفصل الاول

الظلمة تسود الجناح . وهناك ضوء مسلط على باب المصعد الذى تسمع ضوضاؤه . تلاعب بالأضواء تتوقف بعده الضجة . يفتح باب المصعد ويخرج منه ماركوس وخوسيه ألبا . يظهر ضوء في الكادر الأول . يقود ماركوس ألبا(١)الذى يتبعه صامتا وقد تأخر عنه قليلا . يفتح ماركوس باب الجناح ويدخل ، بينما ينتظر ألبا على الباب أن يضيء ماركوس الغرفة ليدخل . وبالفعل فان ماركوس يزيح ستائر النوافذ ويغمر الضوء جميع محتويات الجناح . انه ضوء عكر يصدر عن نهار مليء بالغمام . ضوء حزين ، عندئذ يدخل ألبا الى الغرفة ، لكنه لا ينظر فيها الى أى شيء

ماركوس : هل تعجبك ؟

ألبا : نعم .

(يفتح ماركوس الباب الذى يفضى الى المدخل ، حيث يزداد الضوء توهجا . هناك على أحد المقاعد حلة مطرزة باللونين الأسود والذهبي ، كما أن هناك حاجزا يخفى جزءا من المدخل) .

---

(١) البا وخوسيه هما كنية واسم المصارع وسيحدد استعمال احدهما مدى معرفة المتكلم له فقد جرت العادة ان ينادى الاقربون الشخص باسمه وان يدعوه الاخرون بكنيته . (المترجم)

ماركوس : هذا الباب يقود الى حجرة النوم .

ألبـــا : (ينظر الى الداخل بدون حماس) حسن .

ماركوس : قلت لخوان أن يرتب الملابس داخل الدواليب ، وأن يضع كل شيء في مكانه . . اذا كنت تريد شيئا ف . .

ألبـــا : (نافيا) شكرا (يكتشف أنه على احدى الموائد توجد أيقونة أو لوحة ثلاثية دينية . وفي مواجهتها مصباح منطفىء . يبتسم باعياء) هذا مالا تنساه . . .

ماركوس : على الاطلاق .

ألبـــا : ماهو ؟ أهو تمثال صغير لمعبود أم أنه طوطم ؟ انك لاتخبرني أبدا عما يعنيه بالنسبة لك في الواقع .

ماركوس : لاتسخر من ذلك .

ألبـــا : لا ، انني لا أسخر .

(يرفع كتفيه)

ماركوس : تبدو لك خرافة . أليس كذلك ؟

ألبـــا : الآن لا .

(لحظة صمت)

ماركوس : في المرة الأخيرة رأيتك وأنت تدخل الكنيسة ، وقد سعدت بذلك كثيرا .

ألبـــا : نعم .

ماركوس : لايخسر المرء شيئا بهذا . . حتى لو لم تكن متدينا جدا ..

ألبـــا : أظن أنني قد بدأت أكون كذلك . . . هل تعرف منذ متى ؟

ماركوس : لا .

ألبـــا : منذ أن اكتشفت أننى بدأت أحصل على الكثير من المـــال .

(يضحك)

ماركوس : ما هذا الذى تقوله ؟

ألبـــا : أقول ذلك لأتكلم . . .

(يتجه ناحية النافذة ، وينظر الى الخارج بقلق)

ماركوس : (يشعل سيجارة) فكرت في أنه ربما يكون في استطاعتنا بعد المصارعة أن . . .

ألبـــا : (ملتفتا اليه) ماذا ؟

ماركوس : . . . نفعل شيئا .

ألبـــا : (يجلس متثاقلا) لا ، لاتعتمد عليّ في ذلك .

(يبدو أنه متعب) .

ماركوس : حجزت مائدة . . أظن أن عليك أن تتسلى بعض الشيء

ألبـــا : عليّ أن . . . (يتثاءب بكسل) . . أنام .

ماركوس : حسن . كما تريد (يخرج ألبـــا سيجارة ، وعندما يهم باشعالها ترتجف يده قليلا (يلاحظ ذلك ماركوس) كيف حالك ؟

ألبـــا : (يرفع كتفيه) حسن .

ماركوس : متعب ؟

(يضحك ألبـــا فجأة بخشونة)

ألبـــا : (بعدوانية) هل يدهشك أن أكون متعبا ؟

ماركوس : أنا لم أقل لك شيئا . لم أفعل سوى أنني قد سألتك .

ألبـــا : انني متعب فعلا .

ماركوس : ماذا تريد ؟ هل تلومني على شيء بذلك؟

ألبـــا : لا .

ماركوس : عندما بدأ الموسم سألتك عما اذا كنت تجد في نفسك القدرة على الاشتراك في ثمانين مصارعة . . قلت لى أنك قادر على ذلك ، وأنا وقعت بالنيابة عنك . هناك الكثيرون ممن يتمنون أن يشغلوا مكانك ، لاتنس ذلك.

ألبـــا : نعم ، أنا لا أقول لك شيئا . . هيا . . دعك من هذا . . هل ذنبي أنني متعب ؟

ماركوس : قلت لك أن تأتي بالطائرة .

ألبـــا : الا هذا . . . لدى مايكفيني مع الثيران . والقدر القليل من الشجاعة التي عندى ليس في امكاني توزيعه .

(يضحك ماركوس متكلفا)

ماركوس : أترى ؟ هذه عبارة جميلة . . أفضل أن تكون هكذا حسن المزاج .

ألبـــا : لديك فكرة غريبة جدا عن المزاج .

ماركوس : محتمل . . (لحظة صمت . يراقب ماركوس ألبـــا) كما هي العادة قلت لهم في الاستقبال ، ألا يصعد الى هنا أحد . هل أنت موافق ؟

ألبـــا : نعم .

ماركوس : يسعدنى ذلك .

ألبـــا : ماذا ظننت ؟

ماركوس : أن تكون راغبا هذه المرة في استقبال شخص ما .

ألبـــا : لا . .

(لحظة صمت . يقرر ماركوس أن يقول له) :

ماركوس : أخبرك بذلك ، لأنه من المحتمل أن تأتي .

ألبـــا : زوجتى ؟

ماركوس : نعم .

ألبـــا : كيف عرفت ؟

ماركوس : اتصلت صباح اليوم تلفونيا بالفندق فقيل لها أنك لم تكن قد وصلت بعد .

ألبـــا : هل تظن أنها ستأتي ؟

ماركوس : أظن ذلك .

ألبـــا : انها تعرف أن الأمر قد انتهى .

ماركوس : ربمـــا يكون رأيها مختلفا .

ألبـــا : (بقلق) اذا جاءت فلن أعرف ماذا أفعل . لا . لا أريد أن أراها .

ماركوس : في هذه الحالة أترك لى حق منعها من ذلك .

ألبـــا : افعل ماشئت .

ماركوس : لاتشغل نفسك أكثر من هذا .

ألبـــا : لم يكن ينبغى أن أقبل هذه المصارعة أبدا . قلت لك أن

المجيء الى هنا سيكون خطرا . كلما ابتعدنا كان أفضل .

ماركوس : انك لاتزال تحبها اذن . . الى الآن .

ألبـــا : ليس الأمر كذلك . . انه . . (يحرك رأسه) أحيـــانا أفكر أن سلوكى كان سيئا معها .

ماركوس : لاتفكر في الأشياء أكثر ممـــا تستحق .

ألبـــا : (وهو لايزال تحت تأثير نفس الفكرة) لم يكن عليك أن توقع عقد هذه المصارعة .

ماركوس : لم يكن في استطاعتى أن أرفض . ستة ثيران في الحلبة الكبرى ، انها . . فرصة عظيمة .

ألبـــا : فرصة عظيمة لأى شيء ؟

ماركوس : الحصول على أذن واحدة(1) في هذه الحلبة أمر مهم . . انها أفضل من مائة ضجة في القرى . وقد نضجت الآن بما فيه الكفاية لهذا النوع من المصارعات ، لذلك أحضرتك الى هنا . انها أمسية ضرورية بالنسبة لمستقبلك. وأنت ترى كيف أننى أقودك خطوة بخطوة حتى تشغل مكانك بين الخالدين .

ألبـــا : (يبتسم ساخرا) ان لم أكن من الخالدين ، فماذا عسانى أن أكون اذن ؟

ماركوس : (يتناول احدى يديه) ماذا تقول ؟ (بحماس) هذا

---

(1) تامر لجنة التحكيم باعطاء المصارع اذن الثور عندما يكون متوسطا لكنه عندما يثبت مهارة فائقة فانها تامر باعطائه اذنى الثور وعندما يثبت كفاءة فوق العادة فهو يحصل على الأذنين والذيل معا وهذه هي قمة النجاح . (المترجم)

الذى حققته حتى الآن ليس شيئا يذكر ياخوسيه . انني أقودك الى القمة . هل تفهم ؟ اذا خرجنا هذه الأمسية سالمين ، فستكون أمامك أمريكا (٢) ، ألا تعجبك الفكرة ؟ كاراكاس ، المكسيك ، ليما . المال الكثير ثم العودة الى اسبانيا . الحمى والجنون أمسية اثر أخرى ، والسخرية من هؤلاء الذين لم يؤمنوا بنا . كل هؤلاء الذين راحوا يقولون أننا لسنا شيئا ، وأننا مصابان بالجنون ، وأنك ستقع كما وقع غيرك ممن أردت أن أرفعهم الى أعلى ، ولم يتجاوبوا معى ، كما فعل بلاتيرو الذى جعلنى أغرق في العار ، حتى نلت في النهاية سعادة العثور عليك أنت . . . (التمعت عينـــاه من الحماس) ألا تعجبك الفكرة ؟ أمريكا . . وكل مايتبع ذلك ؟

(يوافق ألبـــا بتأثر)

ألبـــا : (وقد أغرورقت عيناه بالدموع) هل سيكون في استطاعتك أن ترفعنى الى أعلى القمم ؟

ماركوس : الأمر يتوقف عليك الى حد كبير . . يتوقف على هذا المساءبالذات (يتأمل الأثر الذى تركته كلماته في ألبا ، الذى نهض وراح ينظر في مرآه بالحجم الطبيعى ، ويتأمل نفسه على صفحتها مغتبطا ، ثم يبتسم ويلف على كعبيه ببطء) .

---

(٢) المصارعون الذين ينالون حظا كبيرا من الشهرة يجوبون انحاء امريكا اللاتينية حيث يصارعون فى حلبات العواصم المختلفة . (المترجم)

ألبــا : ماركوس .

ماركوس : ماذا ؟

ألبــا : الحقيقة أن . . .

ماركوس : ماذا ؟

ألبــا : هل في استطاعتك أن تتحدث بصدق ؟

ماركوس : بالطبع نعم . . . . لمــاذا ؟

ألبــا : بودى أن أطرح عليك سؤالا .

ماركوس : ســلنى اذن .

ألبــا : انه متعلق بى .

(يستمر في النظر الى المرآه ويدور حول نفسه ببطء ، كأنه يتمرن على المصارعة في أحد الصالونات) .

ماركوس : ما الأمـــر ؟

ألبــا : لن تكون صادقا .

ماركوس : حسن . أتركنى في سلام .

ألبــا : أتظن حقيقة أننى مصارع عظيم ؟ هل تظن ذلك حقيقة؟

ماركوس : ماذا كنت تتصور اذن ؟

ألبــا : أعظم من كل مصارعى اليوم ؟

ماركوس : بدون أدنى شك .

ألبــا : (وهو يلف حول نفسه) أعظم من بلاتيرو ؟

ماركوس : لمــاذا تقول ذلك ؟

ألبــا : لأنك تتحدث عنه كثيرا .

ماركوس : كان لدى بلاتيرو الاستعداد . فعلنا كل مانستطيعه . وهذا كل ما هناك .

ألبـــا : أهذا كل ما هناك ؟ هذا ماتقوله الآن عنه ؟ انك أحيانا تضرب به المثل لى .

ماركوس : كان . . شيئا كبيرا . . . في البداية فقط . . لكنه بدأ بعد ذلك يهبط فجأة . . وفي أحد المواسم ، رأيت كيف أنه راح يتهاوى أمام عينيّ . ولم تكن هناك وسيلة لانقاذه . . حدث ذلك بعد نطحة برشلونة الخطيرة ... نطحة في الوجه شوهت شكله . لم يكن هناك ما يفعل من أجله . . . لكنك لاينبغى أن تتصور أننى قد تخليت عنه عندما رأيته يضيع . . بالعكس . . فأمرت عليه . . دفعت المـــال الى الصحف . . ألا تعرف ذلك ؟ . . ياله من عذاب . . كانت كل واحدة من تلك الأمسيات بمثابة قبضة من التراب تغطيه . . . ويوما خرجت من الحلبة في حراسة الشرطة بسبب احتجاج الجمهور (١) . . . كان مصارعى الخاص . . ياللعار . . لكننى لم أقل له شيئا تلك الليلة عندما أجهش في البكاء . . . . « لا أستطيع يا ماركوس . . لقد انتهيت » . . كان يقول لى ذلك والنطحة في وجهه تجعل منظره حزينا . . وحتى بعد ذلك دبرت له مصارعة أخرى . . . كانت الأخيرة .

---

(١) عندما يرى الجمهور ان المصارع ليس على المستوى الذى يجب أن يكون عليه ، فانه يبدأ فى الصفير والاحتجاج وقد يتعدى الاحتجاج الى المتعهد الذى يعتبره الجمهور فى تلك الحالة مستغلا حيث لم يدبر عرضا ناجحا ... (المترجم)

ألبـــا : أين هو الآن ؟

ماركوس : لا أعرف . كان يأتيني منهارا من حين لآخر ليطلب مني بعض المـــال .

ألبـــا : وهل كنت تعطيه ما يطلبه ؟

ماركوس : (كمن يتخلص من حمل في داخله) ليس دائمـــا . . لم يكن ذنبي . . فقد جرني معه في سقطته . . جرني معه الى العار . . (لحظة صمت ، ثم بحقد) كان في وسعى أن أقتله . نعم ، كان في وسعى أن أخنقه .

ألبـــا : (بعد لحظـــة صمت) وقبل بلاتـــيرو . . ماذا عن الآخرين ؟

ماركوس : كان لدى كل منهم شيء ما . لكن أحدا منهم لم يكن كاملا مثلك .

ألبـــا : (بعد لحظة صمت) هل كانوا يتحلون بالشجاعة ؟

ماركوس : أنت أيضا شجاع .

ألبـــا : اننا نتكلم الآن بصراحة .

ماركوس : أنت شجاع . . فعلا .

ألبـــا : أنا مريض .

ماركوس : مرض بلا أهمية . . انها تخيلاتك .

(لحظة صمت)

ألبـــا : هل تعرف أن ذلك قد حدث لى مرة أخرى ؟

ماركوس : (بانزعاج) متى ؟

ألبـــا : الليلة الماضية .

ماركوس : كيف حدث ذلك ؟

ألبـــا : كنت في احدى الحانات . سقطت على ظهرى وفقدت الوعـــى .

ماركوس : هل شربت أكثر مما ينبغى ؟

ألبـــا : لا .

ماركوس : لا ينبغى أن تشرب .

ألبـــا : لم أشرب .

ماركوس : ولا حتى كأس واحدة من أى نوع ؟ هذا هو ما يضر بك فعلا .

ألبـــا : أعرف ذلك .

(لحظة صمت)

ماركوس : (بخوف) هل أخذوك الى الطبيب ؟ مع من كنت ؟

ألبـــا : كنت وحدى . . ولم يأخذني أحد الى أى مـــكان . . لعلهم ظنوا أننى مخمور .

ماركوس : هل كنت في نفس الحانة عندما عدت الى وعيك ؟

ألبـــا : نعم . . وقد ذهبت الى البيت بالسيارة .

ماركوس : هل كنت تقودها بنفسك ؟

ألبـــا : طبعـــا .

ماركوس : لايجب أن تفعل ذلك ، فهو تصرف طائش .

ألبـــا : أليس تصرفا طائشا أيضا الخروج لمواجهة الثور ؟

ماركوس : أنك تبحث في المصارعة عن شيء ما ، وما تتحدث عنه فهو تعريض نفسك للخطر بلا فائدة .

ألبـــا : عليّ أن أعود الى الطبيب .

ماركوس : لماذا ؟ انهم لا يعرفون شيئا عما بك . ؟

ألبـــا : يعرفون أنني لا ينبغي أن أصارع .

ماركوس : انهم يقولون ذلك لكي يقولوا شيئا . . . أي شيء . هل رأيت يوما شخصا مريضا بالصرع ؟ انه شيء جد مختلف عما بك . لايعدو الأمر أن يكون اغماءة عابرة من حين لآخر . . اغماءة عابرة بلا أهمية . . . انهـــا النوبات . . انني أعرفها جيدا ، وأعرف كيف تكون.

ألبـــا : ومع ذلك . . . فانني أفكر أحيانا في أنه من المناسب أن يراني الأطباء من جديد . . فحص متعمق اذا كـــان ذلك ممكنا .

ماركوس : اذا كنت ترغب في ذلك حقا ، فسنذهب طبعا . . . وسأرافقك أنا بنفسي . . ستري . . .

(لحظة صمت) . ينظر الآن ألبا الى المرآة بطريقـــة مختلفة ، كما لو كان مريضا يحاول أن يتعرف عـــلى هيأته .)

ألبـــا : أنا . . . أتجاوب . أليس كذلك ؟ داخل الحلبــــة أتجاوب .

ماركوس : بالطبع نعـــم .

ألبـــا : بالرغم من . . كل شيء .

ماركوس : انك . . . قوى بالرغم من كل شيء .

ألبـــا : بالرغم من مرضي . . ومن هذا الذى سميناه عصبيتى .

ماركوس : ماذا تريد أن تسميه ؟

ألبـــا : باســـمه .

ماركوس : (بخيبة أمل) عدنا الى ذلك مرة أخرى .

ألبـــا : (بجفاف) عدنا اليه كما هى العادة ، نعم .

ماركوس : انك تتلذذ بتعذيب نفسك .

ألبـــا : ذلك أنني خائف . ماذا تريدني أن أسميه ؟ الخوف .

ماركوس : (ثائرا) ليس الأمر كذلك .

ألبـــا : أنا لا أريد أن أنفى ذلك .

ماركوس : انك تحب أن تتحدث عن أشياء غير موجودة .

ألبـــا : أحب الحقيقة .

ماركوس : انك . . معقد . . ملتو . في استطاعتك أن تكون سعيدا بكل مالديك . لكنك تفضل أن تفكر فيما ينقصك . . واذا لم تجد شيئا ينقصك ، فانك تخلقه خلقا . . تخترع احساسا بالافتقار الى شيء ما . (يبتسم ألبا ساخرا)

ألبـــا : هذا هو علم النفس يا ماركوس . من أين أتيت به ؟

ماركوس : لم أتعلمه أبـــدا في الجامعة . هـــل تذكر أنت شـــيئا مما تعلمته ؟

ألبـــا : لا أذكر شيئا لحسن الحظ . لهذا فانى أظل على قيـــد الحياة .

ماركوس : تنقصك أشياء أخرى . لكن الشجاعة لا تنقصك .

ألبـــا : (يبتسم ويقول بعبثية ، كأنه يجلد نفسه) يشحب لون الانسان . . ويتصبب منه عرق بارد . . تصطك أسنانه . . ويرتجف كعباه . . . ويشعر بالغثيان . . . بمـــاذا تسمى كل ذلك ؟

ماركوس : لا تقل هذا ، ولا على سبيل المزاح .

ألبـــا : هل يخجلك ذلك ؟

ماركوس : انه يخجل أى انسان يمكن أن يقال له .

ألبـــا : أنا لا أشعر بالخجل ، وكان ينبغى أن أشعر به أنـــا . أليس كذلك ؟

ماركوس : لا تقل هذا لأى انسان أبدا .

ألبـــا : انه لأمر سيء بالنسبة للدعاية . أحقا ؟

ماركوس : لا تقل هذا أبدا .

ألبـــا : سيلاحظون هم ذلك بأنفسهم . ولن تكون هناك حاجة القـــول

ماركوس : لا أحد يلحظه داخل الحلبة ، فاسكت اذن .

ألبـــا : داخل الحلبة . . عندئذ يكون الخوف قد تبخـــر . . انى أتعذب هنا ، داخل حجرات الفنادق قبـــل أن أذهب الى الحلبـــة . . . عندما يكون الوقت البـــاقي للخروج قليلا . . عندما تكون الحلة هناك فوق أحد المقاعد . . . (تقرع الأجراس في كنيسة قريبة)ماهذا؟

ماركوس : (لايجيبه) ليست هناك مشكلة على الرغم من كـــل

ماتقوله . . أنا أرافقك . . وهذا يكفني ، فلدى كل انسان طبائعه الخاصة الغريبة (تظل تقرع الأجراس) وأنا أعرف ماذا ينبغى أن أقوله لك عندما تنتابك هذه الحالة ، وأعرف كيف أعاملك . وعندئذ فانك تتفوق على الموقف كما لو لم يحدث شيء . انك تخرج من الفندق مبتسما . . كان الأمر كذلك دائما .

ألبـــا : هذا ماكان يحدث من قبل .

ماركوس : قبل أن تخرج أمسك بك أنا . . أجعلك تعود الى رشدك . . فالأمر لا يعدو أن يكون مجموعة من الحماقات . . حماقات تخطر على بالك في الفنادق . . انها الأعصاب.

ألبـــا : عندئذ أشعر برغبة في أن أنأى بعيـــدا . . لكنـــنى لا أستطيع . . لقد وقعت في الفخ . . كما لو كنـــت داخل نسيج العنكبوت (يضحك) والعنكبوت هـــو أنت . . . عنكبوت عجوز مشعر .

ماركوس : (يضحك متكلفا) أهكذا أبدو ؟ (يضحك ألبا الآن) يعجبنى ذلك . أن أراك تضحك . مالا أستطيعه هو أن أراك حاد المزاج ، قلقا حزينا .

ألبـــا : حتى لو سخرت منك ؟

ماركوس : افعل ماشئت .

(لاتزال الأجراس تقرع)

ألبـــا : لكن . . ما هذا ؟

ماركوس : انها أجراس احدى الكنائس . ألم تر برجها من خلال النافذة ؟

(يتجه ألبـــا ناحية النافذة ، وينظر الى الخارج .وترتسم عليه ، كما كان في البداية ، علامات القلق التى أخذت الآن مظهر الوجوم)

ألبـــا : أرأيت ؟

ماركوس : ماذا ؟

ألبـــا : الجـــو .

ماركوس : هناك بعض الغمام . . لكنك سترى كيف تشرق الشمس .

ألبـــا : هناك رياح .

ماركوس : قليلة .

ألبـــا : هناك رياح كثيرة (ينظر الى السماء . . الى السحب، ويرتعش) لن يكون في وسعى أن أفعل شيئا اذا استمر الجـــو هكذا .

ماركوس : (بهدوء) لا يزال هناك متسع من الوقت الى أن تبـــدأ المصارعة . لاتشغل نفسك بذلك . . .

ألبـــا : (يرتعش) لم يعد هناك من الوقت ما فيه الكفاية .وهذه الرياح تنفذ الى عظامى . انى أشعر بـ . . شيء يشـــبه القشعريرة .

ماركوس : اذهب من هناك . . (يبتعد ألبـــا عن النافذة واجما) ألا تنام بعض الوقت ؟ لا أهمية للأمر . . لكن الجهد الذى ينتظرك هائل جدا . . هيّا نم . . (يكتسب صوته نبرة أبوية) تمدد قليلا . . دون أن تفكر في شيء . .

هكذا تستطيع أن تستعيد قواك . . ستشعر بالتحسن فيما بعد .

ألبــا : (وقد بدا الآن متعبا للغاية) سأستحم أولا . . سيريحنى ذلك قليلا . . أشعر كما لو كانت الحمى تجتاحنى .

ماركوس : لا أهمية للأمر . . سترى (يدخل ألبا الى غرفة النوم . يجتازها ويدلف الى المكان الذى لا نراه ، وعندما يبقى ماركوس وحده تبدو عليه امارات الاعياء والقلق ، ويترك فينا انطباعا بأنه قد أزال عن وجهه قنــاعا . وفجأة يظهر كما لو كان قد هرم . ينظر الى الخارج من خلال النافذة ، وترتسم على وجهه علامات اليــأس العميق . يعد لنفسه من قطعة أثاث على شكل بار كأسا من الكونياك يشربه بشره ، ثم يعد كأسا أخرى . نسمع ضوضاء المصعد الذى يتوقف في هذا الطابق . يفتح الباب وترى جابربيلا ، وهى امرأة يبدو من مظهرها أنها عنيفة وعدوانية ، وهى ترتدى ملابس تتميز بالبساطة الشديدة . تتردد قليلا وهى تنظر ناحية الجمهور كأنها تبحث عن رقم أحد الأبواب ، ثم تتجه ناحية باب الجناح . تتردد قليلا قبل أن تطرق على الباب ، وتفعل ذلك في اللحظة التى يكون فيها ماركوس يشرب كأسه الثانية التى انتهى من اعدادها لنفسه . ينتفض مترددا (من ؟) لا تجيب ، ربما لم تسمع سؤاله أو لعلها عرفت صوته . وعندما لا يتلقى ماركوس اجابة على سؤاله يترك كأسه ويقرر أن يفتح الباب . وأول مايبدو أنه سيفعل عندما يرى القادمة هو أن يغلق

الباب بعنف ، لكنه لايقدم على ذلك) تفضلى . . .
(يفتح لها الطريق الى الغرفة ، وهى تدخل ناظرة الى كل شىء بعناية ، بينما يبقى هو بجوار الباب) اذا كنت تبحثين عن زوجك فهو ليس موجودا .

جابريلا : قالوا لى ذلك في الاستقبال .

ماركوس : انى آسف .

جابريلا : أردت أن أتأكد من ذلك بنفسى .

ماركوس : لقد خرج . وأنا . . أرجوك . . انى مشغول للغاية .

جابريلا : أين هو ؟

ماركوس : في . . ذهب يتنزه قليلا بالسيارة ، ولم يقل لى الى أين ذهب .

جابريلا : سأنتظره هنا .

ماركوس : هذا شىء حسن ، لكنه قد يتأخر .

جابريلا : لايهمنى ذلك .

ماركوس : اذا كنت تريدين أن تنتظريه ، فانى أرجوك أن تفعلى ذلك في البهو . لدى الكثير من الأعمال .

جابريلا : (وقد اكتسبت نظرتها كثيرا من البرود) الى الحد الذى لاتستطيع معه أن تمنحنى دقيقة واحدة ؟

ماركوس : (قلقا . يختلس النظر الى غرفة النوم) بكل سرور .

جابريلا : شكرا (تنظر اليه بابتسامة ساخرة جافة) لا أزال أذكر ذلك المساء الذى تعارفنا فيه . . عندما قدم خوسيه كل منا الى الآخر .

ماركوس : وأنا أيضا أذكر تلك الأمسية .

جابريلا : كان مظهرك يوحى بالمودة والبراءة واللطف . وأذكر أنك قد قبلت يدى بأدب جم . . بأدب لم أتعوده ، ولا أريد أن أتعوده (تضحك بجفاف) كنت تبدو رجلا غير ضار . . صديقا يريد أن يفعل شيئا من أجل خوسيه . . صديق تشع منه النية الحسنة . . أليس كذلك؟

ماركوس : (ببرود) نعم .

جابريلا : « كفى فقرا . . منذ الآن » . . أذكر كلماتك هذه . . هل تذكر ذلك البيت المعتّم الذى كنا نعيش فيه ؟

ماركوس : نعم .

جابريلا : انى لا أزال أعيش فيه حتّى الآن .

ماركوس : (تصدر عنه حركة مفادها أن الأمر لا يعنيه ، كأن يرفع كتفيه قليلا) ماذا تريدين أن تقولى بكل ذلك ؟ تحدثى مع خوسيه . . اذا كنت ترغبين . الأمر لايهمنى . . فمن المضحك أن تحكى لى . . .

جابريلا : (مقاطعة) أقرأ اسمه في الصحف . . مستقبل باهر . . انتصارات . . صورته عندما يغادر الحلبة فوق الأعناق . . . النجاح . . .

ماركوس : هذا ما يحدث بالفعل .

جابريلا : وكل ذلك بفضلك .

ماركوس : (نافيا) لقد وضعت أنا من جانبى الأمل . . . والوسائل . . وما عدا ذلك وضعه هو .

جابرييلا : وأنا أيضا مدينة لك بكل شىء . . . كل شىء .

(يبدو أنها متأثرة ، وتجهش بالبكاء)

ماركوس : ارجوك

جابرييلا : مدينة لك بكل ما فقدته . . . كل ماضاع في هذه الحكاية. لكن الأمر لا يعنيك في قليل أو كثير . . . أليس كذلك ؟

ماركوس : هدئى من روعك . ليس في استطاعتى أن آخذ كل كلماتك في اعتبارى . . انك عصبية . . لم أتمتع بهذا القدر من التأثير الذى تفترضينه . . انه رجل مستقل ، ولا يترك زمام قيادته لأحد . . ابحثى في مكان آخـــر عن سبب ماحدث . . في نفسك . . فيه هو . . أنا لا أعرف شيئا . . انى بعيد عن كل مالا يتعلق بالعمل . . وهو كل مايعنينى .

جابرييلا : غير ضار . . كما هى العادة .

(تمسح دموعها بطريقة غير ملحوظة ، بينما يقول هو فجأة ودون مقدمات) :

ماركوس : انى كذلك . . اذا تركونى في سلام . أما اذا لم يكن الأمر هكذا فلا .

(تكتسب نظرته شيئا من الجفاف)

جابرييلا : (تبتسم عندما تلاحظ التغير الذى طرأ عليه) في استطاعتنا الآن أن نتفاهم . انه الشىء الذى أتيت من أجـــله .

ماركوس : ليس لدينا مانتحدث عنه في هذا المقام .

جابريلا : بل لدىّ أنا ما أتحدث فيه معك . لقد رأيتنى أبكى (يرفع كتفيه) كانت تلك . . كل الدموع . لم يعد عندى منها . . . حتى ولو أردت . هل تتخيل السبب الذى جئت من أجله ؟ (يظل ماركوس صامتا) لاتظن أن الأمر عبارة عن بادرة عاطفية . الزوجة التعسة . الوحيدة . . التى وهبت حياتها لحب لاينسى . . . (بسخرية مريرة) لا . . ليس هذا ماجئت من أجله . لاينبغى أن يخطر هذا على بالك ولو للحظة واحدة . . ياله من قرف . . (فترة انتقالية . بهدوء) : أتيت لآخذ نصيبى من النجاح . . اننى في حاجة الى مزيد من المال . هذا كل ماهناك . هل يدهشك ذلك ؟ كنت تتوقع شيئا آخر ؟ ليس هناك شىء آخر . لم يعد هناك شىء . . في داخلى ! (بقسوة) لا شىء .

ماركوس : (واجما) لدى . . لدى رجاء عندك .

جابريلا : (ضاحكة) رجاء عندى أنا ؟ رجاء ؟

ماركوس : لم لا ؟ (بقلق) خوسيه اليوم في حاجة الى قدر كبير من الهدوء . هل تفهميننى ؟ هدوء كامل . . . . أعصابه لم تكن على مايرام خلال الأسابيع القليلة الماضية . . ليس هناك مايدعو الى الانزعاج . . وقد قال الطبيب ذلك بنفسه . . لاشىء . . لكنه في حاجة الى بعض العناية . . وقد يكون من الخطر اليوم أن . . هل تفهميننى ؟ . . نثير أعصابه . . اليوم بالذات حيث سيكون الجهد كبيرا للغاية . . موقفك مفهوم . . انه مفهوم بطبيعة الحال . . (تكتسب لهجته مظهرا عذبا)

ليس عندى ما ألومك عليه . بل على العكس تمـــاما . .
اعتبريني منذ الآن فصاعدا صديقا حقيقيا لك . . حدث
بيننا ما يشبه ســـوء التفاهم . . اذا كنت قد ظننت
أنني . . ليس الأمر كذلك . . على العكس . . انك
تتمتعين . . حاولى أن تصدقيني . . . بكل ودى ،
واحترامى . . مع أننى لا أعرف بواطن المشكلة . .

جابرييلا : كلام فارغ . انك تعرف بواطن المشكلة جيدا .

ماركوس : (يجتهد في أن لايعارضها بحدة ،ويحتفظ بلهجتهالعذبة)
ليس الأمر كذلك . . انك تظلمينى . . وفي استطاعتنا
أن نتحدث عن ذلك في فرصة أخرى أنسب من هذه ..
ماكنت أريد أن أطلبه منك هو . . . أجلى لقاءك معه ،
من فضلك ، الى مابعد المصارعة . . ضعى في اعتبارك
ما قلته لك . ليس في استطاعتنا أن نلعب بحياة خوسيه .
لا يتعلق الأمر بمصارعة عادية . هل تفهميننى ؟ هناك
ستة من الثيران المحبوسة ، وهى جميعا له وحده ،
تنتظره في حظائر الحلبة .

جابرييلا : (تحدق فيه هامسة) يدهشنى أن . . .

ماركوس : ماذا ؟

جابرييلا : يذهلنى منك هذا الاستهتار (يجمد فجأة وجه ماركوس
الذى كان يحاول أن يرسم عليه ابتسامة مجاملة ويكتسب
لونا ترابيا باردا . لكنه لاينطق ببنت شفة . يستدير
لكى يكسب مزيدا من الوقت والهدوء . يعد لنفســه
كأسا من الكونياك ، بينما تستطرد هى حديثها بنفس
الحدة دون أن تغير من لهجتها) لا نستطيع أن نقامــر

بحياة خوسيه . . حقيقة ؟ ثم ما الذى تفعله أنت ؟ من أين تحصل على المال . . والسيارة التى تقف على باب الفندق . . . وحتى هذه الحلة التى ترتديها ؟ من اللعب بحياة خوسيه ! من اللعب بحياة الجميع ! (تستمر كأنها تتسلى بكلامها) لقد أصبته بالجنون الذى استولى عليه . لمـــاذا أصبح خوسيه يطالب بأن تخرج الثيران الى لقائه دون أن تُقطع أطراف قرونها (١) ؟ لمـــاذا ؟ لكى تستطيع أن تجرحه وتمزقه بطريقة أفضل ؟ إنه مجنون لكنك أنت الذى تدير عقله بكلماتك . ماالذى تقصده بذلك ؟ أن ترى كيف ينزف في غرفة الاسعاف بأية قرية لعينة ؟

(لحظة صمت)

ماركوس : (ببرود) هل انتهيت ؟

جابرييلا : لم أفعل سوى أننى بدأت . . لكننى سأقول البقية له هو دون أن أعبأ بشىء قبل بداية المصارعة..اخبره بذلك.

ماركوس : سأحاول منعك . واذا لم أستطع الى ذلك سبيلا فسوف تكونين المسئولة الوحيدة عن كل مايقع له .

جابرييلا : لاتحاول أن تخيفنى . . لن أغادر قاعة الاستقبال . . هل يبدو ذلك مفهوما ؟

(تخرج . يتردد ماركوس لحظة . وفي النهاية يتبعها الى الممر)

---

(١) عندما يطالب المصارعون بذلك يريدون فى الواقع أن يثبتوا مدى شجاعتهم ، اصرارا منهم على مواجهة الثيران بكل ما تمثله من خطورة . (المترجم)

ماركوس : اصغى الىّ .

(تتوقف هى قبل أن تصل الى المصعد)

جابرييلا : ماذا تريد الآن ؟

ماركوس : (تكتسب نبرته الآن مظهر التوسل الذليل . يتقـــدم نحوها ويقول لها بما يشبه التنهيدة) : من فضلك . . انك لاتستطيعين أن تفعلى هذا بنا . انى أتقدم اليك برجاء شخصى . . (تتقدم هى ناحية المصعد ، كما لو لم تستمع اليه ، ثم تضغط على الزر لاستدعائه . لايتبعها ماركوس لكنه يرفع صوته قائلا) : لقد علقنا على مصارعة اليوم كثيرا من الآمال . . حاولى أن تفهمى .. انه في مصلحتنا جميعا . . في مصلحتك أنت اذا كنت تريدين أن تطالبى خوسيه بما يبدو حقك دون شك . . (وصل المصعد . تفتح جابرييلا الباب ، وعندئذ يستوقفها ماركوس . يبدو أنه لايعرف ماذا يقول . يضغط على أسنانه ثم بعنف) : انى أحاول ألا أرتكب أى نوع من العنف معك ! وأنا قادر على أن أتصرف بطريقة أخرى !

جابرييلا : (بتحد) حاول . . .

ماركوس : أعتقد أنه من المحتمل أن يكون ما حدث لك هو ماتستحقينه بالضبط . والآن افعلى ما يمليه عليك ضميرك .

جابرييلا : (بابتسامة باردة) عما تتحدث ؟ هل تعرف هـــذه الكلمة ؟

(تتخلص منـــه وتدخل المصــعد ، وتدل الجلبـــة والانعكاسات الضوئية على أن المصعد قد بدأ يهبط .
يعود ماركوس الى الغرفة ، وقد ارتسمت على وجهه علامات الاعياء . يدخل ويغلق الباب . يشرب كل مابقى من كأسه جرعة واحدة ، ويعد لنفسه كأســا أخرى . يتجه ناحية النافذة والكأس في يده . ينظر الى السماء بقلق . يخرج ألبـــا من دورة المياه وهو يرتدى روب الاستحمام ، وعندما يصل الى غرفة النوم يعقد حزامه . يفتح الباب ويهبط الى حجرة الجلوس . لم ينتبه ماركوس لمجيئه بسبب شروده ، وينتفض عندما يسمع صوت ألبـــا)

ألبـــا : ماذا بك ؟

ماركوس : لاشيء .

ألبـــا : هل بدأ يقلقك . . . .

ماركوس : تعنى الجو ؟ الشمس . . لا تريد أن تسطع . . .

ألبـــا : والجو يزداد غماما كل لحظة . سينهمر المطر . . .

ماركوس : لا أظن . . .

ألبـــا : والريح لاتزال تزمجر . . صفيرها يسمع في الفنـــاء الداخلى .

ماركوس : لا يزال الوقت مبكرا . . .

ألبـــا : لا أدرى ماذا سيحدث ؟

ماركوس : فكر في شيء آخر .

ألبـــا : (يجلس ويلقى برأسه الى الخلف مغمضا عينيـــه) لا أستطيع . .

ماركوس : تمـــدد بعض الوقت . .

ألبـــا : لا . . لم تعد بى رغبة الآن في ذلك . . .

ماركوس : انك تشعر الآن ببعض التحسن . أليس كذلك ؟

ألبـــا : نعم . . بفضل المـــاء الفاتر . . انى على مايرام .

ماركوس : (يهم بالحركة ، لكنه يتردد قليلا) لقد . . لقد شربت قليلا . هل تعرف ؟

(ينظر ألبـــا اليه ضاحكا) ماذا يضحكك ؟

ألبـــا : يضحكنى أن يعتريك القلق أكثر منى . هل تبـــادل كل منا دوره في اللعبة مع الآخر ؟

ماركوس : (يبتسم بتكلف) لم أنم نوما هادئا . . لاتُلْقِ بالا الى ما أقوله .

ألبـــا : (معتدلا) أو أن شيئا ما قد حدث ؟

ماركوس : (متعجلا الاجابة) لا . صدقنى . . لم يحدث شىء .

ألبـــا : حسن (يلقى برأسه الى الخلف) أعطنى سيجارة .

(يعطيه ماركوس السيجارة بعناية فائقة ويشعلها له)

ماركوس : انى متوتر بعض الشىء . هل تعرف ؟ هـــذا كـــل ما هناك . ولذلك شربت بعض الأقداح . . (يحملق ألبا فيه بشىء من عدم الارتياح) لماذا تنظر الىّ هكذا؟

ألبـــا : (ناظرا اليه ببطء) هل أنت متعب الى هذا الحد ؟

ماركوس : ما الذى يجعلك تفكر هكذا ؟

ألبـــا : ما الذى حدث لك ؟

ماركوس : حـــدث لى ؟

(يتناول الكأس محاولا التظاهر بعدم الاكتراث)

ألبـــا : هل تتهاوى أنت أيضا ؟

ماركوس : أنا ؟ أبدا . . لم يولـــد بعد الانسان الـــذى يستطيع أن يجعلنى . .

ألبـــا : نعم ، لقد ولد . . انه الزمن (مبتسما) الذى يمر . .

ماركوس : اننى لا أشعر بمروره .

ألبـــا : انظر اليه اذن . . رأسك مطأطىء ، كما لوكان محنيا، وها أنت هنا ، وقد انكمشت ، وفي يدك كأس . . . كما لم أرك من قبل . . (ينصب ماركوس قامتـــــه بحركة تلقائية . يبتسم ألبا) الأمر سيان . أرح نفسك .

ماركوس : هل تعرف ما الذى أتمناه ؟ أن أصل صحيح البدن الى المـــوت .

ألبـــا : هذا مستحيل . . فالمرء يشيخ خلف سور الحلبة ،وهو يرى نفسه يتهاوى شيئا فشيئا . أما داخل الحلبة نفسها، فالأمر جد مختلف . . وفوق كل شىء عندما تكـــون قوة الثور الدفاعية في قمتها . . كما يحدث لى (يبتسم بمرارة) اننى أطالب بأن تكون القرون بالشكل الذى جعلتنى أنت أطالب به .

ماركوس : ألا تحقق مزيدا من النجاح بهذه الطريقة ؟ لقد كسبت الجمهور الى صفك . . واذن لابد من العودة الى نقاء

المصارعة . . الى آخر كل هذا الكلام . ألا يبدو وقع كل ذلك على المسامع جميلا ؟ وهو بالاضافة الى ذلك حقيقى .

ألبـــا : أنا لا أعرف ماتؤمن به أنت . هل هناك حقيقـــة بالنسبة لك ؟

ماركوس : حقيقة ؟ (لحظة سكون ، يقول بعدها فجأة بحماس .) النجاح . . هذه هى الحقيقة الوحيدة ، واذا لم نتمكن من تحقيقه ، فلا معنى هناك لأى شىء . لكن تكون على حق ، فلابد أن تكون ناجحا ! وأنا لا أؤمـــن الا بالحقيقة التى تأتى بالمال . هذه هى الحقيقة التى أبحث عنها . الحقيقة التى أجدها حيث أريد . وما عدا ذلك فهو كذب وضغينة . . أشياء بلا أهمية . . كل تلك الأشياء التى تقال بين هؤلاء الشحاذين فى الندوات التى تعقد فى المقاهى الرخيصة . ألا يبدو لك الأمر كذلك ؟

ألبـــا : لا أعرف ! (ينظر الى ماركوس ، الذى يكتسب وجهه امارات الوجوم ، وعندئذ يبتسم ألبا ساخـــرا) ماذا بك ؟ هل تستغرق فى التفكير ؟

(لحظة صمت)

ماركوس : (أخيرا وبلهجة تشبه الحشرجة ودون أن ينظـــر الى خوسيه) هناك انسان أحببته كثيرا ، وكان يفكـــر بطريقة أخرى . . لكنه مزق اربا اربا . . . (يبدو أن ألبا قد فوجىء بكلامه ، كما لو لم يسمعه يتحـــدث هكذا أبدا) فأكلوا من لحمه عندما سقط . وزعـــوه فيما بينهم . هل تفهم من هذا شيئا الآن ؟

ألبـــا : لم يكن في نيتى أن أذكرك بشىء يضايقك . كنـــت أتكلم لمجرد الكلام .

ماركوس : ماذا ؟ (يبدو أنه قد بدأ يستعيد حالته الأولى ، ويفسر ماقاله بتكليف :) وأنا أيضا كنت أتكلم لمجرد الكلام. ماذا كنت تظـــن ؟ (يدق جرس التلفون . يأخـــذ ماركوس السماعة بحركة عصبية قبل أن تصدر عن ألبا أية حركة ، ثم بجفاف) آلو (لحظة صمت) لا. . (لحظة صمت) من ؟ (لحظة صمت) انتظرى لحظة . . (الى ألبا) انها أليسيا بوينتى . . تقول أنها صديقتك . . (بغضب) قلت لهم ألا يضايقونا بالمكالمـــات . . هل هى صديقتك ؟

ألبـــا : نعم ، انها كذلك . . لكننى لم أرها منذ مدة طويلـــة (يأخذ السماعة) أليسيا . . نعـــم . . على مايرام . . وأنت ؟ لا ، لم أرك . . (لحظة صمت) نعم . . نعم . . (لحظة صمت) سنلتقى بعد المصارعة . هنـــا في الفندق . . موافقة ؟ وهو كذلك . . عناق حار جـــدا لك يا أليسيا . .

(يضـــع السماعة . يبدو وجه ألبا وكأنه قد اكتسب قدرا من الوداعة)

ماركوس : من هى ؟

ألبـــا : انها احدى صديقاتي عندما كنت لا أزال طالبا . . . من نفس التخصص . . أصبحت الآن طبيبة . . وهى تقيم في هذا الفندق ، وتقول أنها قد رأتنى أدخل هنا هذا الصباح . .

ماركوس : (بقليل من الحقد) ماذا تريد ؟

ألبـــا : تريد أن تراني . . أن نتحدث معا بعض الوقت .

ماركوس : سعدت بذلك كثيرا . . لقد انتفضت كأنك طفل . . شيء غريب . .

ألبـــا : سيسعدني أن أعرف شيئا عن الآخرين جميعـــا . . هؤلاء الذين تخرجوا . . واولئك الذين لم يتخرجوا . . وماذا يفعلون . . (يشرب ماركوس) هل ستواصل الشراب ؟

ماركوس : (كما لو أن أحدا قد ضبطه وهو يرتكب خطأ مـــا) انني أشرب الآن . في صحة نجاحك . . وأظـــن أن الأمر الى حد ما . . . .

(لا يكمل جملته ، ويرتسم على وجهه تعبير غريب)

ألبـــا : لقد شربت كثيرا . أليس كذلك ؟

ماركوس : لا . . لكن . . أظن أن عليّ أن أذهب الى العمـــل ، لأنهي بعض التفاصيل . . الصحافة . . ينبغى ألا يبقى مسمار واحد غير موضوع في مكانه . . نهايته . .

ألبـــا : اذا كنت ستذهب ، فعد مبكرا .

ماركوس : طبعا . . احبس نفسك أنت . هل تفهم ؟ تمدد قليلا . ولا ترد على أية مكالمة ، موظف الاستعلامات لم يطع أوامرى . ها أنت ترى ذلك . سأعيد تعليماتي في قاعة الاستقبال . . وأعود بسرعة .

(وصل شاب رث الثياب ، يبدو أنه قد جـــاء عـــن

طريق السلم الذى صعده متخفيا . نظر الى الخلف كما لو كان خائفا من أن يكون هنـــاك من يطارده . انـــه يبحث عن الغرفة . وهـــا هو يطرق الباب . عندمـــا يسمع ماركوس الطريق يتخشب جسده)

ألبـــا : من يمكن أن يكون ؟

ماركوس : (متردد ا) لست أدرى .

ألبـــا : افتـــح .

ماركوس : كنا قد قلنا . . .

ألبـــا : افتح الباب من فضلك . . فليس الأمر عملية اختفاء ، كما لو كنا من الخارجين عن القانون .

ماركوس : (يتردد لحظة ، وفي النهاية يفتح . وعندما يرى الشاب يسأله هادئا :) ماذا تريد ؟

باستور : صباح الخير ياسيد ماركوس .

ماركوس : (بدون لياقة) لا أذكرك . . . معذرة . . (يبدو أنه سيغلق الباب)

باستور : اسمي رافائيل باستور .

ماركوس : آه ! مساعد المصارع في هذه الأمسية ؟

باســـتور : نعم ياسيدى .

ماركوس : (دون أن يسمح له بدخول الغرفة) ماذا تريد ؟

باســـتور : أريد أن أتحدث مع الأستاذ (١) . اذا كان ذلك ممكنا .

(١) عندما يحقق المصارع نجاحا عظيما ، ويذيع صيته يطلق عليه المبتدئون فى المهنة صفة « مايسترو » وهى فى الاسبانية نفس الكلمة التي تطلق على قائد الاوركسترا ، والتى استخدمها هنا باستور فى وصف المصارع . (المترجم)

ماركوس : لا . ليس هذا ممكنا الآن .

باستور : كانت لدى . . كانت لدى رغبة حقيقية في أن . . .

ماركوس : ليس هنا من يستطيع أن يحل لك شيئا . انك أحد أصدقاء المؤسسة . أليس كذلك ؟ رفضوا الاسم الذى اقترحته عليهم ، وأضافوا اسمك الى القائمة ضد ارادتي . أريدك أن تعرف ذلك .

باستور : انى أعرف . لكننى لست صديقا للمؤسسة . . لقد دفعت قدرا من المال لكى أخرج هذا المساء . . . . وأيضا . . . الواسطة . .

ماركوس : مفهوم . . لا أعرف من تكون . . لا أعرف من تكون . . ولا أعرف حتى اسمك . . من أين خرجت ؟ . . أين صارعت قبل الآن ؟ خلاصة الكلام . . الأمر عندى سيان . . يكفينى أن تعرف كيف تمسك بالديباجة الحمراء(٢) . . . ليس هناك ماتفعله أكثر من ذلك .

باستور : اذا بدا أنه لابد من عمل شيء . . فلن أتردد في فعله . . (يصحح ما قاله) سأحاول أن أفعله .

ماركوس : عما تبحث ؟ عن فرصة ؟

باستور : نعم . . . لقد أنفقت كل ما ادخرته من المال في هذا الحقل . . بودى لو . .

ماركوس : لو أن ألبا قد تعرض لاصابة خطيرة ، فسوف تكون

---

(٢) انها الديباجة التي يستخدمها مساعد المصارع في استثارة غضب الثور لكى يبدو هائجا الى الدرجة التى يرى معها الجمهور آن المعركة بين الانسان والوحش ندية تنذر بكثير من الخطر على حياة الاضعف منهما . (المترجم)

هذه فرصتك الكبرى . اذا كنت تفكر بهذه الطريقة ف . .

باستور : (بتماسك) ليس هذا ما أبحث عنه ، جئت لأرى الأستاذ . ألن يكون هذا ممكنا ؟

ماركوس : بالتأكيد لا .

(يبدو ألبـــا شبه ممـــدد على فوتيه ، وعيناه نصف مغمضتين ، وهو يسأل شاردا)

ألبـــا : من ؟

ماركوس : لا . . . لا أحد .

باستور : انك تخطيء في ذلك . . (يزيح ماركوس من طريقه بحركة ثابتة ، ويدخل الغرفة . يعتدل ألبـــا قليلا ، وينظر نحوه) اسمى رافائيل باستور . سأكون مساعدك هذا المساء .

ألبـــا : رافائيل باستور . . نعم ، ها أنا أتذكر . . هل تريد شيئا منى ؟

باستور : (يلتفت ناحية ماركوس الذى ينظر اليه باستنكار ، ثم يلتفت مرة أخرى الى ألبـــا) أريد أن أتحدث معك.

ألبـــا : اجلس اذا شئت .

ماركوس : انك لاتستطيع الآن . . . !

(يلتفت ألبـــا ناحية باستور)

ألبـــا : انها . . . دقيقة واحدة . . أليس كذلك ؟

باستور : نعم ياسيدى .

ألبـــا : ها أنت ترى . . هل ستعود مبكرا ؟

ماركوس : أظن ذلك . . . أظن .

(يسمع صوت انهمار المطر على زجاج النوافذ)

ألبـــا : هل بدأ المطر ؟

ماركوس : (ناظرا ناحية النافذة) لاشيء . . قطرات قليلة . . هذا أفضل . . انه ينقى الجو . . هل تعرف ؟ انه أفضل شيء كان يمكن أن يحدث . . سأعود حالا .

(يخرج ويغلق الباب . يتجه ناحية المصعد ويستدعيه . يمسح عينيه بيده وهو ينتظر مجيء المصعد . ويبدو أنه مستاء . وفي الغرفة) :

ألبـــا : ألا تريد أن تجلس . . ؟

باستور : نعم ياسيدى . . شكرا .

(يحدق في ألبـــا)

ألبـــا : الى ماذا تنظر ؟

(يبتسم)

باستور : لم أكن قد رأيتك عن كثب من قبل . . هكذا . . كما أراك الآن . . .

(وصل المصعد ، فيدخله ماركوس ويغلق الباب ثم يبدأ في الهبوط . يبتسم ألبـــا وهو يعامل باستور بلطف) .

ألبـــا : ماذا كنت تريد ؟

باستور الأمر يتعلق بـ . . ذلك أن . . كان عليّ أن أراك قبل المصارعة .
لم أكن قد عقدت عزمى. لكننى في النهاية . . لم يتركنى
موظف الاستعلامات أصعد ، فأفلتُ دون أن يراني . .
لاتغضب منى لذلك .

ألبـــا : بمـــاذا يتعلق الأمـــر ؟

باستور : (بعصبية) اننى . . اننى أهنئك على هذا الموسم . .
أقولها من القلب . من كل قلبى أقول لك ذلك .

ألبـــا : شكرا . . من القلب أيضا .

باستور : بالنسبة لى . . الظهور معك أثناء المصارعة هذا المساء
شرف كبير جدا . هذا بالاضافة الى . . انها أيضا . .
فرصة حياتي . . لقد أعطيت كل شىء لكى أرتدى
حـــلة المصارعة معك .

ألبـــا : (وقد سر لهذا المديح) هل تظن أن الأمر يستحق العناء؟

باستور : انه يستحق العناء بكل تأكيد ! فمراوغة الثور الى
جوارك تفوق كل أحلامى .

ألبـــا : هل تعرف قواعد المهنة جيدا ؟ هل قتلت كثيرا من
الثيران ؟

باستور : قتلت كثيرا من الثيران . . . اننى أفعل كل ما أستطيعه
لكى أحصل على حلبة أمارس فيها المصارعة . . .
أتحسس طريقى بالكاد . . وأنفق كل ما أكسبه في هذا
المجال . . ولدى بعض الأصدقاء الذين يعاونوننى
ويتوسطون لى . . هذه الطريقة لاتعجبنى ، لكن ليس
هناك حل آخر . . لم أكن أريد . . كنت أظن أن الذى

يحب المصارعة ولديه المقدرة . . وهو في النهاية يصلح لهذا . . فسوف . . هل تفهمنى ؟ كنت أظن أنه ليست هناك حاجة الى . . . لكن الأمر ليس كذلك . . .

ألبـــا : ماذا تعمل ؟

باستور : عندى . . حانة متواضعة للغاية . . الاعتراف بذلك لايخجلنى . . كانت ملكا لأبى . . وهناك يجتمع أصدقائي في الحى . . هؤلاء الذين يشجعوننى . . وهم يقولون لى « انك ستصل » . . الحانة في شارع » . . . « أكلسياس » عند أطراف المدينة . وقد علق على بابها مصباح صغير أحمر . علقت أنا هذا المصباح عندما أحدثت بعض الاصلاحات في الحانة ، وذلك عندما مات أبى . . انها لطيفة ، لكننى لا أصلح لـ . . . . . يتملكنى الغيظ ، وأنا أفكر في أن . . البعض يقولون أننى ثقيل الظل ، وأننى مغرور . لكن الذين يعرفوننى جيدا يعلمون أننى لست كذلك . . ان هوايتى للمصارعة هى التى لاتدعنى أعيش ، وهى التى تُضنينى . . . . واليوم . . أخيرا . . هذا المساء ... هل تفهم ما يجرى لى ؟ انه كثير بالنسبة لى .

ألبـــا : (مبتسما) ماذا تنتظر هذا المساء ؟

باستور : لا . . لا أعرف .

ألبـــا : قلما تكون لمساعد المصارع فرصة في أى شىء . . كل ما هناك أنه يحمى ظهر المصارع مرة بعد أخرى ، ويصرف عنه الثور كلما رأى أن الخطر محدق . هـــل يسعدك ذلك ؟

باستور : نعم . . حماية ظهر المصارع في الحلبة الكبرى . . في الحلبة الكبرى . وان لم يكن الأمر أكثر من ذلك فهو...

ألبـــا : ماذا يمكن أن يكون أكثر من هذا ؟

(لحظة صمت . يخفض باستور عينيه)

باستور : طبعا . . فقط في حالة . . لا قدر الله . . يمكننى أن أقتل ثورا .

ألبـــا : لقد فكرت في أننى قد أصاب(١) . أليس كذلك ؟

باستور : (بصوت خافت للغاية) نعم . . وصل بي الأمر الى التفكير في ذلك .

ألبـــا : في أنه من الممكن أن أتعرض للاصابة .

(لا يجيب باستور ، ويبدو أنه يشعر بالخجل)

باستور : انه لأمر مخجل . أليس كذلك ؟

ألبـــا : هل وصل بك الأمر الى حد أنك تمنيت حدوث ذلك فعلا ؟ قل لى بصراحة . .

باستور : لا . . أريد أن أقول . . أننى لم أتمنَّ ذلك ، بل . . . (لا يعرف كيف يعبر عن نفسه) .

ألبـــا : هل يسرك أن يحدث شيء كهذا ؟

(يفرك باستور يديه بضيق)

باستور : لا ! كيف يكون في استطاعة المـــرء أن يتمنى شيئا

---

(١) عندما يصارب المصارع قد يقوم مساعده مقامه فى قتل ما كان عليه قتله من الثيران وهذه هى من اهم الفرص فى الظهور . (المترجم)

كهذا ؟ وأنا لا أريد أن يصاب أحد بأى شىء . . .
لكننى أيضا . . أرغب في قتل ثور في الحلبة الكبرى !
لقد كافحت في سبيل هذا الهدف . . أعواما وأعواما..
وفي هذا المساء ينتظرني هناك . لا أعرف ما اذا كنت
تفهمنى .

ألبـــا : (يحاول مع ذلك أن يبتسم . لكن ابتسامته تبدو شاحبة)
ما الذى ينتظرك هناك ؟ الثور ؟

باستور : يبدو كما لو كان على قيد أنملة منى . . واحد من الثيران
الستة ! واحد فقط ! وسأعرف أنا ماذا أفعل معه .
أنا أعرف أننى مصارع . ولا أبحث الا عن فرصـــة
أمام الصحافة ، والجمهور . فرصة في أن يشاهدوني .

ألبـــا : (بجدية) و . . ماذا كنت تريد منى ؟ (يبدو الآن أن
ألبـــا قد بدأ يتسلى بالموقف) أن أترك لك ثورا ؟ أن
أتسبب في اصابة نفسى وأنا أصارع الثور الأخير . .
هه ؟ أذهب أنا الى حجرة الاسعاف ، وتتولى أنت ..
زمام الموقف ، ثم مصارعة كبرى ، تحصل بعدها
على . . أذني الثور . . وتدور داخل الحلبة . . وتخرج
محمولا على الأعناق من الباب الكبير . . .

باستور : (وقد لمعت عيناه) أنا لم أقل هذا . . لا . . كيف
أستطيع أن أقول شيئا كهذا ؟

ألبـــا : أهذا ماتريده ؟ قل .

باستور : أنا . . رجل شريف . . ولا يمكننى أن أتمنى الشر
لأحد ، على الرغم من كل شىء .

ألبـــا : اذن ؟

باستور : لاشيء . . كل ما أردته هو أن أقدم نفسي لك . . وأن أخبرك بأنني موجود ، وأنني هناك في شارع « أكاسياس » على مقربة من الحلبة . . واذا تركتني أحصل على قسط وافر من المراوغة ، فسأكون شاكرا فضلك . واذا فكرت يوما في أن تصنع شيئا من أجلي ، فانك تعرف أين أنتظرك . تذكر أنه قد علق على باب الحانة مصباح أحمر .

ألبـــا : وأنا أتمنى لك حظا سعيدا . . على ألا يأتيك هذا الحظ مساء اليوم بسبب كارثة تقع لي .

باستور : لا قـــدر الله .

(يدق جرس التلفون . يظل ألبـــا بسبب المكالمـــة بلا حراك . يتجه باستور مباشرة ناحية النافذة وينظر الى السماء بقلق . يقرر ألبـــا الرد على التلفون)

ألبـــا : آلو . . (مايسمعه يجعله يرتجف ، كما لو كان الأمر يتعلق بصوت يخافه وينتظره ، ثم بتوتو) نعم . . انني أنا (بصوت مختنق) أنا . . لم أقل أنه لايحق لك أن تصعدي . . أنا . . (لحظة صمت . يغمض عينيه ويهمس) اصعدي . . نعم . . اصعدي من فضلك . (يعيد السماعة الى مكانها . يبدو لونه شاحبا ، زيلتفت ناحية باستور) سنلتقي في الحلبة . . لدى كثير من العمل . .

باستور : هل سامحتني ؟

ألبـــا : على ماذا ؟

باستور : بسبب مضايقتى لك ؟ .

ألبـــا : لم تكن هناك مضايقة (يفتح الباب ، فيخرج باستور متخفيا ويبدأ في الهبوط بنفس الطريقة التى ظهر بهـــا على المسرح . يتردد قليلا أمام المصعد . لكنه لا يستخدمه وقد رآه ألبـــا مستغرقا في التفكير من باب جناحه ، ويتركز بصره الآن على المصعد . يشعل سيجارة بيـــد مرتعشة . وتفزعه ضوضاء المصعد التى بدأت تسمع . يتقدم ناحية باب المصعد كما لو كان واقعا تحت تأثير التنويم المغناطيسى ويقف بلا حراك منتظرا أمام الباب الذى يفتح . انها جابرييلا . يتبادلان النظرات المتفحصة كما لو كانا قد فوجئا بهذا اللقاء . لاتزال علامات الجفاء والعنف التى ارتسمت على وجهها أثناء مقابلتها مع ماركوس تلازمها ، وفجأة تجهش بالبكاء كأنهـــا طفلة ، ثم تلقى بنفسها بين ذراعىّ ألبـــا الذى يقول بصوت مختنق) : أنا . . لا أعرف كيف تحـــدث الأشياء . .

جابرييلا : (تنظر اليه وتقول وسط دموعها) كنت . . وحيدة جدا . . كنت أريد أن أموت .

ألبـــا : تعالى . . .

(يقودها ناحية الغرفة ، ويغلقها هذه المرة بالمفتاح . تقترب هى من النافذة وتحاول أن تهدىء من روعها قليلا . انها تبكى بطريقة عذبة . لحظة صمت)

جابريلا : لم أكن أريد أن أجيء . هل تعرف ؟ ثم فكرت في أن آتي لألحق بك الأذى . . لالحق بك كثيرا من الأذى ، لأجرحك . . بشكل تعجز عنه الثيران نفسها . . . . أجرحك في روحك . . جئت لأجعلك تنزف ، ولأقول لك . . أنني أشعر بالاشمئزاز من ذكرياتنا و . . انني لم أعد في حاجة اليك . . وأن الأمر لن يهمني اذا رأيتك ميتا . . أو اذا رأيتك تنزف على رمال حلبة قــذرة معتمة . . جئت أيضا لأقول لك . . أنك قد خنت كل مانحبه . . وأن أبي قد مات هناك . . حيث كان يعيش كل تلك المدة . . وأنني لم أتلق منك ولا حتى كلمة واحدة . . وأننا نراك في الصور مع كل الذين نجحوا ، وأننا . . هناك في الحي . . . كنا نبصق على اسمك . . وأننا لم نعد نعتبرك رفيقا كنا نلعب معه . . في تلك الأيام ، ونحن لانزال أطفالا ، عندما كنا نجرى بين متاريس الشارع . وذات ليلة . . حدث شيء جعلك تبقى وحيدا معي في هذا العالم . . جئت أيضا لأقول لك . . .

(بدأ ألبـــا يبكي . يقبل شفتيها ، ويحتضنها بكل قوة ، وتترك هي نفسها بين ذراعيه باكية . وفي هذه اللحظة تسمع ضوضاء المصعد معلنة مقدمه الى هذا الطابق ، ويتوقف ، ويفتح بابه . انه ماركوس . يتجه ناحية باب الجناح ، لكنه يتوقف قبل أن يصل . تبدو نظراته غائمة كما لو كان قد ظل يشرب . عندئذ يشعل سيجارة يستدير وينظر الى الباب . يسحب نفسا عميقا من

السيجارة ، وقد أعطى ظهره للجمهور . يخرج الدخان من فمه . وعندما يستدير ناحيتنا مرة أخرى ، نرى أن وجهه قد تشوه بفعل الحقد . ينفض السيجارة ويتركها تسقط . ينظر الى يده دون أن يظهر عليه أنه يتألم ، مع أن من المحتمل أن تكون يده قد لسعت . يبدو أن وجهه قد اكتسب امارة معوجة . بدأ الضوء يخفت داخل الجناح شيئا فشيئا ، ولم نعد نرى جابربيلا وألبا . وفي هذه اللحظة يسدل الستار ببطء) .

(نهـــاية الفصـــل الأول)

الفصل الثاني

نفس الجناح . لا يوجد أحد في حجرة الجلوس ،ولا في المدخل . يدق ماركوس على الباب . لحظة صمت. يخرج ألبا من غرفة النوم ، وهو يرتدى نفس الروب. ويبدو أنه شارد الذهن . لكن وجهه يكتسب الآن امارة تدل على احساس هادىء بالخـــوف . يفتح الباب ، فينظر اليه ماركوس لحظة ، ويبادله ألبا النظر بنفس الطريقة . يدخل ماركوس الغرفة ، ويغلق ألبا الباب)

ألبـــا : أريد أن أقول لك شيئا .

ماركوس : (بلا اكتراث) أعرف ماتريد أن تقوله .

(يشعل بقداحته مصباحا موجودا أمام اللوحة الثلاثية ، وهو يفعل ذلك بشكل آلى)

ألبـــا : اذن . . . .

ماركوس : أين هى ؟

(التفت ناحيته)

ألبـــا : (يشير الى غرفة النوم) لقد كان . . . سوف ترى. .

ماركوس : (لايريد أى نوع من التفسيرات) الأمر ســيان . . (يغير الموضوع دون فترة انتقال) قلت لخـــوان أن يصعد الآن . أيبدو لك هذا شيئا حسنا ؟

ألبـــا : نعم (لحظة صمت) أين كنت ؟

ماركوس : (يتجنب النظر اليه) قيل لى أن زوجتك قد صعدت اليك ؟ ففكرت في أنه من الأفضل ألا أزعجك . ذهبت الى البار حيث شربت قدحا كبيرا من القهوة . وقد جعلت حالتى تتحسن . . هل أنت في حاجة الى شىء ؟

ألبا : لا . كم الساعة الآن ؟

ماركوس : الثالثة والنصف .

ألبا : هناك متسع من الوقت .

ماركوس : هل تناولت غداءك ؟

ألبا : لا .

ماركوس : فات الأوان . لكنك تستطيع أن تأخذ شيئا معى اذا أردت .

ألبا : ليست عندى شهية للطعام ، كما هى العادة .

ماركوس : ابدأ اذن في ارتداء ملابسك . لم يعد هناك ما يكفى من الوقت .

ألبا : معك حق . (ينظر ناحية النافذة) ألا تزال تظن أن الجو سيتغير ؟ أعتقد أنه سيتغير بالفعل .. لكن الى أسوأ .

ماركوس : محتمل . . ماذا في وسعنا أن نفعل ؟

(يجلس ويفتح الجريدة)

ألبا : الى أى شىء تنظر ؟

ماركوس : المقال الذى كتب عنك . لقد كلفنا الكثير . لكننى أظن أن الأمر يستحق العناء .

ألبـــا : من الذى كتبه ؟ أنت ؟

ماركوس : انه الناقد . أنا لا أعرف كيف أكتب .

ألبـــا : عما يتحدث ؟

ماركوس : عن انتظار الناس للمصارعة . . . ثيران ستة لم تقطع أطراف قورنها . . احتفال العام . . الى آخره .

ألبـــا : انى عصبى . . أتعرف ؟

(يترك ماركوس الجريدة بلا مبالاة)

ماركوس : ترى ما الذى أخر خوان ؟ قلت له أن يصعد في الحال.

ألبـــا : انى (بارتعاشة) عصبى للغاية . . كل لحظة تمر أحس . . . .

ماركوس : هذه مشكلتك الخاصة . . . أما مشكلتى فهى أن أضعك داخل الحلبة وأتقاضى عنك أكبر قدر ممكن من المال . انها لحظة عمرك . فماذا تريد أكثر من ذلك ؟ أن أخرج وأقتل الثيران بدلا منك أيضا ؟

ألبـــا : أن تضعنى في الحلبة . قلت أنت هذا بنفسك . وعندما أكون هناك فلا حاجة بي اليك . لكننى الآن . . .

ماركوس : الآن أنا متعب .

(لحظة صمت)

ألبـــا : حسن . لكننى في حاجة اليك .

ماركوس : ها أنا ذا معك .

ألبـــا : هذا ما أريده . أن تكون معى . ما الذى تسعى اليه ؟

ماركوس : لا شيء .

ألبــا : أن أعطيك تفسيرا لمـا حـدث ؟

ماركوس : لا .

ألبــا : اذن . . . ؟

ماركوس : قلت لك أنني لا أريد شيئا .

ألبــا : انك ياماركوس لا تستطيع أن تتخذ هذا الموقـف ! افعل ماشئت بعد المصارعة . لكن الآن . . .

ماركوس : لقد شربت قليلا هذا الصباح ، ولا أشعر أنني عـلى مايرام .

ألبــا : (يصرخ يائسا) لا تتركني ياماركوس .

ماركوس : أنا لا أتحرك من هنا . دعني .

ألبــا : لا تتركني الآن .

ماركوس : (يتخلص منه وتصدر عنه حركة بالقرب من النافذة. ينظر الى الخارج . لحظة صمت) لن تسطع الشمس ، ها أنت ترى . . وكنت قد فكرت في الأمر بطريقة أخرى . (تخرج جابربيلا من غرفة النوم . تجتـاز المدخل وتنظر من الباب الى داخل حجرة الجلوس . يلتفت ماركوس وينظر ناحيتها . تكتسب هي مظهر المخمور بانتصار . تهبط درجات السلم ، وتقترب من خوسيه كما لو كانت تطلب منه أن يعانقها أمـام ماركوس . يتردد ألبا لحظة ، لكنه يفعل في النهاية . تتخلص هي منه في هـذه اللحظة وتلتفت ناحيـة ماركوس)

جابرييلا : سنعيش معا من جديد . . .

(لحظة صمت)

ماركوس : (متوجها بالحديث الى ألبا كما لو لم تكن جابرييلا موجودة) كل ما أريد أن أعرفه هو شيء واحد .

ألبا : ماذا ؟

ماركوس : اذا كان سيطرأ تغير على موقفنا . . العلاقة القائمة بيننا .

ألبا : فسر كلامك .

ماركوس : أتحدث عن مشاريعنا المشتركة في العمل . انه الشيء الوحيد الذى يعنيى .

ألبا : (مترددا) اسمع ، نستطيع أن نتحدث بعد المصارعة.

ماركوس : بل الآن فقط يهمني أن أعرف ذلك .

لبا : اذن . . كل شيء سيظل كما هو . طبعا . . كل ما هناك أنه سيكون علينا أن نفكر في مسألة السفر الى أمريكا . . . .

ماركوس : (ببرود) ألا تريد أن تذهب الى أمريكا ؟

ألبا : قلت أنه سيكون علينا أن نفكر في الأمر .

ماركوس : انك لاتريد الذهاب . وماذا عن الموسم المقبل ؟ هل سترغب في اقامة ثمانين مصارعة أخرى أم لا ؟ انك لن ترغب في ذلك . وسيكون من الضرورى أن يصل العدد الى تسعين أو مائة . . هذه هى خطتى ! أيمكننى الاعتماد عليك أم لا ؟ عليك أن تقرر ذلك .

ألبا : (مترددا) بالطبع نعم . . كل مافي الأمر أنه سيكون

علينا أن ندرس هذه المسائل . . ولا نقذف بأنفسنا في كل شيء وقد عصبت أعيننا . . أتفهم ؟ ينبغي أن يكون لدينا قليل من التعقل .

ماركوس : (يرفض) هذا لاينفع معي . .

ألبــا : (وقد اكتسبت لهجته نبرة عدوانية) ما الذى ينفع معك ؟

ماركوس : انني لاأستطيع أن أعمل هكذا . . الأمر لايستحق العناء بهذه الطريقة . . أنا لا أصلح لالتقاط الفتات . . وانما أسعى الى تحقيق كل شيء . وإذا لم يكن الوضع يعنيك بهذا الشكل ، فانني على استعداد لالغاء العقد . في استطاعة أى انسان غيرى أن يجد لك — في الحالة التى أتركك فيها — مجموعة قليلة من المصارعات « المتعلقة » كل موسم (بسخرية مريرة) الى أن تصبح شـيخا عجوزا ، يكتنفه أفراد أسرته . . في جو من الأمان العائلى .

ألبــا : ماالذى تريده اذن ؟

ماركوس : لاشيء . . اذا كنت عاجزا عن العمل ، فسأذهب .

(ظلت التعبيرات التى ترتسم على وجه جابربيلا تزداد حدة أثناء هذا المشهد ، والآن تتدخل في الحديث ثائرة)

جابربيلا : سأقول لك أنا ماذا يريد ! انه يريد كل شيء . يريدك أن تكون ملكا له . نعم ، الأمر كذلك ، سـواء أعجبك أم لا ، هو يريدك كما لو كنت امرأة ، كما لو كنت أكثر من امرأة ، فهو لايستطيع حتى أن

يتصور أن يكون لغيره أى دور في حياتك . لهذا فرق بيننا في المرة السابقة . وقد سعد بذلك . لكنه على استعداد لأن يقتلنى ، اذا استطاع ذلك . انه على استعداد لأن يغرق أبناءنا اذا كان لدينا أبناء ! لأنه يعرف أن كل ذلك يفقده شيئا مما هو في حاجة اليه ، لكى يلقى به الى الحلبة لمصارعة الثيران ، ثم يملأ جيوبه بالمال الذى ينفقه على لياليه ، على حين تحاول أنت أن تستريح ، وقد احترقت أعصابك ، وانهرت تحت وطأة الكوابيس ! هل تعرف كيف كان يبدو الاستماع اليك في الليل ؟ كان يبدو شيئا فظيعا . ومن الآن فصاعدا سيكون الأمر أسوأ ، وسيزداد سوءا بمرور الزمن ، وسيأتي يوم لن تجد فيه طريقا الى الخلاص . ويومها ياخوسيه لن يكون في استطاعتك الاعتماد عليه . كل ماستجده عنده هو الاحتقار . انه كل ماسيعطيك يومها . . النسيان والاحتقار . أم أنك لم تدرك ذلك حتى الآن ؟

ماركوس : (بثورة وهو ينظر اليها متوترا) قل لزوجتك أن تصمت . قل لها ذلك .

ألبا : انك عصبية . أسكتى .

جابرييلا : أنا أقول الحقيقة . ألا تتركنى أقولها ؟

ألبا : أسكتى من فضلك . . افعلا ذلك من أجلى لو سمحتما . أتركاني أصل الى المصارعة بسلام . . فأنا في أشد الحاجة الى ذلك .

جابرييلا : سامحنى . . سامحنى .

(تبكى . لحظة صمت)

ماركوس : (وقد استعاد هدؤه) انها على حق . أنا لا أستطيع أن أفعل شيئا بقليل . . . انني في حاجة الى رجل بأكمله . وليس في استطاعتى أن أقتسمه مع امرأة ولا مع أى شخص آخر . . الأمر يبدو قبيحا . أليس كذلك ؟ لكن في حياتي من قصص النساء ما يكفى لكى تفهما ما أعنيه . . هكذا الثور . . علينا أن نلقى له برجال أحرار . . رجال على استعداد لأى شيء . . . وبهذه الطريقة يظهر النجوم ، فما الذى يمكن أن يظهر من الأمان العائلى ؟ دبلوماسى لامع في أحسن الأحوال . . أما مصارعو الثيران فلا . ولا فنانون ، ولا شيء يستحق الاهتمام . . لكن هذا ولد ممتاز . لقد خلق من طينة أخرى ، ومن المؤسف حقا أن يضيع نفسه .

جابرييلا : (بهدوء الآن) انني أعتذر عما قلته لك . ستحاول أن نتحدث فيما بعد . أليس كذلك ؟ وبأفضل طريقة ممكنة . . اننا لن نكسب شيئا اذا رحنا نسبب الجراح هذا المساء كل منا للآخر .

ماركوس : (موافقا على الهدنة) ليكن الأمر اذن كما تقولين . وأنا أيضا أعتذر لك . .

ألبـــا : (بصوت منخفض متأثر) شكرا . .

(اقترب من الباب رجل بسيط في مظهره . انه خوان ، حامل سيوف المصارع يطرق الباب)

خـــوان : هل تسمح لى بالدخول

ماركوس : أدخل .

(يفتح خوان الباب ويدخل ، وقد بدت عليه علامات الاحترام)

خــوان : مســاء الخير .

ألبــا : مســاء الخير ياخوان .

خــوان : هل ستبدأ في ارتداء ملابسك ياسيدى الأستاذ ؟

ألبــا : (بتنهيدة خافتة) نعم . . عن اذنكما .

(يدلف الى المدخل ، فيتبعه خوان . وفي المشهد الذى يلى . سيساعد خوان ألبــا على ارتداء ملابسه .ويراعى في تقديم هذا المشهد الصامت ، استعمال الحاجــز المشار اليه . كما أن من الممكن استخدام الباب المؤدى الى غرفة النوم التى سيخرج منها حامل السيوف الديباجة الحمراء . والقبعة الخاصة بالمصارع . . الى آخره . وفي هذه الأثناء يجرى المشهد التالى داخل حجــرة الجلوس . خيمت على الجو فترة سكون غير مريحة ، عندما بقى كل من ماركوس وجابرييلا وحدهما . تحدق جابرييلا في اللوحة الثلاثية والمصباح المضاء) .

جابرييلا : هل هذه الأشياء لخوسيه ؟

ماركوس : لا .

جابرييلا : كان الأمر سيدهشنى . هل تظن أنها تفيد في شيء ؟

ماركوس : لم يصب خوسيه الا مرة واحدة ، وكانت الاصابة غير ذات بال . وقد يكون لهذا معنى .

جابرييلا : هل تنسب ذلك الى المصباح ؟

ماركوس : هكذا تصادف على الأقل .

جابرييلا : ماذا تريد أن تقول ؟

ماركوس : كنت قد نسيت أن أشعله يوم أن أصيب خوسيه .

(ترفع جابرييلا كتفيها)

جابرييلا : (مبتسمة) انها مجرد صدفة ، أليس كذلك ؟

ماركوس : أنا لا أعرف .

جابرييلا : هل نسيت ذلك يومها فقط ؟

ماركوس : نسيت قبلها مرة أو أخرى . لكنني لم أنس منذ ذلك اليوم أبدا .

جابرييلا : ولم يحدث شيء أبدا ؟ .

ماركوس : لا .

جابرييلا : رؤيتها تشعرني بالحزن . يبدو لى كما لو أن شيئا سيئا قد حدث . . أو أنه على وشك أن يحدث . الجو في الخارج معتم ، وهذا المصباح هنا ، كما لو كنا في يوم الموتى (١) أو . . . لا أعرف .

ماركوس : حذار أن يخطر على بالك اطفاؤه .

جابرييلا : (ترفع كتفيها) لا .

(لحظة صمت)

ماركوس : اعلمى أن كل هذا ليس أكثر من هدنة . بودى لو فهمت الأمر على هذا النحو .

---

(١) تقصد الفاتح من نوفمبر حيث يحتفل الشعب الاسباني بيوم الموتى . (المترجم)

جابريولا : هل تقصد . . . ؟

ماركوس : أقصد الحديث معك بهذه الطريقة . بل أقصد مجـــرد عملية الحديث معك .

جابرييلا : ألن تريد أن تتحدث معى أبدا ؟

ماركوس : لن تكون لدى فرصة لهذا .

جابرييلا : انك ستذهب اذن ؟

ماركوس : نعم . ها أنا ذا أعيده اليك بصحته وسليما . . ومعه بعض المـــال . . لا بكل مايَظُنّ هو أنه لديه .

جابرييلا : الأمر برمته يبدو لى الآن سيان . فالمـــال لايهمنى .
(يبتسم ماركوس ساخرا)

ماركوس : عندما جئت هذا الصباح ، كنت تتحدثين بصراحة . ألا تذكرين ؟ لمـــاذا لاتفعلين الآن ؟ هل قررت أن تغيرى خطتك ؟

(يتبادلان النظرات بحدة)

جابرييلا : لن يكون في استطاعتك أبدا أن تفهمنى . لافائدة .

ماركوس : (وقد بدأ يتلاعب بالسخرية) هل تظنين نفسك اذن معقدة الى هذا الحد . . ليس هذا شيئا غريبا . . انه يحدث لنساء كثيرات .

جابرييلا : (بغضب) لكنه لايحدث لى . ماذا تريد ؟ أن تسمعنى مرة أخرى ؟ هل هذا ماتبحث عنه ؟

ماركوس : (بهدوء) لا ، من فضلك . بعد المصارعة (لحظـــة صمت) هل ستأتين الى الحلبة ؟

جابرييلا : رغبتى في ذلك اليوم أقل من أى وقت مضى .

(لحظة صمت)

ماركوس : والآن ؟ ماذا ستفعلين ؟

جابرييلا : سأذهب .

ماركوس : (بسعادة) كنت سأطلب منك ذلك .

جابرييلا : لقد طلبه خوسيه منى قبلك .

ماركوس : يسعدني ألا تثيرى المتاعب .

جابرييلا : لكننى أريد فقط أن أعرف لمـــاذا . .

ماركوس : سليه هو ، فبالنسبة الىّ . . يصعب علىّ الحديث في بعض الأمور .

جابرييلا : ماذا تقصد ؟

ماركوس : أرجوك ألا تطلبي منى أن أحدثك عن هذا احتراما لخوسيه .

(قال ذلك بصراحة متأثرة تخفى وراءها شيئا يرى في عينيه ، انه السخرية المستهزئة)

جابرييلا : هل تنتظران شخصا ما ، أم ترى ما الذى سيحدث ؟

ماركوس : اننا لا ننتظر أحدا ، ولا شيء يحدث (وصلت خادمة من الجهة المقابلة للمصعد . وهى تدفع عربة صغيرة محملة ببعض الطعام البارد . تطرق الباب) أدخلى (تفتح الخادمة الباب وتدخل بالعربة) .

الخادمة : طاب نهـــاركما .

ماركوس : دعيها هناك . شكرا .

(تدفع الخادمة بالعربة وتضعها في المكان الذى أشـــار اليه . ثم تخرج مرة أخرى وتغلق الباب . وتختفى نهائيا من المسرح)

جابرييلا : أنا متأكدة من أن هذا جاء وفقا لأمر أصدرته أنت .

ماركوس : لمـــاذا ؟

جابرييلا : قال لى خوسيه ذلك بطريقة خاصة . . وتعرفت أنا على معنى هذه اللهجة . عاد لكى يكون كما كان الزمن الغـــابر .

ماركوس : اعتبرى الأمر هكذا اذا شئت . أمر منى . . أمر منى . ابتداء من هذه اللحظة سيكون لدينا الكثير من العمل . . لابد من اجراء بعض الاستعدادات ، الى حد أنه (يشير الى الصينية) . . لا ينبغى عليك أن تبقى لتتناولى غداءك في الفندق . . على أننى مستعد بكل سرور . . .

جابرييلا : (بجفاء) لم أكن قد فكرت في أن أتناول طعامى هنا .

ماركوس : كل شىء يبعث على التفكير في أن سلوكى معك ليس مهذبا ، وأنا آسف لهذا .

جابرييلا : الأمر سيان (يبدو أنها تتأهب للخروج . تعيد تصفيف شعرها أمام احدى المرايا) سيأخذني حامل السـيوف بالسيارة . هذا ماقاله لى خوسيه .

ماركوس : وهو كذلك . انه هو الذى يأمر .

جابرييلا : سأعود فيما بعد لأنتظركما هنا .

(يتردد ماركوس)

ماركوس : هنا ؟ لن يكون ذلك ضروريا . . في وسعنا أن نمــر عليك في بيتك . . .

جابرييلا : (تحدق فيه) لكننى مع ذلك سأنتظر كما هنا .

ماركوس : (يضحك بخشونة) ماذا تفترضين ؟ أننى سآخذه منك اذا ماسهوت عنه لحظة ؟ ليست عندى هذه النية . لكن عليك أن تعرفي أنه اذا طلب هو منى ذلك ، فسنفعل حتى لو بقيت تنتظرينا بجوار الحقائب . والآن افعــلى ماشئت .

جابرييلا : (بغضب مكتوم) ليس هناك من يستطيع أن يتخيــل شيئا كهذا الا أنت . . لا . الأمــر لايتعلق بذلك ، بالرغم من أنك لن تفهمنى . . سأعود لأننى لا أستطيع الانتظار وحدى في البيت . سأعود . . (تلتفت برأسها ناحية الجمهور ، وتمر فترة انتقالية) سأعود لأن يوم الأحد حزين . . لأن تلك الجدران الأربعة تخنقنى . . لأن البيت مظلم ، وهو ملىء بالذكريات السيئــة . . (لحظة صمت . ثم تضيف بتأثر تحاول أن تخفيه ، على حين يصغى ماركوس اليها ، وقد ارتسمت على وجهه امارات غريبة ملتوية) سأعود أيضا لأن . . لأن هذه الغرفة التى ستكون خالية غدا ، والتى سيقطنهــا أى مسافر آخر غير مكترث . . هذه الغرفة أصبحت مكانا أكن له قدرا من المحبة . . . وأظن أن هذا الذى حدث هنا لا يمكن محوه من هذه الجدران . . وأنه مهما مر الناس من هنا . . . مهما نظفوا وغيروا الأشياء . . فان هذه الغرفة التى سأنتظره فيها ستظل دائما مكانا حدث

داخله شيء يستحق العناء . . وأنها لابد ستهب السعادة الغامرة لكل الناس . . هذا مالا أعرف له اسما . . قد يكون اسمه الطمأنينة ، أو الصلح ، أو الحب . . لا أعرف كيف أسميه .

(يبدو أن ماركوس قدبدأ يفيق فجأة من غيبوبة معذبة كان قد تردى فيها . وبحركة كأنها رد فعل يرفع كتفيه بهدوء ، ويتجه ناحية باب المدخل ، بينما تنخرط جابرييلا في بكاء صامت دون أن تنتبه لوجوده . بدأ خوان ينتهي من مساعدة ألبا على ارتداء ملابسة . ويظهر أنه قد لبس بالفعل بنطلون المصارعة وجوربيها كما لبس الحذاء الخاص بها والقميص . يحكم ألبا من وضع رباط عنقه ، على حين راح خوان يحكم الأزار .

ماركوس : (من ناحية الباب) كيف يسير الحال عندكما ؟

ألبا : على مايرام .

(يعود ماركوس الى حجرة الجلوس . لحظة صمت . يراقب جابرييلا مبتسما)

ماركوس : لايزال في الأمر بقية اذن ؟

جابرييلا : بقية من ماذا ؟

ماركوس : من الدموع .

جابرييلا : ها أنت ترى أن الأمر كما تقول .

ماركوس : أتظنين أنك قد انتصرت ؟

جابرييلا : لا يخطر على بالى أن أفكر في الأمر بهذا الشكل .

ماركوس : انه الشكل الملائم ، فلنترك النفاق جانبا .

جابرييلا : أسكت . . (كانت قد رأت ألبا وهو يتجه ناحية حجرة الجلوس . وعلى الباب ، وقبل أن يهبط درجات السلم ينظر الى جابرييلا مكتئبا ، وقد تغيرت نظرته.) خوسيه . . ستتوخى الحذر . . أليس كذلك ؟ (لايجب خوسيه ، وانما يتجه ناحيتنا ، وقد بدا أنه أصبح شخصا آخر ، واكتسب وجهه لون التراب وغارت عينه

ماركوس : المطر ينهمر . أنظر .

(انه لا يسمعه)

ألبا : أليسيا بوينتى . . هذه الفتاة . . انها تقيم بالفندق . أشعر بأننى مريض للغاية . . للغاية . .

ماركوس : ستتحسن كما هى العادة . . سترى أنك ستتحسن . أسوأ ما في الأمر هو المطر والريح . سيكون من الضرورى الغاء المصارعة . فكر في شيء آخر اذن .

ألبا : شيء آخر ؟ ليس هناك غير هذا .

ماركوس : اشرب شيئا . سيريحك كثيرا .

ألبا : لا أريد شيئا . مجرد التفكير في الشراب يجعلنى أشعر بالغثيان .

(يرفع ماركوس كتفيه)

ماركوس : انني أشعر بشهية للطعام الآن (يجلس قبالة ألبا ويأكل شيئا . ثم يقول بلهجة هادئة :) انك تهجرني اذن . .

هل قررت الأمر فعلا ؟

ألبـــا : انك أنت الذى يدعى ذلك . . لاتريد . . أن . .

ماركوس : حسن . سيكون عليك أن تشق طريقك بمفردك .

(يقطع شيئا بالسكين ويأكل)

ألبـــا : سنتحدث في ذلك فيما بعد . . لكن الآن . . .

ماركوس : نادى زوجتك الآن اذا شئت .

ألبـــا : زوجـــتى ؟

ماركوس : انها ستساعدك .

(ينفى ألبا بيأس)

ألبـــا : حدثنى كما كنت تفعل دائما . . . قل لى . . . .

ماركوس : لا .

(يواصل تناول طعامه . ينظر الى ألبا بابتسامة شـــبه ساخرة)

ألبـــا : اذن . .

ماركوس : اذن عليك أن تستعد . ستحين الساعة قريبا .

ألبـــا : انني (يرتجف) مستعد .

ماركوس : اذا ظلت الريح تزمجر ، فخذ حذرك .

ألبـــا : هل الرياح شديدة ؟

ماركوس : بما فيه الكفاية . نعم .

ألبـــا : انني خائف من الرياح .

ماركوس : وجه نفسك ناحية العلم . واحصر مصارعتك على الثلث المحمى (١) .

(يواصل تناول طعامه)

ألبــا : ستكون أنت هناك كما هى العادة .

ماركوس : سأحاول أن أكون هناك اذا لم يحدث ماليس في الحسبان

ألبــا : ما الذى يمكن أن يحدث ؟

(يتوقف ماركوس عن تناول طعامه ، ويشعل سيجارة)

ماركوس : لست أدرى . . . أى شىء .

ألبــا : هل ستتركنى وحــدى ؟

ماركوس : انك لم تعد في حاجة الى . أصبحت تعرف كل مايجب عليك أن تعرفه .

ألبــا : (في محجريها) ماذا بك ؟ ماذا بك يا خوسيه ؟ (انه لا يجيب ويبدو أنه لايسمع ما يقال له) خوسيه... تحتضنه

ماركوس : (الى حامل السيوف) خذها الى حيث تريد هى . وعد بسرعة .

خــوان : نعم ياسيدى .

ماركوس : من فضلك . . . انه في انتظارك .

جابريلا : (مرتعدة) ليس في استطاعتى أن أترك خوسيه على هذه الحال . . ماذا حدث له ؟ هل يشعر بأنه مريض ؟

ماركوس : ليس شيئا . كل مايحتاج اليه هو أن يبقى معى على

---

(١) فوق مدخل حلبة المصارعة يرفع العلم ، فلعله يقصد ان يتجه الى تلك الناحية باعتبار ان الريح لا تهب منها ، ومن هنا لا تطير بالديباجة التي يحاور بها المصارع الثور ، وبالتالى لا يصبح عرضة للاصابة كذلك فى حلبة المصارعة التى تبدو على شكل دائرى مجموعة من الحواجز يقف خلفها المساعدون ويختبىء وراءها عند الضرورة المصارعون ، فلعله يقصد بالثلث المحمر تلث الحلبة القريب من الحواجز . (المترجم)

انفراد . هل تدركين الآن لمـــاذا طلبنا منك أن تذهبي ؟
لم يعد خوسيه متماسكا . . كما كان من قبل . لكن
الأمر لايدعو الى الانزعاج . أتركينا الآن . . فبهذه
الطريقة فقط سيسير كل شيء على مايرام . . لاتقلقي..
إنني الشخص الوحيد الذى يعرفه وهو يعاني من هـــذه
الحالات . انك لاتعرفين شيئا .

جابرييلا : لكنني . . . لم أره هكذا أبدا . انه . .

ماركوس : (بصوت حاد) أقول لك أن اذهبي . اسمعي كلامي .
كان عليك أن تذهبي منذ مدة (يغلف لهجته بقليل من
العذوبة) لو سمحت . . .

جابرييلا : (بلوعة) لكن ، ماالذى يحدث ؟
(لا يجيب ماركوس الآن)

خـــوان : هل نذهب ياسيدتي ؟

جابرييلا : (تنظر الى خوسيه الذى لا يبدو أنه يراها . تهمس)
نعم . .
(تخرج ويتبعها خوان . يتجهان ناحية المصعد ويهبطان
فيه . . الخ . . بينما يغلق ماركوس بضيق باب الجناح
بالمفتاح)

ماركوس : (يأمره بلهجة متسلطة) اجلس .
(يطيعه ألبـــا ، وقد بدا انسانا آليا غائبا عن الوعى .
ينظر حواليه الآن ويقول منتفضا)

ألبـــا : هل ذهبت ؟

ماركوس : زوجتك ؟ نعم .

ألبـــا : لا . . كان عليها ألا تذهب . . أن . . (يبدو أنه فزع . ينظر الى ماركوس بخوف) ماذا ستفعل بى ؟

ماركوس : ماذا سأفعل ؟ لا شيء .

ألبـــا : انني خائف .

ماركوس : لقد تعودت على خوفك هذا . . انه العار الذى علىّ أن أعتاده فيك .

(ينظر اليه ألبـــا برعب)

ألبـــا : انني خائف . . . منك .

ماركوس : (يضحك بخشونة) منى أنا ؟ لمـــاذا ؟

ألبـــا : لاتصيبنى بالأذى ياماركوس .

ماركوس : أنا ؟

ألبـــا : ساعدني .

ماركوس : على ماذا تريدني أن أساعدك ؟

ألبـــا : على أن أجتاز الموقف . لن يكون ذلك في امكاني بدونك

ماركوس : (بغيظ) أتذكر هذا الآن ؟

ألبـــا : انني . . وحدى . . مريض . . أشعر . . (يشير الى أسفل رأسه) بضغط هنا . . خذني الى أحد الأطباء . . بسرعة . . قبل . . أن يفوت الأوان .

(يدندن ماركوس شاردا بالنغمة التى انتهى بها الفصل الأول . يتجه ناحية النافذة)

ألبـــا : لاتغادر الممر . أريد أن أشعر بوجودك .

ماركوس : لن أغادره الا اذا تزايد المطر .

ألبـــا : حتى لو انهمر المطر ، عليك أن تبقى هناك .

ماركوس : لاتكن طفلا ياخوسيه . أتركني في هدوء . . .

ألبـــا : (يصرخ فجأة) ماركوس .

ماركوس : (بغضب) لاتصرخ .

ألبـــا : اذا ظللت تعاملني هكذا ، فلن أستطيع مغادرة الفندق ، ساعدني على أن أفعل .

ماركوس : هدىء من روعك . تصرف كرجل .

ألبـــا : أهكذا تعاملني ؟

ماركوس : هذا هو الشيء الوحيد الذى أستطيع أن أفعله من أجلك وما عدا ذلك فابحث عنه عند زوجتك . . . داعبها . . ربما يعطيك ذلك بعض القوة . لقد سئمت معاملتك بحنان . . دللتك أكثر ممـــا ينبغي . هذا هو ماحدث لكن الأمر قد انتهى . هل تريد أن تتخذ قراراتك بنفسك ؟ افعل اذن . . وفيما يتعلق بهذا المساء ، فعليك أن تكون حذرا . ضع كل ماتعرفه على أرض الحلبة . ستكون في حاجة الى ذلك . انها ثيران من ستة مراعى مختلفة ، وهى ضخمة كما لو كانت قلاعا ، وقرونها منفرجة ، فلا تفزع منها . اقتحم المكان الذى يقف فيه الثور ، وهناك ستكون في أمان . وكن شجاعا . اذا كنت تريد أن تستمر في المصارعة ، فعليك أن تكون شجاعا هذا المساء ، حتى ولو وصل المطر الى حد الطوفان ، حتى ولو كان هناك اعصار ، حتى ولو

أقفرت المدرجات من الناس . هل تفهم ؟ صارع بقدر ماتعرف ، بلا زينة ، أو اترك ذلك الى النهاية عندما يكون الناس قد أعجبوا بما فعلت الى حـــد الجنون ! . . قلل من استعمالك لليد اليسرى دون أن تفقد هيأتك . تصرف بطريقة طبيعية الى النهاية ، سيطر على الثور وارغمه . . وشاغله بوعى . . وحتى لو خذلك الثور ، فلا تفقد هدؤك ، وليظهر جليـــا كل ما تحمله في داخلك . وصوب ضربتك القاضية ببطء . ولتكن الضربات التى توجهها الى الثور وأنت تقف أمامه وجها لوجه خفيفة ناعمة كما لو كانت توضيحا لتوقيعاتك الخاصة بك مرة ومرة . كما لو كان ظمأ منك لا يعرف الارتواء . أو كأنما تبحث في الثور عن شيء لن تجده أبدا ، وكأنما المصارعة بالنسبة لك خمرة تشربها حتى الثمالة . وعليك أن تدفع بنفسك الى القتل رافضا الحياة ، كما لو كنت تريد أن تموت مع الثور وأنت تعانقه ، كما لو كانت رؤيتك بعد ذلك حيـــا تبدو معجزة . هل ستفعل ما أقوله لك ؟ هل ستخرج الى الحلبة ، وأنت على استعداد لكل هذا ؟

ألبـــا : (بوهن) لا أشعر أن لدى القوة اللازمة لذلك . انى في حالة أسوأ من أى وقت مضى . لمـــاذا تكلمنى بهذه الطريقة ؟ انك لم تفعل ذلك من قبل أبدا . كنت دائما تحاول أن تقنعنى بأن كل شيء بسيط . وأنه ليس على الا أن أبسط الديباجة الحمراء أمام الثور ، لكى تنقلب الحلبة رأسا على عقب بسبب التصفيق . لمـــاذا تسيء

معاملتى هذا المساء . أنا لم أرد أن أصيبك بضرر (فترة انتقالية . ثم بعذوبة) لقد شعرت بشيء ما في داخلى ، شيء عميق جدا . . جدا عندما رأيت زوجتى ، واكتشفت الى أى حد كنت أخدع نفسى . وأنا أتوهم أن كل شيء قد انتهى . . . كان عليك أن تفهم ذلك . . . ماذا تريدني أن أكون ؟ مصارعاً من حديد ، لايشعر بالعاطفة نحو أحد ، منفصلاً عن العـــالم ، مخلوقاً فقط لقتل الثيران داخل الحلبة ؟ انني لا أصلح لهذا . . لا أصلح ، ها أنت ترى أننى لاأستطيع .

ماركوس : اذا كنت لاتصلح فاعتزل . . . هذا أقل شيء يمكن توقعه منك .

ألبـــا : ربمـــا أفعل .

ماركوس : لكن عليك أن تقامر بحياتك الى أن تعتزل . اذا كانت هذه هى آخر مصارعة تقيمها معى ، فلا بد أن تقامـــر بحياتك فيها . دعنى أحتفظ بكرامتى أمام الآخرين ، وأمام أهل المهنة . لاتقضى علىَّ كما حاول بلاتيرو أن يفعل معى . سأقتلك بطريقة فظيعة اذا خنتنى هـــذا المساء . هل تفهم ؟ واذا شعرت بقرن الثور ينغرس في بطنك ، فالذى عليك أن تفعله هو أن تتماسك وأن تقتله بقدر امكانك . واذا سقطت ولم تكن قادرا على الاستمرار ، فلا بد أن تنهض . ستفعل ذلك كما أقوله لك ، حتى لو كان عليك أن تخرج ميتا على الأعناق من الحلبة . فتلك البقية الباقية منك ستكون عبارة عن مصارع . . مصارع حقيقى في النهاية والى الأبد

(نهض ألبـــا . لا ينظر الى ماركوس) نعم ، استعد فقد أزف الوقت .

ألبـــا : كم الساعة الآن ؟

ماركوس : الرابعة .

ألبـــا : هل أصبحت الرابعة فعلا ؟

ماركوس : وأكثر قليلا .

(لحظة صمت . يلتفت ألبا ناحية ماركوس ويهمس مرتجفا) :

ألبـــا : ارحمنى اذن . . قص علىّ الأشياء كما كنت تفعل في أمسية خلت . اجعلنى أرى أننى صحيح البدن ، وأن هذه الألم الذى يعترينى في أسفل رأسى ليس ممـــا يستحق الاهتمام ، وأن الثيران سهلة . وأن الشمس ستشرق وسيتحسن الجو .

ماركوس : لا . . لا أستطيع .

ألبـــا : (بلوعة) افعل ذلك .

ماركوس : هذا كذب . لقد سئمت الكذب . ستصارع ثيرانا هائلة كأنها الجحيم نفسه . ها أنت تعرف .

ألبـــا : أهكذا تتحدث ؟ بدون رحمة ؟ (يرفع ماركوس كتفيه . يأخذ ألبـــا سكينا من المائدة) اننى لا أكاد أراك ، كما لو كنت على وشك أن أصاب باغماءة .

ماركوس : (بخوف) . . أترك هذا . .

ألبـــا : (بابتسامة عكرة) لا .

ماركوس : أترك هذا قلت لك .

ألبـــا : كما لو كنت على وشك أن أصاب باغماءة .

(يتقدم خطوة ناحية ماركوس الذى يراه يأتي وقـــد اعتراه الذعر)

ماركوس : اما أن تتركه أو أن أجعلك تفعل بالقوة . .

ألبـــا : اذهب . اذهب اذا كنت لاتريد أن . . أتركني وحدى

ماركوس : لن أتركك . سنذهب معا . سأحملك الى الحلبة .

ألبـــا : أنا لن أخرج من هنا .

ماركوس : هل جننت ؟

ألبـــا : أنا لن أخرج من هنا .

ماركوس : هذا ما سوف نراه . . سأتصل بالبوليس . . سيجعلونك تخرج بالقوة . . لاتدعى المرض الآن . .

ألبـــا : انني مريض فعلا . . وقد أصبت بجرح قاتل . .انني . . .

ماركوس : لم تصب بعد . . لكنه من المحتمل أن تسقط جريحا هذا المساء بقليل من ســـوء الحظ . . لكنك لم تصب بعد . . ماذا تريد ؟ شهادة ؟ تشخيص طبي ؟ ابحث عنه في الحلبة . فبنطحة محظوظة تحصل على ماتريد . . لكن عليك الآن . . أن تخرج لمواجهة الثيران الستة ، هيـــا يسمع دوى الريح في فناء الفندق كما لو كان صفارة انذار . يشحب لون ألبـــا الى حد الظن بأنه يموت . ينظر الى أعلى دون أن يركز بصره على شيء محـــدد . ثم بخوف)

ألبـــا : الآن ؟ (يغرس السكين في بطنه بحركة مفاجئة ، ويقول) : الآن ؟ (شحب لون ماركوس) أنا . . لا أريد أن أخرج . . الآن . . أنا . .

ماركوس : لكن ، ماذا فعلت ؟

(يمسك ألبـــا بالسكين الذى تلطخ بقطرات الـــدم . ثم يتركه يقع . يضغط على الجرح بيده . لكنه لايسقط)

ألبـــا : انى . . مريض (يبعد يده عن الجرح وقد تلوثت بالدماء . ينظر اليها برعب) انها . . نطحة . . . خطيرة . . لم أعرف كيف أجعله يخرج . لم يصرفه أحد عنى . . . أنا . . وحدى . . (يبدو أنه يهذى) في قلب الحلبة . . لم يعد هناك ما يؤلمنى . لا شيء .

ماركوس : (ينظر اليه بفزع) خوسيه ! خوسيه ! لقد ارتكبت حمـــاقة . .

ألبـــا : ليس هذا شيئا يا ماركوس . . انها اصابة بسيطة . خذني من هنا الآن . لا أريد منك أكثر من ذلك .

ماركوس : تمدد هنا . . انتظر . . انك تفقد كثيرا من الـــدم .
(يرتمى ألبـــا الذى بدا أنه يشعر بالدوار على الأريكة)
ما اسمها ؟

ألبـــا : من ؟

ماركوس : صديقتك التى تقيم في الفندق .

ألبـــا : أليسيا . . الدكتورة أليسيا بوينتى .

ماركوس : علينا أن نستدعيها . . .

ألبـــا : استدعها . نعم . . الآن . . بدأت أشعر بالألم . لا أريد أن أنزف الدماء هنا .

(أخذ ماركوس سماعة التلفون ، ثم بضيق) :

ماركوس : مع الآنسة . . مع الدكتورة أليسيا بويتي من فضلك (لحظة صمت . الى ألبـــا بيأس) يبدو لهم أنها غير موجودة ، فقد تلقت اشارة عاجلة .

ألبـــا : سيكون في مقدوري أن أهبط السلم . خذني الى الاسعاف .

(يحاول أن يعتدل)

ماركوس : لاتتحرك (في التلفون) نعم . هل هى أنت ؟ معذرة . من طرف صديقك خوسيه ألبـــا . . مصارع الثيران.. وقعت له حادثة صغيرة في الغرفة . . جرح . . هل تستطيعين أن تأتي في الحال من فضلك ؟ انه يفقد الكثير من الدماء . الجناح ٢٠١ شكرا . . (يعيد السماعة الى مكانها) ستأتي الآن . أتركني أرى . . (ينحني على ألبـــا . يحول مسند الأريكة دون أن نرى ما يفعله : انه يعرى الجرح) . لا أعتقد أن الأمر يدعـــو الى الخوف . . لكن مهما كان ، فقد انتهيت أنت . . . اعتبر العقد الذى بيننا ملغيا ياخوسيه . . سأفسخ كل العقود التي وقعت عليها مع مختلف المؤسسات الى نهاية الموسم . . هل يسرك ذلك ؟ انه لأمر مؤسف بالنســبة لى . . كنت قد علقت عليك آمالا عراضا . . كان في وسعنا أن نصل الى القمة . . لتكن سعيدا الآن فيما

ستبدأه ياخوسيه . . أتمنى لك ذلك صادقا ، لأننى كنت وسأظل صديقا حقيقيا لك . كنت أريد أن أجعلك تتألم قليلا . . كنت أريدك أن ترى . . مدى أهميتى في حياتك . . لكننى لم أفكر في أنك على استعداد لأن تصل . . . الى هذا . .

ألبـــا : (يحاول أن يستعيد شيئا من تفاؤله ، ويبدو أن الألم قد بدأ يخف) ليس شيئا ، سترى . سيكون في استطاعتى أن أستمر . ماذا تريد ؟ أن نذهب الى أمريكا ؟ سنذهب سيكون عليها أن تفهم . .

ماركوس : الأمر سيان . دعك من هذا .

ألبـــا : (بحزن) هل تريد حقا أن تلغى العقد الذى بيننا ؟

ماركوس : لقد ألغى بالفعل . ليس في الامكان اصلاح ماتكسر وتناثرت شظاياه ، وبطريقة سيئة ، كما حدث لعلاقتنا معـــا .

ألبـــا : (محزونا) لن أعرف ماذا أفعل بدونك . . .

(تقترب أليسيا كما لو كانت آتية من غرفة في نفس الطابق وتطرق الباب . يفتح ماركوس بسرعة)

ماركوس : أدخلى من فضلك .

(تقترب ومعها حقيبة طبية صغيرة)

أليسيا : لكن ياخوسيه . .

ألبـــا : أليسيا . .

أليسيا : ماذا حدث ؟

(تنحنى فوقه . يأخذ ماركوس الكلمة بعصبية ، ويشرح ما حدث بينما تبدو هى منهمكة في علاج الجرح . ليس في استطاعتنا رؤيتها وهى تؤدى هذه المهمة) .

ماركوس : حادثة بلا معنى . . لا نعرف حتى الآن كيف وقعت . . (يتناول السكين من الأرض . يرفعه ويشهره) كنت أرى خوسيه طريقة في مصارعة الثور ، طريقة في تفاديه بحركة سريعة من الجسم في عشر الثانية الأخير . . ولا أعرف من الذى ارتكب الخطأ . . ربما كان خطئي .

ألبا : لا . . كان خطئي أنا . . فقد تخليت لحظة عن حذرى . . هل تعرفين ؟ وعندئذ . .

أليسيا : اسكت الآن من فضلك .

(تواصل علاجه)

ماركوس : هل الأمر خطير ؟

أليسيا : لا ، لكنه كان من الممكن أن يكون كذلك .

ماركوس : هل سيستطيع النهوض ؟

أليسيا : من الأفضل أن يرتاح . .

ماركوس : ألن يستطيع أن يذهب الى الحلبة ؟

(تنكب أليسيا على علاجه بينما تتحدث)

أليسيا : لا . . سيكون هذا جنونا . . سأوقف أنا النزيف ، وسأضمد الجرح . . لكن ... أى حركة مفاجئة . . الأفضل أن ننقله الى المستشفى التى أعمل فيها . والآن لدى اشارة عاجلة (الى ألبا) سأرسل لك عربة اسعاف ،

وسأمر لأراك في الغرفة . أظن أن هذا هو أفضل شيء
(تلتفت الى ماركوس) ألا يبدو لك الأمـــر كذلك ؟
(يوافق ماركوس صامتا)

ألبـــا : شكرا يا أليسيا . بعد كل هذا الوقت . . ياله من لقاء غريب ! أليس كذلك ؟

أليسيا : هذا ليس شيئا . . أتعرف ؟ ستتحدث هناك فيما بعد عن أشياء كثيرة .

ألبـــا : عليّ أن أسألك . . .

(ترتسم على وجهه علامات التألم)

أليسيا : (مستمرة في عملية العـــلاج) ليس شـــيئا (تبتسم) سأولمك بعض الشيء . . قليلا فقط . (يتأوه ألبـــا) أترى ؟ لم يحدث شيء . . (يبتسم بلهجة ساخـــــرة يشوبها العطف) مصارع ثيران . . يضحكني أن تكون مصارعاً للثيران . لم أتصور أبدا . . أنك ستصل الى ذلك . . (تواصل العلاج) خفق قلبي عندما رأيتـــك تدخل الفندق هذا الصباح . . خوسيه ألبا بلحمـــــه ودمه . . انني كثيرا ما أدرك في الصحف (يحاول ألبا أن يتكلم . لكن أليسيا تمنعه) لا . . اسكت . . هذا أفضل . . أعرف أنك قد تزوجت . . كثيرون مـــن طلبة الدفعة قد تزوجوا . . . حسن ، أنا لم أتزوج . . أظن أنني ينبغي أن أبدأ في التفكير في الأمر . ألســـت متفقا معي في ذلك ؟ آه . . نعم . . أظن أنني سعيدة ، لكنني لا أعرف . . أنه شيء لابد أن أتحرى عنـــــه

يوما . . (تبتسم) انتهينا . ليس علاجا عظيما ، لكنه يمكن أن يساعدك . . أظن .

ألبـــا : شكرا . أريد أن أقول لك أن . . انتظرى . . (يتكلم كما لو كان يطلب منها أن تغيثه) لاتذهبي الآن .أريد أن أقول لك . . نتكلم .

أليسيا : (مبتسمه له) سيكون لدينا متسع من الوقت فيما بعد.. استرخ الآن (تنتصب وتغلق الحقيبة . ثم الى ماركوس) لا أستطيع أن أبقى بكل أسف . انتظرا عربة الاسعاف هنـــا .

ماركوس : حسن .

أليسيا : الى اللقاء ياخوسيه (تبتسم) « جرح بسيط . تستطيع أن تصارع بعد خمسة أيام »

ألبـــا : (مبتسما) شكرا لك على كل شيء يا أليسيا . ها أنت ترين ، كل ما حدث أن . . (ترتسم على وجهه علامة بلا معنى)

أليسيا : الى اللقاء .

(يرافقها ماركوس الى خارج الجناح ، وهناك يسألها)

ماركوس : هل تظنين أن الأمر خطير ؟

أليسيا : لا ، ليس شيئا . كان صحيحا ماقلته .

ماركوس : هل تظنين أن عربة الاسعاف أمر ضرورى ؟

أليسيا : أظنه مناســبا .

ماركوس : لكنه يبدو عملا صاخبا الى حد أن . . .

(يقترب من المصعد ويستدعيه)

أليسيا : لكنه . . يبعث على مزيد من الطمأنينة .

ماركوس : في وسعي أن آخذه أنا بالسيارة . . انه يستطيع أن يمشي أليس كذلك ؟

أليسيا : (مفكرة) نعم ، انه يستطيع أن يمشي . لا أظن أن هناك خطرا عاجلا يترتب على المشي .

ماركوس : هل تسمحين لى بأن آخذه أنا اذن ؟

أليسيا : (تتردد لحظة) حسن ، وهو كذلك . خذه الى المستشفى الرئيسي واسأل عني هناك . سأذهب أنا بمجرد أن أنتهى من هذه الزيارة .

ماركوس : شكرا جزيلا على كل شيء (وصل المصعد بالفعل . يفتح ماركوس الباب فتدخل أليسيا . يغلق الباب ويضغط على الزر الخاص بجعل المصعد يهبط . وعندما يرى أن المصعد قد اختفى يتنفس الصعداء . يعود في اتجاه الجناح . يدخل . يقترب من النافذة دون أن يرنو ببصره الى ألبـــا الذى يتبعه بنظراته) المطر لا يزال ينهمر بغزارة ، والرياح تزداد كل لحظة . . (لا يجرؤ ألبا على الكلام) والآن انهض .

ألبـــا : هل قالت لك أنه في استطاعتي أن أنهض ؟

ماركوس : نعم . اننا سنذهب .

ألبـــا : الى المستشفى ؟

(لحظة صمت)

ماركوس : لكننا سنمر على الحلبة قبل ذلك .

ألبـــا : اتصل بهم تليفونيا ، وقل انني قد جرحت .

ماركوس : هل جننت . . في هذه الساعة ؟

ألبـــا : ماذا تريد أن تفعل اذن ؟

ماركوس : بدأ الناس يدخلون الى الحلبة . ليس في مقدورنا أن نثير فضيحة عامة .

ألبـــا : ماذا نفعل اذن ؟

ماركوس : علينا أن نثق في الجو .

ألبـــا : ما علاقة الجـــو بهذا ؟

ماركوس : اننا لا نستطيع نحن أن نلغي المصارعة . ولكن ذلك سيكون بفضل الجو . . المطر . .

ألبـــا : واذا لم يوافقوا على الغائها ؟

ماركوس : هيا الى الحلبة . يجب عليك أن تبدو هادئا كما لو كنت على أهبة الاستعداد . سأقوم أنا بالمشاورات . . اذا استمر المطر هكذا ، فانني أظن أنه سيكون في وسعي أن . . .

ألبـــا : واذا لم يستمر هكذا ؟

ماركوس : تقول انك جريح في آخر لحظة ، الا اذا وجدت نفسك قادرا على المصارعة ساعتها . .
(لحظة صمت)

ألبـــا : (وقد نهض) انني الآن على ما يرام . هذا ليس شيئا .

(ينظر اليه ماركوس ، وقد عاد الى وجهه ظـــل من العطف القديم)

ماركوس : بالطبع لا .

ألبـــا : أعتقد أنني أستطيع .

(يبتسم ماركوس بهـــدوء) .

ماركوس : لن يكون ذلك ضروريا . . سنثبت حضورنا . سأطلب أنا الغاء المصارعة بسبب ســـوء الجو ، وسنذهب بمنتهى السرية بعد ذلك الى المستشفى . موافق ؟ افعل هذا من أجلي . انه آخر شيء أطلبه منك . لا أريد أن أرى نفسي في فضيحة .

ألبـــا : ساعدني (يساعده ماركوس على الانتهاء من ارتـــداء ملابسه) أتعرف ؟ سيظل كل شيء كما كان دائمـــا .. فلقد مرت الأزمة . . سأخرج من الفندق هادئا . .
(يسير بضع خطوات كما لو كان يجرب قوته ، ويبدو أنه يشعر بالثقة) .

ماركوس : ستغادر الفندق مبتسما أيضا . . (يبتسم ألبـــا) انك تعجبني بهذا الشكل . . هناك بعض الدماء على ملابسك . . بالديباجة الحمراء . . .
(يوجهه إلى أن يغطي بها الدم) .

ألبـــا : (يأخذ القبعة والديباجة الحمراء) وماذا عن خوان ؟
(وضع الديباجة على ذراعه مخفيا بها بقعة الدم)

ماركوس : فليذهب الى الحلبة هو الآخر . نقول له ذلك في البهو . نذهب ؟

ألبـــا : نعم (يخرجان . وعندما يغادران الجناح يتوقف المصعد في نفس الطابق . يخرج منه كل من جابربيلا وخوان . وعندما يراهما ماركوس يكتسب مظهره شيئا من الجمود والترقب . تتجه جابربيلا بقلق ناحية خوسيه) كنا على وشك أن نذهب . . حانت الساعة .

(ينظر ماركوس ببرود الى خوان ، الذى يعتذر بايماءة)

جابربيلا : (تظل تنظر اليه بقلق) ألم يحدث شيء ؟ هل تريد شيئا مني ؟

(لحظة صمت وترقب . تتلاقى نظرات ألبا وماركوس يخفض ألبـــا رأسه)

ألبـــا : (أخيرا) لا ، لم يقع شيء ، ها أنت ترين .

جابربيلا : (تلقي بنفسها عندئذ بين ذراعيه) طلبت منه أن يحضرني الى هنا . لم يكن في وسعي أن أظل هكذا . سامحني .

ألبـــا : (يبتسم شاحبا) شكرا .

(تحتضن هي ألبـــا بكل قوة)

جابربيلا : كن حذرا جدا ياخوسيه . . كن حذرا جدا .

(يأتي ماركوس بحركة تدل على نفاد صبره)

ماركوس : هل نذهب ؟

(يتخلص ألبـــا من العناق بعد الحركة التى صدرت عن ماركوس ، ويتجه ناحية المصعد ، ثم يدخل ويتبعه ماركوس . وفي الحال يدخل خوان أيضا . يغلق الباب وتتابع جابربيلا بحزن المصعد وهو يختفي . . وعنـــدئذ

تذهب الى الجناح وتدخل . تحدق في محتويات حجــرة الجلوس باستغراب كما لو كانت تكتشفها الآن فقط . تفتح النافذة وتنظر لحظة الى الخارج . وعندما تفعــل يسمع انهمار المطر الغزير . تعود الى الغرفة وتبقى بــلا حراك ، كأنها واقعة تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، أمام اللوحة الثلاثية والمصباح المضاء . تأخذها وتنظــر اليها بدهشة ، بل بما يشبه الخوف ، كما لو كانت قد فكرت في اطفائها . لكنها لم تجرؤ على ذلك . تتركها وتظل تنظر برهبة من يتوقع الشر الى تلك الشــعلة الخافتة المتراقصة . تسمع عندئذ أجراس الكنيسة القريبة تشعر جابرييلا بالبرد ، ربما لأن النافذة مفتوحــة . . تجلس منكمشة على أحد المقاعد وتغلق عينيها . تظــل تقرع أجراس الكنيسة بينما ينسدل الستار)

نهــاية الفصــل الثــاني

خـــاتـــمة

هناك مصباح أحمر عند مقدمة المسرح في الكادر الأول الضوء مسلط على بعض الموائد التى توضع عادة في الحانات . كما أن هناك شكلاً يوحى بوجود بـــار له خزانة مليئة بالزجاجات . ويظهر على الجدار وســـط الضوء رأس ثور ، واعلان عن المصارعة التى لقى فيها خوسيه ألبـــا حتفه . وقد كتب عليها « ثيران ستة ، » « خوسيه ألبا » ، وبحروف أصغر . . مساعد المصارع « رافائيل باستور » . يسمع خافتا انهمار المطر . هنـــاك رجل يرتدى معطفا خاصا بالمطر ، وهو جالس الى احدى الموائد . يقترب صاحب الحانة من المـــائدة ، ونتعرف عليه . انه رافائيل باستور .

باستور : ماذا تطلب ؟

(الرجل الذى كان يعطينا ظهره . يلتفت الى باستور ونعرف أنه ماركوس ، وقد بدا أنه هرم قليلا ، ملابسه أنيقة)

ماركوس : بـــيرة .

باستور : (يتعرف عليه ويقول لحظتها بدهشة) لكن . هل هو أنت ؟

ماركوس : ها أنت ترى أننى هو .

باستور : أنت هنا ؟ كيف حدث ذلك ؟

ماركوس : ما الذى يدهشك ؟

باستور : قيل لى انك بسبب كل ذلك . . بسبب موت ألبـــا . . كنت . . أعنى ! . . كانت لديك بعض الصعوبات .

ماركوس : لقد انتهى كل شىء . لم يكن ذنبي . أصر الولد على أن يخرج جريحا . ولم أستطع الحيلولة دون ذلك .

باستور : اعذرني لحظة . سأحضر لك البيرة (يبتعد بينما يشـــعل ماركوس سيجارة ويدخن شارد الذهن . يحضر لـــه باستور البيرة) ها هى .

ماركوس : شكرا . هل تريد أن تجلس ؟ جئت لأتحدث معك .

باستور : (يجلس) بعد اذنك .

ماركوس : هذا هو بيتك ، أليس كذلك ؟ لا تطلب منى اذنا اذن .

باستور : أطلب منك اذنا للجلوس على مائدتك . . (يجلس) . . انني مصغ اليك .

ماركوس : كيف تسير الأمور معك ؟ هل أنت سعيد ؟ .

باستور : لا . . لا ياسيدى . . أصابنى ســـوء الحظ بعـــد . . لا أعرف ما الذى حدث لى . .

ماركوس : كنت أظن أنك ستسير الى الأمام في الأمسية التى حدثت فيها المصيبة . . نعم ، بعد الحماس الذى أشـــعلته في الثور الثــــاني .

باستور : كنت أتصرف كالمجنون . كان في وسعى أن . . لا أعرف . . لولا أنهم قرروا الغاء المصارعة . بعـــد ذلك

صارعت مرة أخرى لكن بدون حظ . يبدو الأمر كما لو كان كل شيء بدأ يعاكسني فجأة . وقد وصلت الى حد التفكير في أنني أضايق الآخرين ، وأنهم جميعا يحاولون أن يقضوا عليّ . . وكان عليّ أن أعــود الى الحانة ، أظن . . . أظن أنني سأترك الثيران .

(لحظة صمت)

ماركوس : ما أنت في حاجة اليه هو شخص يقودك . لكن هــذا الشخص لا يمكن أن يكون انسانا عاديا . لابد أن يكون . . شخصا . . من نوع خاص .

باستور : أعرف ذلك ، فالمرء بمفرده لايستطيع أن يكافح . . . هناك مصالح كثيرة . .

ماركوس : شخص يستطيع أن يوصلك الى أعلى ، هناك في القمة . هذا ما أنت في حاجة اليه يارافائيل .

باستور : أيمكن أن يكون هذا شيئا ممكن التحقيق ؟

ماركوس : سأفكر في الأمر أنا .

باستور : هل أنت على استعداد لأن تتولاني ؟

ماركوس : الأمر متوقف على امكانية الوصول الى اتفاق .

باستور : ماذا سيكون عليّ أن أفعل في هذه الحالة ؟

(لحظة صمت)

ماركوس : (مشيرا الى ماحوله) مثلا . . . كل هذا يكفيك .

باستور : الحانة ؟

ماركوس : نعم . . . لديك مايحمي ظهرك . . ليس في استطاعة

الانسان أن يفعل شيئا هكذا في دنيا المصارعة . . احرق سفنك . . هل تفهم ما أريد أن أقوله لك ؟

باستور : (ذاهلا) نعم .

ماركوس : ماذا يبدو لك ؟

(وجم وجه باستور)

باستور : انها . . ميراث أبي . . وهنا كبرت أنا . . بين هـذه الجدران الأربعة .

ماركوس : اضرب بكل هذا عرض الحائط .

باستور : هذا . . . كثير .

ماركوس : انه ثمن بخس لمـا تستطيع أنت أن تحققه.

باستور : واذا فشلت بعد ذلك . ؟

ماركوس : ليس هذا ممكنا . انه يدخل في دائرة اختصاصى .

باستور : (مفكرا) مفهوم .

ماركوس : سأقيم لك حفلة استقبال هائلة . . سأجعل منك اذا تركتنى حكاية اسبانية . . لا بد من الحديث عن الجوع حتى ولو لم تكن قد جربته أبدا . . الجوع والمـوت . نطحات الجوع . انه أمر ملائم للسياحة . ولا بد من أن نوجه المصارعة بحيث تكون مناسبة لهما . هل تفهم ؟ فهما اللذان يتحكمان في الأمر . . دون أن نختلق شيئا . لكن علينا أن نلعب بما لدينا في صالحنا . هـذا شيء مسموح به . . فهذا الجوع حقيقة واقعة ، وهنـاك من بين الآخرين من يعانيه بدلا منك . لكنك تستطيع أن

تمثله .. مصارع وطني وشعبي ! لست أدرى ! سنخترع
كل تلك الأشياء فيما بعد . مصارع قد أنجبه البؤس .
يقول ان نطحات الجوع أقوى من نطحات الثيران .
وهذا ما قاله آخرون ، من أمثال « اسبارتيرو » الذى
مات في حلبة مدريد . هذا بالاضافة الى صورة كبيرة
في مجلة « لايف » الأمريكية . هل تتصور شيئا كهذا ؟
العجائز العاطفيات يبكين من أجلك . سياحة السنة
القادمة . وأنت في الصور بايماءة يائسة مريرة . قليل من
التمثيل اذا شئت أن تسميه هكذا . . أمر ضرورى في
هذه الأيام حيث على المرء أن يخرج رأسه لكى لايغرق
مثل الآخرين . كل شيء موجه الى الخارج . ألم تر
المدرجات ؟ أصبحت مصارعة الثيران استعراضا
للأجانب . . . . ها أنت ترى . اننا في أوروبا . . في
أمريكا . . عليك أن تدرك ذلك ، ليس في استطاعتنا
أن نعيش منعزلين . لابد من أن نقوم بحملة دعائية
هائلة على الطريقة الأمريكية . انك تعرف هذا طبعا .
أغلفة المجلات ، والسينما ، والتلفزيون ! لدى من
المال والقدرة على التنظيم لشيء كهذا . . بل لشيء
أكبر من هذا . سيجيئون لمشاهدتك من كل مكان في
العالم . هل تفهم مشروعى ؟ هل يعجبك ؟

باستور : حكاية اسبانية . . (باشمئزاز) ماذا أردت أن تقول
بذلك ؟ لماذا ؟ انه يبدو لى أكذوبة . هل هذا أمر
ضرورى لتحقيق النجاح ؟

ماركوس : نعم . انه أمر ضرورى ؟

باستور : انني لن أصلح اذن له .

ماركوس : انك تصلح بالتأكيد . كل الناس تصلح.

(يهــز باستور رأســه)

باستور : اذا حصلنا على المـــال بواسطة الجوع ، فلا بد أن يخصص هذا المـــال للجوع نفسه . لالنا . أنا لا أعرف شيئا . لكن هذه هى طريقتى في التفكير . . . كلمـــا فكرت في الأمر . .

ماركوس : هذه طريقة صبيانية يا ولد . انك لن تصل الى أى مكان اذا حبست نفسك في هذه الأفكار التى لامعنى لها .

باستور : كان لدى أمل . وهأنذا أفقده شيئا فشيئا .

ماركوس : انك ستستعيده . دع الأمر لى .

باستور : أظن أننى لن أستطيع .

ماركوس : سترى . هل تعرف ماذا يمكن أن نسميك ؟ انســـان عاطفى . . كلنا كنا كذلك يوما ، عندما كنا في سن الشباب . وقـــد أثار فينـــا جميعا الكذب والخـــداع والاشمئزاز . لكن الأمر لا يتعلق بالكذب هنا . الأمر متعلق بأن نقول الحقيقة بطريقة معينة . هل تفهم ؟ لابد من أن نتصرف هكذا اذا كنا نريد أن ننجح في الحياة . وان لم نفعل فان الواحد منا يموت من القرف في ركن منعزل . أهذا ماتريده ؟

باستور : (مفكرا) ربما أكون كما تقول . . . لا أعرف ما هو الاسم الذى ينطبق علىّ . . لكننى أعرف ممـــا رأيته أن هناك في هذه الحياة من يحيون على تعاســـة الآخرين ،

ومن يستغلون كل ما هو في خطر ليعيشوا ؛ من يستغلون
كل ما يموت . . كلّ الأشياء المسكينة التى ينطفىء
لهيبها رويدا رويدا . وهذه أيضا حكاية اسبانية . أليس
كذلك ؟ هناك من يلقى بالآخرين الى المصارعةويتفرج
على الثيران من خلف الحواجز ، ويحتفظ لنفسه بأموال
الذين ماتوا . . وأعرف أيضا ياسيدى أننى لستواحدا
من هؤلاء . ولا أقول انك واحد منهم . هل تفهمنى ؟
انى أحدثك باحترام ، دون أن أقصد الاساءة اليك .
ويبدو لى أن هناك أشياء كثيرة غير مستحبة ، كما يبدو
لى أنه من غير المستحب أن يكون العالم ممتلئا بالأوراق
والدواوين الحكومية . عندما غادرت الحانة ، رأيت
الأمور تجرى هكذا ، فعدت اليها . اننى أقف هنا
خلف « البار » وأعود نفسى على فكرة أن هذا
هو أفضل شىء كان يمكن أن يحدث (لحظة صمت)
هل تعرف من يأتي الى هنا كل يوم ؟ أضع له طبقا
مليئا بالطعام كى لا يموت . . شحاذ سكير اسمه
بلاتيرو . . . هل تذكره ؟

ماركوس : (ببرود) نعم .

باستور : كثيرا ما أتذكر خوسيه ألبا أيضا ، وأتذكر أنه لم
يكن من الممكن في ذلك الصباح في غرفته بالفندق أن
يموت . وكل ذلك يجعلنى ، دون رغبة منى ، أفكر .
(لحظة صمت)

ماركوس : لايهمنى ما تفكر فيه . . لقد اقترحت عليك شيئا . .
فبماذا تجيب ؟

(لحظة صمت)

باستور : (مفكرا) عندما كنت أعود من حلبة المصارعة كنت أرى أن هذه هى الحقيقة . هذه هى الحقيقة .

(تصدر عنه اشارة متكاسلة الى ماحوله)

ماركوس : هذه ؟ ماذا عنها ؟ حانتك ؟

باستور : (يهز رأسه) الشتاء الذى يبدأ ، والعمل الذى سيحتاجه تحمله . . الذى يملك ملجأ هو الذى سيستطيع أن يتحمل ما سيأتي . . هناك نطحات أسوأ من نطحات الثيران تكتظ بها الشوارع . وهى تملأ النواصى جميعا.سأشعل أنا المدفأة . . لكى تكون معدة اذا جاء أحد الى هنـــا هربا من البرد . . و . . . . سأحاول أن أنسى أنى قد ارتديت يوما حـــلة المصارع .

ماركوس : لقد تخليت عن كل شيء اذن (ينهض) أنت حـــر . . (يلقى بقطعة فضية الى المـــائدة) خذ ثمن البيرة .

باستور : (لا يقوم بأى حركة تدل على أنه سيأخذ القطعة الفضية. يشعر بأن هناك شيئاً يهرب منه ويحاول أن يمسك به) اصغ الىّ . لا أحب أن تحكى عنى الأكاذيب . . لهذا قلت لك . .

ماركوس : هذا قابل للمناقشة . . هناك أكثر من طريقة .

باستور : وأيضا . . .

(يسكت)

ماركوس : هل تفكر في الأمر ؟

(لحظة صمت)

باستور : انى لا أستطيع أن أبيع بيتى .

ماركوس : آسف (يسحب نفسا طويلا من سيجارته بطريقة تدل على عدم اكتراثه) انظر ياولد . ما أنا في حاجة اليه يوجد حتى بين الحجارة(١) ، ولدى فرصة الاختيار . اذا كنت لم تتخذ قرارك بعد . فمن العبث أن نضيع مزيدا من الوقت .

(لحظة صمت)

باستور : أنا . . . لم أتخذ قرارى بعد .

ماركوس : هناك الآلاف ممن هم على استعداد لأن يبيعوا أى شىء . . حتى أرواحهم . . من أجل فرصة كهذه . . وأنت تتركها تذهب . انها لن تعود أبدا . اقذف الى صفيحة القمامة بحلة المصارعة ، وارتد السترة البيضاء (٢) . فهذا هو ما يناسبك .

(لحظة صمت . اكتسب وجه باستور شيئا من الحدة الآن ، لكن نظرة ماركوس تظل كما هى)

باستور : طابت ليلتك ياسيدى .

ماركوس : طابت ليلتك .

باستور : آه . معذرة (أخذ القطعة الفضية من على المائدة) اعتبرها دعوة منى .

---

(١) عبارة يقصد بها أن ما يبحث عنه متوفر . (المترجم)

(٢) المقصود هنا هو زى النادل . (المترجم)

(يمـــد له القطعة الفضية)

ماركوس : لا . . عليك أن تقبض ثمن البيرة . . واعتبر البـــاقي بقشيشا . . وداعا .

(يستدير ويبقى باستور دون أن يعرف ماذا يفعـــل بالقطعة الفضية في يده . . دخل الى منطقة الضوء شحاذ نراه من جانبه . يمد يده ناحية ماركوس الذى يمر أمامه دون أن ينظر اليه . يتوقف لحظة تحت المصباح الأحمر ثم يخرج . يظل الشحاذ يحوم حول المكان الذى خـــرج منه ماركوس ويرينا شيئا فشيئا وجهه الذى تبدو فيـــه آثار فظيعة لنطحة . تبقى يده ممدودة ، ويظهر أنه قد استغرب ببلاهة لأن ماركوس لم يتوقف . ينظر الآن بنفس الطريقة البلهاء التى تصاحب عادة مدمنى الخمور . باستور الذى كان قد اختفى لحظة يضع له طبقا على المـــائدة ويقول) :

باستور : لم يتعرف عليك .

(يظل الرجل ينظر الى المتفرجين ، كأنه يطلب صدقة ، وكما لو لم يكن قد سمع ماقيل له ، ثم يمد يده ناحيـــة الجمهور ، كأنه يستغيث بطريقة دائمة خرساء . يسدل الستار شيئا فشيئا)

نهـــاية المسرحيـــة

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ماتويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	لساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصـــــة مغامرة
٨	تييرى موتييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال البى	دراما اللامعقول
١/١٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الأب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١/١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
٢/١٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس أو لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/١	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧/١	جبرييل مارسل	من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩/٣	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/١	جورج شحادة	من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار حورس
٣٣/١	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ــ ٢ ١ ــ أوديب الملك ٢ ــ اوديب فى كولون ٣ ــ اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ــ ١ ١ ــ اليكترا ٢ ــ لن تقع حرب طروادة
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ١ ١ ــ المغنية الصلعاء ٢ ــ الدرس ٣ ــ جاك او الامتثال ٤ ــ المستقبل فى البيض ٥ ــ الكراسى
٣٨	كوبر ــ تشيرشل ــ شارب ــ مانج	مسرحيات اذاعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ــ ٢ ١ ــ روما لم تعد فى روما ٢ ــ المحراب المضىء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ــ شيطان الغابة ٢ ــ الخال فانيا
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ٢ ١ ــ مهاجر بريسبان ٢ ــ البنفسج
٤٢/١	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ــ ١ ١ ــ ديانا والمثال ٢ ــ الحياة عطاء ٣ ــ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ــ ستيفن « د » ٢ ــ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٤/٤	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤
		١ ـ الفرماء
		٢ ـ الاميرة البيضاء
		٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣	ـ سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣
		١ ـ انتيجونة
		٢ ـ اجاكس
		٣ ـ فيلوكتيت
٤٦/٢	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢
		١ ـ سدوم وعمورة
		٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢
		١ ـ ضحايا الواجب
		٢ ـ مرتجلة ألما
		٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٢	ـ جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢
		١ ـ طريق القمة
		٢ ـ العالم المكسور
٤٩	ـ البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى
		٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	ـ ارمان سالاكرو	الارض كروية
٥١/٢	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢
		١ ـ السلاح والانسان
		٢ ـ كانديدا
		٣ ـ رجل المقادير
٥٢	ـ هارولد بنتر	الحارس
٥٣	ـ مارتنيس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى
٥٦	يوربيديس	● الكتـرا ● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩/٢	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الازواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● المهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جى	● اوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٦٥/٥	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥ ١ ـ رقصة الموت ٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم ساروبان	١ ـ أيـام العمر ٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض ٢ ـ برينيس المصرية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٩٢/٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ــ ٢ ١ ــ فتى الغرب المدلل ٢ ــ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ــ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ــ كلهم ابنائى ٢ ــ الثمن
٩٤/٢	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ــ ٢ ١ ــ اوبرا القروش الثلاثة ٢ ــ لوكلوس ٣ ــ بعــل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثيني
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٩٨/٤	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تخريف ثنائي ● الثغــرة ● لعبة الموت
٩٩/٢	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ــ ٢ ١ ــ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ــ كل شيخ له طريقة ٣ ــ الليلة نرتجل
١٠٠/٩	تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ــ ١ ١ ــ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ــ معارك كوكسينجا

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١$\frac{٠}{٢}$١	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل – ٢ ١ – وراء الافق ٢ – انا كريستى
١$\frac{٠}{٢}$٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن – ٢ ١ – الحرية المغلولة ٢ – صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	ماساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر . كولين فينبو	١ – الطلبة المشاغبون ٢ – قبل يوم الاثنين الموعود ٣ – الليلة يوم الجمعة
١$\frac{٠}{١}$٥	برانيسلاف نوشيتش	١ – حرم سعادة الوزير ٢ – الدكتور
١$\frac{٠}{١}$٦	دنيس جونستون	١ – من المسرح الايرلندى – ١ القمر فى النهر الاصفر
١٠٧	تيرانس راتيجان	١ – بينما تسطع الشمس ٢ – المهرجـون
١٠٨	فرانسواز ساجان	● – الحصان المغمى عليه ● – الشوكة
١$\frac{٠}{٢}$٩	تشيكاماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكاماتسو–٢ ● الصنوبرة المجتثة ● انتحار الحبيبين فى آميجيما
١$\frac{١}{٣}$٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت –٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
١$\frac{١}{٥}$١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو – ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع

(تابع ما صدر من هذه السلسلة)

العدد	المؤلف	المسرحية
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية
		● فصيلة على طريق الموت
		● النطحة
		● الكمامة



الثمن

الكويت	١٥٠ فلسًا	ليبيا	١٥ قرشًا	سلطنة عُمان	١٢٠ بيسة
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسًا
العراق	١٥٠ فلسًا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسًا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسًا
سوريا	١,٥ ليرة	ج.م.ع.	١٥٠ مليمًا	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليمًا		

فى العدد القادم

من الأعمال المختارة **يوجين أونيل ـ ٢**

* رغبة تحت شجر الدردار ١٩٢٤

يجد القارىء فى هذا العدد المسرحية الثالثة التي **تكتمل بها** مرحلة الواقعية الاولى (عدد ٢/١٠١) والتي سبقتها مرحلة التلمذة (عدد ١/٨٣) لنفس المترجم دكتور عبد الله عبد الحافظ متولي .

تحولت مسرحية **رغبة تحت شجر الدردار** الى فيلم عام **١٩٥٧** بعد أن تعثرت على مسرح مدينة لوس انجيلوس ، كاليفورنيا عام ١٩٢٦ ومرة أخرى فى انجلترا عام ١٩٤٠ .

فى هذه المسرحية يواصل أونيل عزف مقطوعته المأسوية المفضلة وان لم تكتمل لها كل عناصر المأساة ، ويذكرنا اللحن مرة أخرى بمسرحيته **أنا كريستى** . نعود لنقابل أشخاصا في مزرعة فى مقاطعة نيوانجلند ، ولكننا نرى بيتا ريفيا تحيط به من كل جانب شجرتان من أشجار الدردار الضخمة بدلا من « البحر .. ذلك الشيطان العجوز » فى **أنا كريستى** . فالمزرعة وشجر الدردار من الرموز المحببة الى نفوس بعض أدباء القرن العشرين ، فنرى المنزل الريفي وشجرة الدردار فى رواية **هواردزاند** لفورستر ، وفى **وراء الافق** لاونيل .

يطور أونيل فى هذه المسرحية أسلوب عرض الاحداث عن طريق ما يطلق عليه « ثنائية مستمرة لأحداث المسرحية » ، وهو التواكب المتواصل لما يحدث داخل وخارج المنزل ـ أشياء غريبة تحدث فى أماكن مختلفة في البيت وفى نفس الوقت .

والى عدد آخر من أعمال اونيل المختارة ـ المرحلة التعبيرية .

في هذا العدد

الدراما الثورية الاسبانية **تأليف : الفونسو ساسترى**

* **فصيلة على طريق الموت ١٩٥٣**
* **الكمامــة ١٩٥٤**
* **النطحة ١٩٦٠**

تقدم **فصيلة على طريق الموت** موقفا غريبا ، لاتحده حـدود محلية ، تقع احداثها فى بلد اوروبى ما يواجه عدوا غير محدد ، كل ما نعرفه عنهانه ذو طبيعةشرقية ــ من المعسكرالشرقى خلال الحرب العالمية الثالثة ! والجنود كذلك ليسوا محددى الجنسية ! كـذلك النماذج البشرية غير محددة الجنسية ! تذكرنا لوحات المسرحيـة بلوحات الفن الحديث الذى تختلط فيها معالم الوجوه . ولكننانبدأفى تبين معالم الشخصيات رويدا رويدا الى أن ينتهي بنا الامر الى حفلة لمصارعة الثيران يشترك فيها ستة ثيران ــ ثيران الموت ــ فى حلبة احتضار وجودهم الفردى .

الكمامة ومحورها كسابقتها هو الجريمة ــ نوع خاص مـن الجرائم ترتكب خلال الحرب أو بسببها . لقد رضع جيل ساسترى حربا اهلية ضارية وحربا عالمية طاحنة . ومرةاخرى يجرد الحرب الاسبانية الاهلية (١٩٣٩) من طابعها الاسباني الخاص بها ، فتقع أحداثها في قرية ما ، فى أى بلد أوروبي اكتوى بنارها ودمارها . بطل المسرحية من أبطال المقاومة ــوربما يرمز الى ديكتاتور اسبانيا خلال قرابة أربعين عاما ــ وهو الذى وضع الكمامة على أفواه عائلته حتى لايبوحوا بجرائمه . ويجد بعض النقاد أوجه شبه بين هذه المسرحية ومسرحيــة أونيل **رغبــة تحت شــجر الدردار** والتي ســتصدرها السلسلة فى عددها القادم .

النطحة : مسرحية تتناول وجهين متضادين لظ الثيران ــ ظاهرها البهجة والعواطف والحركات الجسو الموسيقية ، وفى باطنها العنف والرغبة العاتية فى تو انها التحدى بعينه ، قدرة الانسان على ماوغة الموت قبضتـــــه .

المسرحيات الثلاث تمكن بيكاسو من ضغطها اشلائها فى لوحته الشهيرة « جيرنيكا » .

